الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تلمسان أبو بكر بلقايد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الموضـــــوع

المثـــل بين الخطاب القرآني و التواصل العام

-دراسة لغوية -

أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه

إعـــداد الطالبة :
ليـــلى زيـــــان

إشراف الأستاذ الدكتور :
عبد الجليـــــــل مرتاض

السنة الجامعية : 2009 - 2010

مقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وله الشكر على نعائمه و فضله و إحسانه ، وصلِّ اللهمّ و بارك على سيِّدنا محمّد – صلى الله عليه و سلّم – و على آله و صحبه ، ثمّ أمّا بعد :

لقد تنوّعت أساليـــب البيـــان في القرآن الكريم ، وتشعّبت صوره و ألوانه ، وتعدّدت مناهجه و مسالكه ، ويعدّ أسلوب المثل من بين الأساليب البيانية التي تسع مجالا رحبا للبحث و الدرس ، إما في أسلوب المثل بوجه عام أو أسلوب المثل القرآني بوجـــه خاص .

فالمثل مرآة من مرايا فكر المجتمع ، إذ يحتلّ مكانة خاصّة بين جميع أفراده ، لا تختلّ و تتبدّل بتبدّل الزمان و المكان ، إنّه يصف السلوك الإنساني في كلّ مناحي الحياة ، ويعكس مختلف الرّغبات و الأفكار الإنسانيـــة بأسلـــوب مختصر و هادف ، وهو وسيلـــة من وسائل التواصـــل و التفاهم بين الأفراد و الجماعات .

ومما زادها أهمية بالغة كونها جزءا مهما من الخطاب القرآني الذي يسمو ويعلو على أي كلام بشري بليغ ، وذلك لجمال أسلوبه ، و بلاغة تراكيبه ، وعذوبة ألفاظه و وضوح أفكاره ، ومعانيه ، التي جعلت منه خطابا عاما يسهل فهمه ، دون أن يراعى فيه مستوى القارئ ، و قدرته العلمية .

فأمثال القرآن الكريم ذروة عليا في جميع ما أشرنا ، تنبثق عن صميم بيانه السامي فتصقل الأذهان ، و تجلو صدأ القلوب ، و تستحوذ على النفوس بما تلقيه في مكامنها من روائع الآداب وذخائر الحكم و بما تكشفه من بديع أسرارها ، فتودع في نفوس ذوي البصائر من طرائف المعرفة ما يقرّر لديها مكانتها الحقيقية و قيمتها العليا .

والمثل العامّي أقدر أنواع الأدب الشعبي في التعبير عن العلاقات الاجتماعية المعقدة . وهو خلاصة التّجربة الإنسانية الشّعبية و العاكس لحياة الناس ؛ بصيغة أدبية مركزة يسهل تناولها وحفظـــها وتداولها ، إنّه صدى بيئات شعبية تخصّ فئات من الناس دون غيرها.

فالمثل إذا أسلوب خطير للتواصل بين الأفراد في المجتمعات ، وهذا يجعلنا نطرح الإشكاليتين الآتيتين :

- هل المثل ركيزة من ركائز الخطاب القرآني للتواصل مع الآخرين

- وهل ثمّة تقاطعات بين المثل القرآني و المثل العامي .

ذانكم هما الغاية من دراسة هذا الموضوع الموسوم بِـــ : **المثل بين الخطاب القرآني و التواصل العام – دراسة لغوية –**

ولا ريب أنّ المنهج العلمي الحديث في دراستـــه للظواهر اللغويـــة و اللهجيـــة ، الذي يجمع بين الوصف والاستقراء و التحليل في أوسع أبعادها ، هو أصلح منهج يمكنني أن أختاره لدراسة موضوع الرسالة .

وعلى العموم ، فإذا كان اختيار الموضوع هو الإطار الخارجي للبحث ، فإن المنهج المتوخى لهدا الموضوع يمثل الجانب الجوهري فيه ، ومن ثم ليس من السهل بمكان على الباحث الاقتصار فقط على منهج واحد ، لأن مادة بحثه تتطلب منه قبل كل شئ التنسيق بين مختلف أجزاء الموضوع على أساس سليـــم . وعليه يستلزم على الباحث نفسه الاستعانة بأكثر من منهج ليتّسم بحثه بتماسك فصوله .

أمّا بالنسبة للخطة التي اعتمدتها في دراستي للموضوع فتمثلت في المراحل الآتية :

– **مدخل** : درست فيه مفهوم المثل العربي من حيث اللغة و الاصطلاح ، ثمّ أقسامه و خصائصه و الفرق بينه و بين الحكمة ، كما أشرت إلى أهمّيته .

– **الفصل الأوّل** : والمعنون ب : **أمثال القرآن** ؛ أشرت فيه إلى مفهوم الأمثال في القرآن ، و ضرب المثل و كذلك أغراضه و فوائده في القرآن الكريم ، ثم أنواعـــه ، كما ذكرت خصائص

المثل و سماته البلاغية ، و بعدها تطرقت إلى أسلوبه و تأثيره ؛ فعرفت الأسلوب لغة و إصطلاحا ، و درست الأسلوب القرآني و خصيصة فنية التصوير فيه .

– **الفصل الثاني** : المعنون ب : **المثل العامّي** ؛ درست فيه اللهجة التي هي مادّةالمثل العامّي و الحامل له لغةً و اصطلاحًا وعرّفت اللغة و اللّحن ، كمـــا أشرت إلى العلاقة بين اللّغة و اللّهجة ، و كذا انقسام اللّغة إلى لهجات ، و سبب انتشار اللّحن و ظهور العامّيـــة ، و بعد ذلك عرّفت المثل العامّي ، و ذكرت فوائده و خصائصه و تركيبه اللغوي .

– **الفصل الثالث** : و عنونته بـــ : التوجيه اللّغوي للمثل القرآني ؛ و فيه درست الوجوه اللّغوية الواردة في الأمثال القرآنية المصرّح بها مع ذكر بعض مسائل التّرجيح في الاحتمالات اللّغويّة الواردة في نصّ المثل القرآني مع ربط هذا التّوجيه بالأبعاد الدِّلالية للخطاب القرآني .

– **الفصل الرابع** : عنونته بـــ : أثر الخطاب القرآني في التواصل العام ؛ عرّفتُ فيه الخطاب لغةً و اصطلاحاً ، كما درستُ الخطابَ و علاقتَه بالنص بعامّة ، ثُمّ الخطابَ القرآني بخاصّة . أيضاً عرّفت نظرية التواصل اللغوي . و عرّجت بعد ذا على محور التقاطعات النصِّية بين الخطاب القرآني من خلال المثل القرآني ، و بين المثل العربي الفصيح أو العامّي ، الذي هو نمط من أنماط التواصل اللّغـــوي العـــامّ ، و هذا كلـــه من خلال الاقتباس .

هذا و على الرغم من اجتهادي و تعبي و بذلي الجُهد و الوقت في دراســـة هذا الموضوع ، فإنّني أشعر أنّ هناك بعض الجوانب التي مازالت لم تدرس بعد ، و ذلك لشساعة مادّته ، و قلّة الدراسات العلمية ، و التي من شأنها أن تعمّق الدّراسة و تعطي نتائج أكثر دِقّةً و علميّة .

أمثـــال القـــرآن

تعـــــريف المـــثـــــل

ورد في القاموس المحيط أنَّ المثل معناه : الحُجّة والحديث ، وقد مثّل به تمثيلا ، وامتثله وتمثّله وبه[1]. وجاء في المعجم الوسيط أنّ المثل هو جملة من القول مقتطعة من كلام ، أومُرسَلة بذاتها، تُنقَل مِمّن وردت فيه إلى مُشابِهه بدون تغيير[2]. أمّا في لسان العرب فكلمة مثل تعني كلمة سويّة ، يقال : هذا مِثْله ومَثَلُه، كما يقال شِبْهه وشَبَهُه بمعنًى ، ويقال : تَمَثَّل فلان ضَرَبَ مثَلاً، وتَمثَّل بشيءٍ ضَرَبَهُ مَثَلاً[3].

لقد عُنِيت العرب بالأمثال عناية بالغة قَلَّ نظيرُها ، زَيَّنت بها كلامها ، ووشَّحت بها خُطبها في محافلها ، وتداولتها في مكاتباتها ومحاوراتها ، فكان لكل ضرب من ضروب حياتهم مثلٌ يلهج به فأصابت مفصل القول ولُباب المعنى .

---

[1]– القاموس المحيط : الفيروز آبادي . دار الجيل ، بيروت . مادة (مثل)

[2]– المعجم الوسيط : مجموعة من الأساتذة. دار الدعوى. استانبول . تركيا .1989 . مادة (مثل)

[3]– لسان العرب : أبن منظور. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت. 1968. مادة (مثل)

وبلغت عناية علماء البلاغة واللغة بالمثل مدًى مُمَيَّزًا عن سواهم منذ زمن مبكِّر ؛ لأنّه بالنسبة إليهم كان يجسِّد اللغة الصافية ، ولعلَّ أهم ما يطالعنا من هذه الأقـــوال ، قول أبي عبيد القاسم بن سلاَّم : « الأمثال حكمـــة العرب في الجاهليـــة والإسلام ، وبها كانت تُعارض كلامـــها ، فتبلُغ ما حاولت من

حاجاتها في النطق ، بكناية غير التصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللّفظ ، وإصـــبة المعنى ، وحسن التشبيه »[4]. وقد وافقـــه في هذا إبراهيم النظام حيث قال : « يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللّفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهـــاية البلاغـــة »[5].

وقال ابن عبد ربِّه منوِّهًا بشأنها : « هي وشيُ الكلام وجوهر اللّفظ وحلي المعنى ، فهي أبقى من الشّعر وأشرف من الخطابة ، لم يسِر شيء مسيرها ولا عمَّ عمومها حتى قيل : أسيَرُ من مثل ...»[6] ، وقال المرزوقي : « والمثل جملة من القول مقتضبة في أصلها ، أو مرسلة بذاتها ، فتتَّسم بالقبول ، وتشتهر بالتداول فتُنقل عما وردت فيه إلى كلِّ ما يصِحُّ قصده بها من غير تغيير يلحقُها

---

[4]– المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي.

[5]– مجمع الأمثال : للميداني . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية بيروت . 2003. 6/1 المقدمة.

[6]– الأمثال والحكم . أبو بكر الرازي. تصحيح وتعليق، د.فيروز حرير جي منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق .1987 : المقدمة .ص01.

من لفظها ، وعمَّا يوجبه الظاهر إلى أشباهِه من المعاني ، فلذلك تُضرب وإن جُهلت أسبابها التي خرجت عليها، واستُجيز من الحذف ومضارع ضرورات الشعر ملا يُستجاز في سائر الكلام »[7].

وقد ذُكرت الأمثال في القرآن الكريم ، كما كانت في مقدمة وسائل الدَّعوة المحمَّديَّة ، فاشتمل بذلك على العديد من الآيات نذكر منها :

قال تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَـــاءً وَ نِدَاءً**﴾[8].

قال الله تعالى : ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[9].

وقال الله عزوجل :﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَـــةً فَمَا فَوقَـــهَا** ﴾[10].

وقال سبحانه :﴿ **وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**﴾[11].

وقال تعـــالى: ﴿ **كَالذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ**﴾[12].

وقال تعـــالى :﴿ **فَمَثَلُـــهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِـــلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ** ﴾[13].

---

[7]- دراسات في المثل العربي المقارن. عبد الرحمن التكريتي : قسم البحوث والدِّراسات الأدبية واللُّغوية . 1984. ص15.

[8]- سورة البقرة : 17.

[9]- سورة الحشر :21.

[10]- سورة البقرة : 24 .

[11]- سورة آل عمران : 103.

[12]- سورة الأنعام : 71.

وقال جلَّ شأنه ﴿ مَثَلُ الذِّينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَولِياءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾[14].

وقد سلك الرّسول – صلّى الله عليه وسلم – بأحاديثه التي أصبحت أمثالاً نفس المسلك الذي سارت به أمثال القرآن الكريم وإليك بعضها [15]:

1 -اتَّقِ دَعوَةَ المَظلُوم فإنَّه ليسَ بَينَهَا وَبَينَ اللهِ حِجابٌ .
2 -إِذَا لَم تستَحِ فَاصنَع مَا شِئتَ .
3 -الأَرْواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَة .
4 -إِنَّمَا ال َبرُّ عِندَ عِبَصادِه الرُّحَماءَ .
5 -لاَ يُلدغُ المُؤمِنُ من جُحرٍ مرَّتين .
6 -النَّاسُ الصَّدمَةِ الأُولَى .
7 -إِنَّمَا يَرحَم اللهُ مِن مَعادِنُ كَمَعادِنِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ .
8 -مِن حُسنِ إسلامِ المَرء تركُه مالاَ يعنِيه .

كما أن أمثالا كثيرة قالها الصحابة الكرام من أكثرهم أمثالا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،[16] في قوله " رأي الشيخ خير من مشهد الغلام"[17].

---

[13]- سورة الأعراف : 176.
[14]- سورة العنكبوت :41.
[15]- دراسات في المثل العربي المقارن : ص 52-53.
[16]- المرجع السابق : ص54.
[17]- مجمع الأمثال 292/1.

و"لا أكون مثل الضبع تستمع اللّدم حتى تخرج فتصاد[18]" و" من فاز بفلان فقد فاز بالسّهم الأخيب"[19].

ومن الأمثال التي تنسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه قولـــه " ما من طامّة إلاّ وفوقها طامّة "[20].

ومن الأمثـــال التي تنسب إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنـــه قولـــه

" شوِي أخوك حتى إذا اتضح رمّد "[21] و" اليمين حِنث أو مندمة"[22].

وينسب إلى عمر بن العاص رضي الله عنه قوله : " إذا حككت قرحة أدميتـــها "[23].

وينسب إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله :" أَجْرِ الأُمورَ على أَذْلالِهـــا"[24].

---

[18]- مجمع الأمثال 242/2.

[19]- مجمع الأمثال . 308/2.

[20]- اللسان مادّة . (طمم).

[21]- مجمع الأمثال .360/1.

[22]- مجمع الأمثال . 421/2.

[23]- مجمع الأمثال . 28/1.

[24]- مجمع الامثال . 74/1.

أقســـــام المثـــــل العـــــــربي

الأمثال فن من فنون كلام العرب ، فهي وإن درجت تحت اسم واحد إلاّ أنّها تتنوّع وتتباين ، ممّا جعل الباحثين يختلفون في تقسيماتهم لها ، فمنهم من ركّز في تقسيمه للمثل على المورد أو الحادثة وأهمل المضمون ، ومنهم من كان تقسيمه غير شامل لكل أنواع المثل[25]. ورأي آخر يُلخِّص هذه التصنيفات في ثلاثة اتجاهات أساسية على حسب زمنيتها ، وعلة نشوئها وتسميتها الاصطلاحية[26]. إلاّ أن أغلبَ الكتب اتفق فيها الباحثون على أنَّ المثل العربي ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

1- المثل الموجز :

وهو المثل السائر وقد عرفه الدكتور عبد المجيد قطامش فقـــال :"المثل قول موجز سائر ، صائب المعنى تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة "[27]. فهو عبارة تقال في حادثة من الحوادث ثم تُرَدَّد في الحوادث المشابهة للحادثة الأولى مثل :" وافَقَ شَنٌّ طَـــبَقة "[28]. " جَزاءَ سِنِّمار"[29].

---

[25]- انظر التركيب في المثل العربي القديم: دراسة نحوية للجملة الاسمية: نوار عبيدي .مطبعة المعارف .ط1 .2005 . ص18-19.

[26]- الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) د.محمد توفيق أبو علي دار النفاس ط1. بيروت 1988م . ص43.

[27]- الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية. د.عبد المجيد قطامش . دار الفكر . ط1. دمشق 1988 . ص11.

[28]- مجمع الأمثال . الميدان العصرية. بيروت .2003 . 359/2. نهاية الأدب في فنون الأدب للنويري. دار الكتب والمؤسسة المصرية العامة 56/3.

[29]- مجمع الأمثال . الميداني 159/1.

2- المثل الحكمي :

وهو عبارة شائعة تنطوي على فكرة صائبة في الحياة ، ولكنها لا تَتعلَّق بحادثة معينة كقولهم " الجار قبل الدار" ، " الحرب خُدْعَة "[30].

3- المثل الخرافي :

وهو تلك الكلمات الموجزة السائرة التي أجراها العرب على ألسنة الحيونات ، أو بنوها على قصص خرافي نسجوه حوله[31]، ولهذا النوع من الأمثال مغزى تعليمي قوامه حكمة من الحكم ، ومنه أمثال كليلة ودمنة النثرية ، وأمثال أحمد شوقي الشعرية[32].

---

[30]- في الأدب وفنونه : علي بوملحم. المطبعة العصرية صيدا .لبنان . ص173.

[31]- الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية : د. قطامش.ص31.

[32]- في الأدب وفنونه : علي بوملحم . ص173.

خصـــــــائص المثـــــــــل

يكاد العلماء أن يتّفقوا على أنّ المثل العربي يمتاز بثلاث خصال تتراوح بين الإيجاز في العبارة ، والإصابة في المعنى ، وجمال التشبيه ، يقول أبو حيان التوحيدي في وصف المثل : « قال أبو سليمان : وأمّا بلاغة المثل ، فأن يكون اللفظ مقتضبًا ، والحذف محتملاً ، والصورة محفوظة ، والمرمى لطيفًا ، والتلويح كافيًا ، والإشارة مُغنيةً ، والعبارة سائرة »[33].

أولا : الإيجاز في اللفظ .

إنّ أخصَّ خصائص المثل الإيجـــاز والاختصار ، فهو قليل اللفظ كثير المعاني ، وهو يحتوي على نمط من الأخلاق والسلوك الإنساني وعلى فلسفة في الحياة ، إن لم نقل على فنها . إنها تُعبِّر عمَّا يُكِنُّه الشعوب والمجتمعات في أعماقها بما تحمله من أحداث تاريخية ذات وقائع متعددة[34].

فمن الأمثال ما يختصر الكلام الطويل ، ويُحذف منه ، مع محافظته على المعنى ، وعدم الإخلال بشيء منه ، ويكون مرتبطًا في الغالب بأصول وأحداث ذات تفصيلات ووقائع متشعبَّة ومتعدِّدة ، كقولهم :" جزاء سِنِمَّار"[35]. بمعنى جزَاهُ جزَاء سنمَّار ، وهو رجل رومِيّ بنى الخَوَرْنَقْ الذي بظهر الكوفة للنّعمان بن امرئ القيس ، فلمّا فرغ منه ألقاه من أعلاه ، فخرَّ ميتًا ، وإنّما فعـــل ذلك

---

[33]- الإمتاع والمؤانسة : أبو حيان التوحيدي . ص219.

[34]- الأمثال الشعبية الجزائرية : قادة بوتارن . ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر . ص05.

[35]- مجمع الأمثال : للميداني . 1/159-160.

لِئلا يبني مثلَه لغيره ، فضربت العرب به المثل لمن يجزي بالإحسان الإساءة . قال الشاعر :

جَزَتنا بنو سعْد بحُسن فعَالِنا ** جزاءَ سِنمَّار وما كان ذَا ذنبِ

ويقال : هو الذي بنى أُطْمَ أحيحة بن الجلاح ، فلمّا فرغ منه قال له أحيحة : لقد أحْكمتَه ، قال إنِّي لأعرف فيه حجرًا لو نُزع لتقوَّص من عند آخره ، فسأله عن الحجر ، فأراه موضعه ، فدفعَه أحيحة من الأطْم فخرَّ ميِّتًا .

ويقال مثل ذلك في المثل العربي القائل : سبق السَّيف العَذَلَ"[36] وأوَّل من قاله ضبَّة بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضَر ، وكان له ابنان يُقال لأحدهما سعْد وللآخر سعيد ، فنفَرت إبِل لضبّة تحت الليل ، فوجَّه ابنيه في طلبها ، فتفرَّقا فوجدها سعد ، فردَّها ، ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب ، وكان على الغلام بُردان فسأله الحارث إيَّاهما ، فأبى عليه ، فقتله وأخد بُرديه ، ثمّ إنّ ضبّة بن أدّ حجَّ فوافى عُكاظ فلقي بها الحارث ، ورأى عليه بُرَدي ابنه سعيد فعرفهما فقال له : هل أنت مُخبري ما هذان البُردان اللّذان عليك ؟ قال :بلى ، لقيتُ غُلامًا وهما عليه فسألته إيَّاهما فأبى عليّ فقتلته وأخذت بُرديه هذين ، فقال ضبَّة: بسيفك هذا ، قال نعم ، فقال : فأعطنيه أنظر إليه فإنّي أظنّه صـــارمًا ، فأعطاه الحارث سيفه ، فلمّا أخذه من يده هزّه ، وقـــال : الحديث

[36]- المصدر السابق : 1/197-198-328

ذو شجون ، ثمّ ضربه به حتّى قتله ، فقيل له : يا ضبَّة أفي الشهرالحرام ؟ فقال : سبَق السَّيف العذَل ، فهو أوَّل من سار عنه هذا المثل .

وحين نتمثل بهذا المثل في الأمر الذي لا يستطاع رده نكون قد اختصرنا هذه الحادثة بوقائعها المتعددة.

وكقولهم أيضا :" التّمر في البئر "[37]، أصل ذلك أنّ مناديا فيما زعموا كان في الجاهلية يكون على أطْم من آطام المدينة حين يدرك البسر ، فينادي : التمر في البئر ، أي من سقى وجد عاقبة سقيه في تمره ، وهذا قريب من قولهم : " عند الصباح يحمد القوم السُّرَى"[38].

وكقولهم : " عِلمان خيرٌ من عِلم"[39] وأصلـــه أنَّ رجُلاً وابنه سلكا طريقـــا ، فقال الرجل : يا بنيَّ استبحت لنا عن الطريق ، إنّي عالِم ، فقال : يا بنيّ علمان خير من علم ، يضرب في مدح المشاورة والبحث .

ثانيا : الإصابة في المعنى .

تحمل الأمثال وقائع تاريخية ومعارف حقيقية ؛ فهي بذلك تنطوي على أفكار صائبة تخضع للمنطق العقلي الفطري ، فهي نتاج عقول حكيمة وثمار تأمُّل وتدبُّر للحياة ، وخلاصة تجارب ومعاناة ، ولهذا تصيب الأمثال المعاني دائمًا ، فهي صائبة المعنى في ذاتها ، وصائبة المعنى حين يتمثل بهـــا الإنســـان ،

---

[37]- المصدر السابق :137/1.

[38]- المصدر نفسه : 137/1 . 3/2 .

[39]- نفسه : 23/2 .

حتى أصبحت كالقضايا المسلَّمة[40]، يقول عبد القاهر الجرحاني : « وهكذا كل كلام كان ضرب مثل ، لا يخفى على من له أدنى تمييز أنَّ الأغراض التي تكون للنَّاس في ذلك ، لا تُعرف من الألفاظ ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلَّةً على الأغراض والمقاصد ؛ ولو كان الذي يكون غرض المتكلِّم يُعلم من اللّفظ ، ما كان لِقولهم (ضرب كذا مثلاً لكذا) ، معنىً ، فما اللَّفظ يُضرب مثلا ولكن المعنى ، فإذا قلنا في قول النبي عليه السلام " إيَّاكُم وخضراء الدِّمن " إنَّه ضرب عليه السَّلام (خضراء الدِّمن) مثلا للمرأة الحسناء في منبت السوء ، لم يكن المعنى أنّه – صلى الله عليه وسلم – ضرب لفظ (خضراء الدّمن) مثلا لها هذا مالا يظنّه من به مسٌّ ، فضلا عن العـــاقل »[41].

وقال بعضهم في ضابط المثل : « إنَّه إبراز المعنى في صورة حسِّية تكسبه روعة وجمالاً .» والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون مجازًا مركَّبًا[42]. ولهذا جاء كثير منها في صيغ النُّصوص القانونية ، و الأحكام العامَّة ، كما جاء بعضُها في صُورة الأمر و النَّهي الّذين يستخدما في الحثّ على الخير والزّجر عن الشرّ وإسداء النَّصيحة والموعضة[43].

---

[40]– الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية . د .عبد المجيد قطامش . ص261 .

[41]– دلائل الإعجاز في علم المعاني . عبد القاهر الجرحاني المكتبة العصرية للطباعة والنشر . بيروت . 2002م ص408.

[42]– مباحث في علوم القرآن . منَّاع القطّان. مؤسسة الرسالة ط5 3 . بيروت لبنان . 1998 ص 258 .

[43]– الأمثال العربية . دراسة تاريخية تحليلية . د. عبد المجيد قطامش . ص261 .

كقولهم " إذا هبَّت رياحُك فاغتنمها"[44]. " الحقُّ أبلج والباطل لجلـــج"[45]." النَّار تأكل نفسها"[46]. " العفَّة جيش لا يُهزم"[47]. "النَّـــاس بالنَّـــاس"[48]." الكمال لله تعالى"[49]." العيب يُحدِّث"[50]." كلُّ فتاة بأبيها معجبة"[51]. " كلُّ شاة برجلِها ستُناط"[52]." من أشبَه أباه فما ظلم "[53]." إرض لغيرك ما رضيت لنفسك"[54]." أوَّل الحزم المشورة[55]".

ثالثا : جودة الكناية.

الكناية صورة بلاغية أصيلة في اللّغة العربية ، وتعود إلى بداهة الإنسان العربي ، وحدسه الواقعي بالأمور ، وقد تساعد على ازدهارها عنده إيثاره الإيجاز والدقة ، وحبّه للبساطة والوضوح في تأدية مقاصده سواء ما يتعلق منها بالمعنويات كالصفات ، والأفكار ، أو بالمحسوسات من موضوعات ، ومخاطبين[56].

---

[44]– الأمثال : الخوارزمي . تحقيق محمد حسين الأعرجي . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . الجزائر . 1994 . ص24 .

[45]– الأمثال : الخوارزمي . ص24 .

[46]– الأمثال : الخوارزمي . ص42 .

[47]– المصدرنفسه . ص 42 .

[48] – نفسه : ص42.

[49]– نفسه . ص 38 .

[50]– نفسه . ص38 .

[51]– نفسه. ص 38 . مجمع الأمثال الميدان . 134/2 .

[52]– المصدر السابق . ص 253 . مجمع الأمثال الميداني . 133/2 .

[53]– الأمثال : للخوارزمي . ص300 .

[54] - الأمثال الخوارزمي . ص25.

[55] ــ مجمع الأمثال : 52/1

[56]– اللغة والأسلوب . عدنان بن ذريل . مراجعة وتقديم حسن حميد مجدلاوي للنشر والتوزيع ط2 . 2006م . ص225 .

والكناية لغة ؛ أن تتكلّم بشيء وتريد غيره ، وكنىّ عن الأمر بغيره ، ويكني كناية، يعني إذا تكلَّم بغيره مما يستدلّ به عليه ... وكُنى الرُّؤيا هي الأمثال التي يضربها مالك الرّؤيا، يكنى بها عن أعيان الأمور[57].

والكناية كما اصطلح عليها علماء البلاغة ، لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ، كقولك " فلان طويل النجاد" أي طويل القامـــة " و" فلانة نؤوم الضّحى" أي مرفّهة و مخدومة[58].

وقسّموها ثلاثة أقسام كناية عن الصّفة وكناية عن الموصوف وكناية عن النّسبة[59].

وأسلوب المثل من أساليب الكناية والتعريض من حيث إنَّ المتمثّل لا يُصرّح بالمعنى الذي يريد ، وهو مضرب المثل ، ولا يعبّر عنه بالألفاظ الموضوعة له في اللّغة ، وإنّما يُخفي هذا المعنى ، ويعبّر عنه بألفاظ أخرى ، هي ألفاظ المثـــل ، وهذا هو معنى الكناية والتعريض لغويًّا[60]، يقول ابن منظور : « والتّعريض خلاف التّصريح ، والمعاريض : التّورية بالشّيء عن الشّيء... والتعريض قد يكون بضرب الأمثال ، وذكر الألغاز في جملة المقال»[61].

---

[57]– اللسان : مادّة (كنى)

[58]–الإيضاح في علوم البلاغة . القزويني تحقيق و تعليق وفهرسة غريد الشيخ محمد– إيمان الشيخ محمد دار الكتاب العربي ط1 بيروت 2004 . ص225 .

[59]– الإيضاح في علوم البلاغة . القزويني . ص225 . البلاغة في ثوبها الجديد . علم البيان . د . بكري شيخ أمين. دار العلم للملايين ط1 . بيروت 1982 ص159.

[60]– الأمثال العربية دراسية تاريخية تحليلية . د . عبد المجيد قطامش . ص267 .

[61]– اللسان : مادة (عرض).

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني مبيّنا بلاغة هذين الأسلوبين : « إنَّا نراهم كما يصنعون في نفس الصّفة بأن يذهبوا بها مذهب الكنـــاية والتعريـــض ، كذلك يذهبون في إثبات الصّفة هذا المذهب . وإذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطّرف ، ودقائق تُعجز الوصف ، ورأيتَ هناك شعراً شاعرا ، وسِحراً ساحراً ، وبلاغةً لا يكمُل لها إلاّ الشاعر المفلِقُ ، والخطيب المِصقع ، وكما أنّ الصّفة ، إذا لم تأتك مصرّحاً بِذكرِها مكشوفاً عـــن وجهِـــها ، ولكن مدلـــولاً عليها بِغيرِها ، كان ذلك أفخم لِشأنِها و ألطف لمكانِها ؛ كذلك إثباتك الصِّفة للشيء تثبتها له إذا لم تُلْقِه إلى السامع صريحا ، وجئت إليه من جـــانب التّعريض والكناية ، والرّمز والإشارة ، كان له من الفضل والمزيَّة ومن الحسن والرّونق ، مالا يقلّ قليله ، و لا يُجهل موضع الفضيلة فيه »[62].

يقـــول العرب " بلغت الدّمـــاء الثُّنَن "[63] يضرب عند بلوغ الشر النهـــاية ؛كما قالوا " بلغ السّيل الزُّبى" ، ولكن صاحب المثل أخفى هذا المعنى و لم يستعمل الألفاظ التي وضعت لها في اللغة وكنّى عنه بالألفاظ التي جاء عليها المثل.

وقولهم" تسألني برامتي سَلْجَما"[64]، يضرب لمن يطلب شيـــئًا في غير موضعه ، وهو معنى أخفاه المتمثل ثم كنَّى عنه بحالة تلك المرأة التي كانت مع

---

[62]- دلائل الأعجاز : الجرجاني . ص305.

[63]- مجمع الأمثال : الميداني 93/1.

[64]- مجمع الأمثال : الميداني 124/1.

زوجها في قفرة من الأرض ، لا تنبت السَّلجم ، وطلبت أن يحضر لها هـــذا النبات ، وعلى هذا تجري كل الأمثال ، لا يُصرَّح فيها بالمعاني المرادة ، وإنَّما يكنَّى عنها بألفاظ تفيد معاني أخرى[65].

رابعا : حسن التشبيه .

المثل يُبنى على المماثلة أو التّشبيه في جميع الصُّور التي جاء عليها سواء أجاء في صورة تشبيه اصطلاحي ، أم في صورة استعارة أو كناية ، أم جاء في صورة الحقيقة[66]. ففي كلّ هذه الصّور يتضمّن المثل التّشبيه الذي يقوم على مشبه ومشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه ، ويتوقف حسن التّشبيه على ملاحقة دقيقة لوجه الشبه بين أمرين[67].

وللتّشبيه مكانته في كلام العرب ، ومنزلته من بلاغتهم إذ لا يخلو معظم كلامهم منه ، يقول الخطيب القروييني :« وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح ، فاعلم أنه ممّا اتفق العقلاء على شرف قدره ، وفخامة أمره في فنّ البلاغة ، وأنّ تعقيب المعاني به ، يضاعف قواها في تحريك النُّفوس إلى المقصود بِها مدحا كانت أو ذمًّا ، أو افتخارا ، أو غير ذلك »[68].

وإذا كان التّشبيه ، بجميع صوره وأشكاله ، من أساليب البيان المتّفق على بلاغتها ، فإنّه في الأمثال يبلغ قمّة البلاغة ، ويحتلّ ذروتها ، ذلك أنّ

---

[65]– الأمثال العربية دراسة تحليلية : د.عبد المجيد قطامش . ص269 .

[66]–المرجع نفسه . ص263.

[67]– في الأدب وفنونه : علي بوملحم . ص176.

[68]– الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني . تحقيق غريد الشيخ محمد. إيمان الشيخ محمّد . دار الكتاب العربي . ط1 . بيروت . 2004 . ص147 .

مضارب الأمثال تكون عادة من المعاني المعقولة ، التي قد يصعب تصورّها ، واستكناه حقيقتها ومن ثم يلجأ الناس إلى ضرب الأمثال لها بأمور حسية وأحداث واقعية ، تكون مأنوسة لهم ، ومعروفة لديهم وهي موارد الأمثال ، فلا تلبث هذه المعاني المعقولة أن تبرر من الخفاء حتى تكون في متناول الحواس الظّاهرة[69].

والمثل يكون نثرًا تارة ، وذلك أكثرهم ، وقد يكون نظما ، فإنّ المثل وإن كان سائرًا لكنّه إذا نُظم كان أيسر له وأسهل على اللسان ، ثم أنَّه قد يقع بيتا كاملا وقد يقع نصف بيت أو ربعـــه أو نحو ذلك من الأجـــزاء وقد يرد المثل مستقلا، كقول طرفه بن العبد[70]:

لَعُمرُك ما الأيَّام إلاّ معارَةٌ *** فما استَطعت من معروفها فتزوَّد

وقال أيضـــــــــا[71] :

ستُبدي لك الأيَّام ما كنت جاهِلا *** ويأتيك بالأخبار من لم تُزوَّد

---

[69]– الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية : د. عبد المجيد قطامش . ص264.

[70]– ديوان طرفة . دار صادر بيروت . ص44 . الأمثال والحكم : أبو بكر الرازي تصحيح وتحليق . د. فيروز حريرجي . منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية بدمشق . 1987. ص30 .

[71]– ديوان طرفة . ص41 . الشعر والشعراء لإبن قتيمة. مطبعة بريل ليدن . 1902. ص93 . الأمثال والحكم . ص75.

وكقول أبي الطَّيِّب المتنبِّي[72] :

من يهُن يسهُل الهوانُ عليه *** ما لِجرحٍ بميِّت إيلامُ

وقوله أيضـــــا [73]:

إذا رأيت نيوب اللَّيثِ بارِزةً *** فلا تظنَّنَّ أنَّ اللَّيثَ يبتسِمُ

وقول حسان بن ثابت :[74]

جســـم الجمال و أحلام العصافيـــر

[72]– ديوان المتنبي . دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت . ص164 . الأمثال والحكم . ص46.

[73]– ديوان المتنبي . ص332 . الأمثال والحكم . ص44 .

[74]– ديوان حسان بن ثابت . دار صادر بيروت . ص122. الأمثال والحكم . ص148.

الفـــــرق بين المثـــــل والحكمـــة

الحكمة لغةً : العدل والعلم والحِلم والنبوَّة والقرآن والإنجيل .[75] و يقول العرب : حكُم فلان حُكمًا وحِكمَةً ، إذ صار حكيما أيّ عالِما وصاحب حكمة ، وعلى المعنى جاء قول النّمر بن تولب[76].

وأبغض بغيضك بغضا رُويدًا *** إذا أنت حاولت أن تحكُما

بمعنى إذا حاولت أن تكون حكيما.

أمَّا الحكمة في الاصطلاح ؛ يفسّرها العلماء ، القدماء على أنّها الكلام الذي يقلّ لفظه ويجلّ معناه[77]. لأنّه يمنع من الجهل ، قال الثعالبي : « هي نوع من العلم يمنع من ركوب الباطل» .[78] ويرى الدّكتور محمد جابر :« أنّها رؤية الحياة وما يضطرب فيها على ما هي عليه أو قريبا مما هي عليه . وأنَّ الحكم إن هي إلاّ إنعكاسات وأصداء لنظرات سديدة ، و خطوات صائبة فطرية أو

---

[75]– القاموس المحيط . الفيروز أبادي . دار الجيل . بيروت مادة (حكم).

[76]– اللسان : مادّة (حكم)

[77]– المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى .أحمد حسن الزيات . حامد عبد القادر . محمد علي النجّار . مادّة (حكم) . 190.

[78]– الأشباه والنظائر للثعالبي : 122 نقلا عن حكم من القرآن جرت مجرى الأمثال دار الفكر المعاصر . ط1. دمشق 2000م ص 11.

مكتسبة. فالحِكم تمكن من الحياة وتعين المتسلِّحين بها على إجتياز دروبها بخطى مطمئنّة»[79].

من هذه التعريفات يمكن أن نلمح عدة فروق بين المثل والحكمة من بينها :

1 -أنّ المثل أساسه التّشبيه ، تشبيه مضربه بمورده وأمّا الحكمة فعمادها إصابة المعنى ، ولا يراعى التشبيه فيها إلاّ حيث تصبح مثلا[80].

2 -الحكمة مقولة عامّة صالحة لكلّ زمان ولكل صقع تقريبا ، تقبل وتحفظ لأنّها منبثقة عن تجربة بشريّة ومصوغة في قالب قوي ، موجز ومقنع وبليغ . أمّا المثل فهو منبثق من حادث مخصوص ، فلا يصلح إلاَّ لتمثيل الظرف الذي أطلق فيه . وفي المقابل ، فإنَّ مقولة مثل : لبس لكل حالة لبوسها ، أو مرادفها : لكل مقام مقال ، لا تُحوج إلى معرفة ظروف ســـالفة ، لأنّ إطارها المرجعي يتّسع إلى البشرية جمعاء فالحكمة ناطقة بمفردها أمّا المثل فبوساطة ؛ أي بثقافة ضرورية مسبقة والحكمة تترجم بسهولة ، لأنّ اللّغة المنقول إليها لا تخلو من نظيرتها ، أمّا المثل فلا يترجم، إلا إذا ترجمنا معه الخبر الذي يصحبه عادة[81].

3 -الحكمة لا تصدر إلاّ عن فئات خاصة من الناس هم أولئك الذين أوتو قسطا موفورًا من الذّكاء ونفاذ البصيرة وفصاحة العبارة وبلاغتها ، كالأنبيـــاء

---

[79]- الأمثال في الحديث النبوي الشريف : د. محمد جابر فياض العلواني مكتبة المؤيّد للنّشر والتوزيع . ط1 . الرياض . 1993. ص193.

[80]- الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية . د. عبد المجيد قطامش . ص18.

[81]- أشتات في اللغة والأدب والنقد: محمد العيلاوي . دار الغرب الاسلامي . ط1 . بيروت . 1992 . ص400-401.

والحكماء والفلاسفة والشعراء وغيرهم . أمّا المثل يصدر عن جميع النّاس ، بمختلف طبقاتهم الفكرية والاجتماعية[82].

نخلص من كل هذا إلى أنَّ الحكمة والمثل وإن اختلفا في المنشأ والأسلوب قد يلتقيان ، فالمثل يصبح لونًا من ألوان الحكمة حين يضفي عليه الحكيم تجريدا[83].

والحكمة تُضحي مثلا حين يتمثَّل بها النّاس في تخاطبهم حتى تنتشر وتشتهر على ألسنتهم كانتشار واشتهار الأمثال .[84]

أهـــميـــة المثـــل العـــربي

[82]– الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية : د. عبد المجيد قطامش . ص18–19.

[83]– عفيف عبد الرحمن: الأمثال العربية القديمة في المجلة العربية للعلوم الانسانية . الكويت . 1983. العدد العاشر . ص30 . نقلا عن الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) . د . محمد توفيق أبو علي . ص49 .

[84]– حكم من القرآن جرت مجرى الأمثال دار الفكر المعاصر . ط1 . دمشق 2000. ص 11.

الأمثال مرآة من مرايا الفكر ، فهي تشكِّل رافدًا مهمًّا وخصبا للأمم والشعوب ، وهي أقوى تأثيرا في العلاقات الاجتماعية ، وألصق بحياة النـــاس ، لأنَّها تركِّز على السُّلوك الإنسان في ظروف وحالات متغيِّرة .

فتكون بذلك الأمثال أدلَّ على حياة الشعب من الشعر الذي لا يصدر إلاَّ عن طبقة أوتيت مواهب فنيّة ، فالمثل صوت الشعب كلة بجميع طبقاته ومستوياته الفكريّة ، سواء صدرت عن الخاصّة كالحكماء والشعراء والعلماء أم عن العامّة من النّاس .

وتخلع الأمثال على الكلام روعة وبهاء ، وتكسبه فخامة وقبولا ، تجعله يصافح المسامع ، ويلامس القلوب ، ويقع من النّفوس موقعًا كريمًا[85]. يقول شهاب الدِّين محمد أبي الفتح الأبشهي المحلى :« إعلم أنَّ الأمثال من أشرف ما وصل به اللّبيب خطابه وحلّى بجواهره كتابه . وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزّلة بكثير منها ، ولم يخل كلام سيِّدنا رسُول الله – صلَّى الله عليه وسلّم – عنها وهو أفصح العرب لسانًا ، وأكملهم بيانًا ، فكم في إيراده وإصداره من مثل يعجز عن مباراته في البلاغة كل بطل »[86].

اهتمّ علماؤنا العرب بالأمثال ، وأبرزوا مالها من مكـــانة رفيعة ، ومنزلة مرموقة ، بين الأنواع الأدبيّة الأخرى ، فمن متحدِّث عن أغراضها

---

[85]– الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية . د . عبد الحميد قطامش . ص251 .

[86]– المتطرف في كل فن مستظرق . شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأشبهي المحلى القاهرة . ص 41.

وأهدافها ، ومتحدّث عن خصائصها ومميّزاتها ، ما تعلّق منها بالشكل ، أو المضمون ، أو كليهما معًا[87] يقول ابن عبد ربّه : « هي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة »[88].

وقال الزّمخشري : « ولضرب العرب الأمثـــال ، واستحضار العلماء المثل ، والنظائر شأن ليس بالخفي ، في إبراز غيبيات المعاني . ورفع الأستار عن الحقائـــق ، حتى تريك المتخيّل في صورة المتحقق ، والمتوهم في معرض المتبقى ، والغائب كأنّه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألذ ، وقمع لسورة الجامـــح الأبيّ ، ولأمرٍما أكثر الله في كتابة المبين. وفي سائر كتبه أمثاله ، وفشت في كلام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وكلام الأنبياء والحكماء »[89].

ويقول الفخر الرّازي : « إنّها تؤثر في القلوب مالا يؤثر وصف الشيء في نفسه ، وذلك لأنّ الغرض من المثل تشبيه الخفيّ بالجليّ ، والغائب بالشاهد ، فيتأكّد الوقوف على ما هيته ، ويصير الحسّ مطابقا للعقل ، وذلك في نهـــاية الإيضاح ، ألا ترى أنّ الترغيب إذا وقع في الإيمان مجّردا عن ضرب مثل له لم يتأكّد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مثل بالظلمة ، وإذا أخبر بضعف أمر مجّردًا ، ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه

---

[87]- الأمثال في الحديث النبوي الشريفد.محمد جابر فياض العلواني . ص37.

[88]- العقد الفريد :63/3.

[89]- الكشاف عن حقائق غوامض التزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل للإمام محمد بن عمر الزمخشري . دار الكتاب العربي . بيروت . 1986. ص 72.

المبين وفي سائر كتبه أمثـــاله ، قال تعـــالى :﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثـــَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ** ﴾ »[90].

وقد وافقه ابن حيان الأندلسي فقال : « والمقصود من ذكر المثل أنَّه يؤثّر في القلوب مالا يؤثّره وصف الشّيء في نفسه لأنّ الغرض من ضرب المثل تشبيه الخفيّ بالجليّ ، والغائب بالشاهد ، فيتأكّد الوقوف على ماهيته ويصير الحسّ مطابقًا للعقل »[91].

وتتمثّل أيضا قيمة الأمثال في معرفة الشعوب وعاداتها وتقاليدها ، ونكشف بها الدّرجة الأدبية واللّغوية والحضارية التي بلغتها ، وأمثال كلّ أمّة مصدر هام جدّا للمؤرّخ والأخلاقي ، والاجتماعي ، يستطيعون منها أن يعرفوا كثيرا من أخلاق الأمة ، وعادتها ، وعقليتها ، ونظرتها إلى الحياة ، لأنَّ الأمثّال – عادة – وليدة البيئة التي نشأت عنها ، وفضلها على الشعر ، في صدق دلالتها على لغة الشعب ، لكونها تنبع من مختلف طبقاته ، أمّا الشّعر فلا ينبع إلاّ من طبقة الشعراء وهم عادةً أرقى من الشّعب ، وهم إن فات بعضهم رُقيّ المعنى فلن يفوته صقل اللّفظ ومن أجل هذا سمّاها بعضهم :" صوت الشعب "[92].

---

[90]– تفسير الفخر الرازي . للإمام محمد الرازي فخر الدين . دار الفكر . ط1 . لبنان . 1981 .80/1 .

[91]– تفسير البحر المحيط: ابن حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي ط1 بيروت لبنان 2002 ،ص109

[92]–التركيب في المثل العربي القديم –دراسة نحويّة للجملة الإسمية – نوار عبيدي .ط1 . 2005 .ص22 . فجر الإسلام : أحمد أمين . دار الكتاب العربي . ط10 . بيروت 1969 . ص61 .

وإذا كان للأمثال وظيفتها التي لا تنكر في التأثير والإقناع ضربها الله تعالى في كتابة العزيز ، بل أكثر من ضربها في مواطن إقناع الناس وموعظتهم وتبصيرهم بما ينفعهم أو يضرهم[93] .

[93]- الأمثال العربية درسة تاريخية تحليلية : د . عبد المجيد قطامش . ص251 .

أمثـــــــــال القـــــــرآن

تعريف المثل القرآني :

الأمثال طريقة من جملة الطرائق الأسلوبية التي عالجت بها الآيات القرآنية الحقائق في منازعها المختلفة [94]، وتجمع في طيّاتها نماذج حيّة مستمدّة من الوقائع المشاهد ، لتكون هذه النماذج أقيسة عامة للحقائق المجردة ، أو الأعمال المجرّبة أو الأمور التي لا تقع تحت الحسّ والإدراك في الدنيا، والتي يترتّب عليها أحكام شمولية ، ويبنى عليها صلاح أمر الناس في الدّنيا والآخرة[95].

إنّ القـــرآن قد أشاد بالأمثال وأوضح وظائفـــها ؛ حيث يقول الله عزوجـــل : ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُورًا**﴾[96] . وقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرْآن للنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أكثرُ شَيءٍ جَدَلاً**﴾[97] . وقوله سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرآن مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون**﴾[98] . وقال أيضا سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآن مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيُقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتمْ إلاَّ مُبطِلُونَ**﴾ [99]

---

[94] – عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن : علي الطهطاوي . دار الكتب العلمية .ط1 بيروت . 2004 . ص19

[95] – الأمثال القرآنية دراسة تحليلية : د. محمّد بكر إسماعيل . دار المنار .ط1 . القاهرة . 2000 .ص19

[96] – سورة الإسراء : 89.

[97] – سورة الكهف : 54.

[98] – سورة الزمر : 27.

[99] – سورة الروم : 58.

يقول ابن القيم في أمثال القرآن : « وقَع في القرآن أمثال ، وإنَّ أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون ، وإنّها شبيه شيء بشيء في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر»[100] .

ويسوق ابن القيم الأمثلة فتجد أكثرها على طريقة التّشبيه الصّريح ، كقوله تعالى :﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنيَا كَمَاءٍ أَنزَلنَاهُ مِن السَّماء** [101]﴾. ومنها ما يجيء على طريقة التّشبيه الضّمني كقوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾[102]. ومنها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة كقوله ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَن يَخلُقُوا ذُبَابَا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وإِنْ يَسْلُبهُم الذُّبَابُ شَيئًا لاَ يَستَنقِذوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمطلُوب** ﴾[103] وقوله عزَّ شأنُه ﴿ **إِنَّ الذِينَ تدعُونَ مِن دُونِ اللهِ لن يخلُقُوا ذُبابًا** ﴾. قد سمَّاهُ الله مثلاً وليس فيه استعارة ولا تشبيه.

---

[100]– أمثال القرآن : إبن قيم الجوزية . تحقيق : جميل إبراهيم حبيب . شركة دار الأرقم . بيروت لبنان . ص27 .

[101] – سورة يونس : 24.

[102] – سورة الحجرات : 12.

[103] – سورة الحج : 73.

وقال أبو عبد الله محمّد بن علي الحكيم الترميذي[104]: « ضرب الله الأمثال لمن غاب عـــن الأشياء ، وخفيت عليه الأشيـــاء ، فالعباد يحتاجـــون إلى ضرب الأمثال لّماخفيت عليهم الأشياء ، فضرب الله لهم مثلا من عند أنفسهم ؛ لا من عند نفسه ، ليُدركوا ما غاب عنهم ، فأمّا من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فلا يحتاج إلى الأمثال ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا».

وأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللّغوي هو الشبيه والنّظيـــر ، ولا يستقيم حملها على ما يُذكر في كتب اللغة لدى من ألّفوا في الأمثال ، إذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان ، فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفش استعماله[105].

كما يرد تفسير المثل في القرآن على خمسة وجوه هي :

1- مثل ، يعني شبه ، فذلك قوله تعالى :﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ**﴾[106] فالمراد بالأمثـــال الأشباه ، ونضربُـــها بمعنى نصِفها ، كقوله تعـــالى ﴿ **ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً** ﴾ أي وصف الله ، شبيها.

---

[104] -الأمثال من الكتاب و السنّة :الترميذي دار الكتب العلمية ط1. بيروت .2003. ص5.

[105]- مباحث في علوم القرآن : منّاع القطّان . ص259.

[106]-سورة العنكبوت : 43.

2- مثل ، يعني السَّير ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّة وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الذِينَ خَلَوْ مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾[107] يعني سير الأمم الخالية من قبلكم ، وقال سبحانه :﴿ **وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ**﴾[108] وقال ﴿ **وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الذِينَ خَلَوْ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾[109] يعني قول سبحانه ؛ سير العذاب من الأمم الخالية .

3- مثل ، يعني عبرة ، فذلك قوله تعالى ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخَرِينَ**﴾[110] . يعني عبرة لمن بعدهم ، كقوله عن عيس عليه السلام : ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾[111].

4- مثل ، يعني عذاب ، فذلك قولـــه تعالى :﴿ **وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَـــال** ﴾[112] يعني وصفنا له العذاب أنّه نازل بهم في الدّين . يعني الأمم الخالية ، نظيره قوله تعالى : ﴿ **وَضَرَبْنَا لَكُمْ الأَمْثَالَ** ﴾[113] يعني وصفنا لكم العذاب ، أي عذاب الأمم الخالية ، فخوَّف كفَّار مكَّة[114].

---

[107] – سورة البقرة : 214.

[108] – سورة الزّخرف : 08.

[109] – سورة النور : 34.

[110] – سورة الزخرف : 56.

[111] – سورة الزّخرف 59.

[112] – سورة الفرقان : 39.

[113] – سورة إبراهيم : 45.

[114] – مقاتل بن سليمان البلخي :الأشباه والنظائر في القرآن الكريم زص207. نقلا عن التعبير اللغوي في أمثال القرآن . د. محمود السيّد حسن المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية . 2001. ص20-21.

5- وقد يكون مثل بمعنى الصِّفة ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الجَنَّةِ التِي وُعِدَ المُتَّقُونَ** ﴾[115] أي صفة الجنَّة ، وقال تعالى :﴿ **وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى**﴾[116] أي الصِّفة العليا ، وهي قولنا لا إله إلاَّ الله وقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ مَثَلُهُم فِي التَّورَاةِ** ﴾[117] أي صفتهم ، وقال قوم إنَّما يعني المثل : المثال الذي يحذى عليه كما أنّه جعله مقياسًا لغيره [118].

---

[115] – سورة الرعد : 35.

[116] – سورة النحل : 60.

[117]– سورة الفتح : 29.

[118]– عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن : أحمد عبد العال الطهطاوي . ص 174. البرهان في علوم القرآن : ص 331.

ضـــــرب المثـــــل

لقد اختلف العلماء والباحثون اختلافا واسعًا في المعاني التي حملها لفظ (ضرب) المثل ففي اللّسان : (الذكر ، التمثيل ، الوصف ، التّبيين)[119]. وهذه معانٍ سياقيه عقّب بها قائلوها على الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها الضرب مقرونا بالمثل ، كقولهم في قوله تعالى :" واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً " بمعنى اذكر ، أو بيِّن أو مثّل وما أشبه . واقتصروا على مثل هذه الإشارات ، وقليلا ما تولوا إيضاحها وتعليلها[120].

وذهب أبو حيّان الأندلسي إلى أنّ الضرب : إمساس جسم بجسم بعنف ويكنّ به عن السّفر في الأرض ويكون بمعنى الصّنع والاعتمال [121]، أمّا الزّمخشري ذكر أنّ ضرب المثل اعتماده وصنعه ، من ضرب اللّبن وضرب الخاتم[122].

وذكر الدّكتور محمد بكر إسماعيل أنّ معنى ضرب المثل : نصبه للنّاس بإشهاره لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل عيونهم على الأشياء المنصوبة . واشتقاقه حينئذ من قولهم : ضربت الخباء ، إذا نصبته وأثبت طَنَبَهُ[123].

---

[119] - اللسان : مادّة (ضرب) .

[120] -ا لأمثال في الحديث النبوي الشريف : د . جابر فيّاض . ص30.

[121] - تفسير البحر المحيط : أبي حيّان الأندلسي . ص127. -

[122] - الكشاف : الزمخشري . 1 □ 114.

[123] - الأمثال القرآنية دراسة تحليلية . ص15.

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين المعنيّين بالدّراســـات القرآنية إلى توضيح ضرب المثل وتعليله ، منهـــم الأستـــاذ أمين الخـــولي الذي قـــال :« الضرب في الأصل الحسّي : إيقاع شيء على شيء ومنه ضرب الدّراهم لإيقاع السكة عليها ، أو ضرب الدّراهم من معنى الطبع ، والتأثير من السكة على المعدن ومنه استعمل ضرب بمعنى طبع وفطر ، فقيل : ضرب فلان على الكرم ، والضريبة : الطبيعة والسجيّة ، والضرائب : الطبائع ، ومن تشابه الدراهم المضروبة على السكة الواحدة قيل : هو ضريبة ، أو مثيله . . . واستعمال المثل : إيقاع حالة مورده على حالة مضربة الجديدة ، أو إظهار أثرها فيها وتشبيهها . فمن هنا استعمل الضرب ، في الاعتبار المعنوي ، المشابه للاعتبار الحيسّي ، من الضرب بمعنى : التأثير ، أو الضرب بمعنى : الصّوغ على أصل واحد"[124]. وهذا الرأي أيّده محمد جابر فياض حيث قال :" والذي يبدو لي أنّ ضرب المثل هو صوغه ، وإنشاؤه وابتكاره ، وأنّه اصطلاح كنظم القصيدة ، وأطلق على تلك الصياغة ، وهو ما ذهب إليه الأستاذ الخولي في أحـــد توجيهيه ، ومن قبله الزمخشري»[125]

أمّا الدّكتور عبد المجيد قطامشي فيرى أنّ (ضرب) المثل يراد به إطلاقه واستعماله في الحالات المتجددة ، التي تشبه الحالة الأولى ، كما ذكر أنّ اختلاف العلماء في الأصل الحسّي الذي أخذ منه لفظ (ضرب) المثل لفظي لا يؤثّر في المعنى الذي اختاره لضرب المثل[126].

---

[124]– الأمثال في الحديث النبوي الشريف : د . محمد جابر فياض العلواني . ص 32.

[125]– المرجع نفسه : ص 33.

[126]– الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية : د . عبد المجيد قطامش . ص 13.

أغراض وفوائـــد المثـــل فـــي القـــرآن الكـــريم

تُســـاق أساليب الأمثال في صورة من الإعجاز البياني لأولي الألباب ، حتى تكون صمام أمان من عذاب الله الذي أعدّه للكافرين ، وتبرز تلك المعاني المجرّدة في صورة محسوسة ، أو الأشياء المتخيّلة أو المتوهمة في صورة متحققة أو متيقنة من التمثيل الحركي أو القولي ، حتى يكون لذلك صداه في نفس المتلقّي أو المشاهد ، فينطبع في ذاكرته ، ويصل إلى قرار فؤاده ، فلا يمحى على مرّ الأيّام[127].

وضرب الأمثال في القرآن ، يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير والوعظ والحث والزجر، والاعتبار والتقرير وترتيب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس ، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس ، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، على المدح والذمّ ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر ، أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر[128] ، قال تعالى : ﴿ **وَضَرَبْنَا لَكُمْ الأَمْثَالَ**﴾[129]، فامتنّ علينا بذلك لما تضمّنت هذه الفـــوائد ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾[130] وقال : ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ**﴾[131].

---

[127]– عون اتحّان في شرح الأمثال في القرآن : أحمد عبد العال الطهطاوي . ص176.

[128]– البرهان في علوم القرآن : الزركشي . ص330 . البدائع في علوم القرآن ابن القيم الجوزية . انتقاء وتحقيق يسري السيد محمد . دار المعرفة . ط2 بيروت 2006 . ص141.

[129]– سورة إبراهيم : 45 .

[130]– سورة الروم : 58.

[131]– سورة العنكبوت : 43.

وقال الأصبهاني :« لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفيّ في إبراز خفيّات الدّقائق ورفع الأستار عن الحقائق ، تريك المتخيّل في صورة المتحقّق والمتوهّم في معرض المتيقّن ، والغـــائب كأنّه مشاهد ، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة ، وقمع لسورة الجامح الأبيّ ، فإنّه يؤثّر في القلوب ملا يؤثر في وصف الشيء في نفسه ، ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال ، ومن سور الإنجيل سورة تسمى ســـورة الأمثال ، وفشت في كلام النبي- صلى الله عليه وسلم- وكلام الأنبياء والحكماء »[132].

فقد أخرج البيهقي عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- :« إنّ القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحـــرام ، ومحكم ، ومتشابه وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتّبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال»[133] . والواضح أنّ النبي- صلى الله عليه وسلم- اعتبرها وجهًا من الوجوه القرآنية وقوله — صلى الله عليه وسلم- (واعتبروا بالأمثال) ، ترشح لنا مدى أهمّيته وخطورة الأمثال ، فهي تقوم بوظيفة التربية والتهذيب لكثير من النّفوس البشرية ، والنّفوس كلّـــما صقلت استقـــامت ونبت ، وكلّما تعفّنت اعوجّت وخرّبت[134].

من خلال التأمل في الأمثال القرآنية وتتبع أقوال العلماء نجد :

---

[132]- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي . مؤسسة الكتب الثقافية تحقيق سعيد المندر . ط2. بيروت . 244/3.

[133]- المصدر نفسه 343/3.

[134]- موسوعة علوم القرآن : د . عبد القادر محمد منصور دار العلم العربي ط1 سورية 2002 ،ص249.

-أنّ الأمثال تبرزُ المعقول في صورة المحسوس الذي يَلمسه الناس ، فصورة الممثّل له لا تحضر في ذهن المخاطب ونفسه إلاّ إذا صيغت في صورة حسّية قريبة الفهم ، حيث لا يُنازع الخيال العقل ، ومنه يذعن المخاطب بالإيمان و التسليم . وقال تعالى :﴿ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَــهُ صَلْدًا لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيءٍ مِمَّا كَسَبُوا** ﴾[135].

حذّر الله تعالى عباده من الامتنان على الفقراء بمنحهم الصّدقات أو التعالي عليهم بنسبة الفضل والعطاء على أنفسهم فالله تعالى هو المعطي لمن يريد والمانع عمن لا يريد ، كما حذّر من توبيخهم وتأنيبهم فذلك يحبط الثواب ويضيع الأجر ويتنافى مع الإيمان الوثيق الذي من ثمرته الإحسان إلى الفقراء والمبادرة إلى إخراج الصدقات وتصريفها إلى وجوه البّر بعيدا عن الرّياء والمظاهرة فإن ذلك مما يفيد العمل الصالح[136].

إنّ أجزاء هذا المثل البليغ وانطباقها على أجزاء الممثل به يعرّف عظمة الخالق وجلالته ، فإنّ الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي والمانّ والمؤذي ، فقلبه في قسوته عن الإيمان والإخلاص ، الذي لا يمكن أن يدرك بالحسّ الظاهر مترلة الحجر الأملس ، والعمل الذي لغير الله والذي هو أيضا بعيد عن إدراكنا الحسي بمترلة التراب الذي على ذلك الحجر ، فقسوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثّبات

---

[135]- سورة البقرة : 264.

[136]- التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم : محمد السيد حسن . ص134.

والنبات عند نزول الوابل[137]. وهذا كقوله تعالى في تمثيل المعقول في صورة المحسوس ﴿ **أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَومٍ عَاصِفٍ**﴾[138].

وقوله سبحانه :﴿ **أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ**﴾[139].

– تكشف الأمثال عن الحقائق ، وتعرض الغائب في معرض الحاضر[140]، قال تعالى :﴿ **الذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ**﴾[141]. تكشف لنا هذه الآية مشهدًا غائبًا عن أعيننا سيتحقَّق فعلا ، فأورده الأسلوب القرآني في معرض المشهد الحاضر وكأننا نراه رأي العين ، وظاهر الآية إنّ الشيطان يتخبّط الإنسان ، فقيل أضيف إلى فعل الشيطان على زعمات العرب أنّ الشّيطان يخبط الإنسان فيصرعه ، فورد على ما يعتقدون ، يقولون رجل ممسوس ، وجُنّ الرّجل ، فقد أبدى لأكل الرّبا صورة تستبشعها العرب على عادتها في ذكر ما استغربته واستوحشت منه[142]. كقولـــه تعـــالى :﴿ **طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِين** ﴾[143].

وكقول الشاعر امرئ القيس :

---

[137]– ينظر الكشاف : الزمخشري . أمثال القرآن : ابن القيم الجوزية . ص82.

[138]– سورة ابراهيم : 18.

[139]– سورة النور : 39 .

[140]– مباحث في علوم القرآن مناع القطان : ص263.

[141]– سورة البقرة :275.

[142]– البحر المحيط : 2/ 534- 536.

[143]– سورة الصافات : 65.

أيقتُلني والمشرفيُّ مُضاجعي **** ومَسنونة زُرق كأنياب أغوالِ[144]

– الترغيب والترهيب بذكر محاسن ما يرغب فيه ومساوىء ما ينفر منه[145]، كما في قوله تعالى :﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَة كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجتُثَّتْ مِنْ فوقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾[146].

المثل يرغّب في الكلمة الطبية التي هي كلمة التوحيد : لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله فإنّها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة و الباطنة ، فكل عمل صالح مرض لله ثمرة هذه الكلمة الطيبة أصلها ثابت راسخ في قلب المؤمن وفروعها متصلة بالسّماء كالشّجرة الطّيبة وهي النّخلة ، وينفّر من الكلمة الخبيثة ويحرص على الكفّ عنها فشبّهها بالشّجرة الخبيثة التي احتثّت من فــوق الأرض مالها من قرار ، فلا عرق ثابت ولا فرع عالٍ ولا ثمرة زاكية[147].

– ويضرب المثل لمدح من يستحقّ المدح وذمّ من يستحق الذمّ بقصد التمييّز بين المصلح والمفسد ، والمحسن ، والمسيء ، ليزداد المحسن أحسانا ، ويرْعوي المسيء عن إساءته كقوله تعالى في مدح النبي –صلى الله عليه وسلم–

---

[144]– ديوان امرىء القيس : ص125.

[145]– الأمثال القرآنية دراسة تحليلية : د . بكر اسماعيل . ص39.

[146]– سورة ابراهيم : 24-26.

[147]– البدائع في علوم القرآن : ابن القيم الجوزية : ص 155-156-158.

وأصحابه ليغيض الكافرين ﴿[148] **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ والذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الكُفّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ**﴾[149].

لقد بيّن الله تعالى في هذه الآية ما تحلّى به محمد- صلى الله عليه وسلم- فالمؤمنون من خلق فاضل وكمال وافر ، وسلوك نبيل ، وما أنطوت عليه نفوسهم من إخلاص عميق لخالقهم عّزوجل وبيان حالهم في صلاتهم وسائر عباداتهم ، حتى تلألأت وجوههم بنور الله تعالى بعد أن امتلأت بها قلوبهم فانعكس نورهم على سائر جوارحهم وعلى من يراهم ، فرؤيتهم تذكّر بالله تعالى وتهدي إليه[150].

ومن ذلك ما ورد في ذم اليهود في قوله تعالى :﴿ **مَثَلُ الذِينَ حُمِّلُوا التَّورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ [151].

شبّه الله تعالى اليهود المعاصرين للرسول –صلى الله عليه وسلم- الذين كلّفوا القيام بأوامر الثوراة ونواهيها ، و لم يطيقوا القيام بها حين كذبّوا الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهي ناطقة بنبوّتة ، شبه صفتهم بصفة الحمار الذي يحمل كتبًا ، فهو لا يدري ما عليه ، أكتبٌ هي أم صخر وغير ذلك ، وإنّما يدرك ما يلحقه من التعب بحملها[152].

---

[148]- الأمثال القرآنية دراسة تحليلية : ص42.

[149]- سورة الفتح : 29.

[150]-

[151] - سورة الجمعة : 05 .

[152]- البحر المحيط : إبن حيان الأندلسي 8/ 370.

- الأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ وأقوى في الزّجر وأقوم في الإقنـــاع ، وقد أكثر الله تعالى الأمثال في القـــرآن للتّذكرة والعبرة[153] ، قال تعـــالى ﴿ **وَتِلْكَ الأَمثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعقِلُهَا إِلاّ العَالِمُونَ**﴾[154].

[153] – مباحث في علوم القرآن : منّع القطّان . ص 264.

[154]– سورة العنكبوت : 43 .

أنواع المثـــل في القـــرآن الكـــــريم

الأمثـــال في القرآن تنقسم ثلاثة أنـــواع :

1 -الأمثال المصرّحة (أو القياسية)

2 -الأمثال الكامنة.

3 -الأمثال المرسلـــــة.

ـــ النـــــوع الأول : الأمثال المصرحة : وهي ما صرّح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبه[155].

كقوله تعالى ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوقَدَ نَارًا** ﴾[156].

وقال تعالى ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾[157].

وقال تعالى ﴿ **مَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِي يَنعِقُ بِمَا لاَ يَسمَعُ إِلاَّ دُعَاءًا وَنِدَاءًا صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌّ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[158].

قال تعالى ﴿ **وَالذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُم كَسَرَاب بِقِيعَةٍ**﴾[159].

قال تعالى ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ** ﴾[160].

قال تعالى ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** ﴾[161].

---

[155]- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان . ص260.

[156]- سورة البقرة : 17.

[157]- سورة النور : 35.

[158]- سورة البقرة :171.

[159]- سورة النور : 39.

[160]- سورة النور : 40 .

ـــ النـــوع الثاني : الأمثال الكامنة : وهي التي لم يصرّح فيها بلفظ التمثيل ، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها من أمثال العرب المعروفة .[162] قال الماوردي [163]:« سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب يقول سمعت أبي يقول يقول : سألت الحسين بن الفضل فقلت : إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن ، فهل تجد في كتاب الله " خير الأمور أوسطها"؟ قال نعم ، في أربعة مواضع ، قوله تعال: ﴿ **لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكرٌ عَوَانٌ بَينَ ذَلِكَ**﴾[164] وقوله تعالى ﴿ **وَالذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَم يُسرِفُوا وَلَم يَقْتُرُا وَكَانَ بَينَ ذَلِكَ قَوَامَا**﴾[165]، وقوله تعالى ﴿ **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ**﴾[166]. وقوله تعالى ﴿ **وَتَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغْ بَينَ ذَلِكَ سَبِيلاَ**﴾[167]

---

[161]– سورة البقرة : 19.

[162]– مباحث في علوم القرآن من القطان 261 . موسوعة علوم القرآن عبد القدر محمد منصور ،ص254-255.

[163] – الإتقان في علوم القرآن : السيوطي . 3 /346- 347.

[164]– سورة البقرة : 68 .

[165]– سورة الفرقان : 67 .

[166]– سورة الإسراء : 29 .

[167]– سورة الاسراء : 110 .

قلت : فهل تجد في كتاب الله " مَن جهِل شيئًا عاداهُ" ؟ قال نعم : في موضعين ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾[168]. ﴿ **وَإِذْ هُمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**﴾[169]

قلت : فهل تجد في كتاب الله : "احذر شرَّ من أَحسنتَ إليه" ؟ . قال : نعم في قوله تعالى ﴿ **وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغنَاهُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ**﴾[170].

قلت : فهل تجد في كتاب الله " ليس الخبر كالعيان" ؟ قال : في قوله تعالى ﴿ **قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾[171].

قلت : فهل تجد " في الحركات بركات"؟ . قال: في قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَ سَعَةً** ﴾[172].

قلت : فهل تجد " كما تدين تُدان "؟ . قال : في قوله تعالى ﴿ **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾[173]

قلت : فهل تجد فيه قولهم :" حين تقلي ندري"؟ . قال : في قولـــه تعالى ﴿ **وَسَوفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ العَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[174].

---

[168]- سورة يونس : 39 .

[169]- سورة :11.

[170]- سورة التوبة : 74.

[171]- سورة البقرة : 260 .

[172]- سورة النساء: 100.

[173]- سورة النساء : 123.

[174]- سورة الفرقان : 42 .

قلت : فهل تجد فيه " لا يلدغ المؤمن من جُحر مرَّتين"؟ . قال : في قوله تعالى ﴿ **هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيهِ إلاَّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ**﴾[175].

قلت : فهل تجد فيه : " مَن أعان ظالما سُلِّطَ عليه " ؟ . قال : ﴿ **كُتِبَ عَلَيهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَإِنّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ .[176]

قلت : فهل تجد في قولهم : " لا تلد الحية إلا الحية"؟ .قال : قوله تعالى :﴿ **وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا** ﴾[177].

قلت : فهل تجد فيه : " للحيطان آذان"؟ . قال في قوله تعالى : ﴿ **وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**﴾[178].

قلت : فهل تجد فيه :" الجاهِل مَرزوق والعَالم محرُوم" ؟. قال في قوله تعالى ﴿ **مَنْ كَانَ فِي الضَلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا**﴾[179].

قلت : فهل تجد فيه :" الحلال لا يأتيك إلاَّ قُوتًا ، والحَرام لا يأتيك إلاَّ جُزَافًا" ، قال : في قوله تعالى :﴿ **إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَومَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَومَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأتِيهِمْ** ﴾[180].

– النـــوع الثـــالث: الأمثال المرسلة ، وهي آيات جارية مجرى الأمثال: وهذه الآيات هي بمثابة جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه ،

---

[175]– سورة يوسف : 64 .

[176] – سورة الحجّ : 04 .

[177]– سورة نوح : 27 .

[178]– سورة التوبة : 47 .

[179]– سورة مريم : 75.

[180]– سورة الأعراف : 163.

وكثر التمثل بها ؛ لما فيها من العظة والعبرة وقوة الإقناع ، وبما تحمله من القوانين الأخلاقية والقيم الإنسانية ، و بما تمتاز به من الإيجاز في اللّفظ ، والعمق في المعنى وشموله ، وروعة التّصوير وغير ذلك.[181]

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ** ﴾[182] وقولـــه سبحانه : ﴿ **لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللهِ كاشِفَةٌ** ﴾[183] وقولـــه ﴿ **لَن تَنالُـــوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾[184].

﴿ **وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ** ﴾[185]

﴿ **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ** ﴾[186]

﴿ **قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ** ﴾[187]

﴿ **أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ** ﴾[188]

﴿ **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ** ﴾[189]

﴿ **لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ** ﴾[190]

---

[181] – ينظر :الإتقان في علوم القرآن 3/ 347. الثقافة القرآنية : د. مصطفى حمصي . مكتبة الغزالي . ط03. دمشق . 2005. ص67-69.

[182]– سورة يوسف :51 .

[183] –سورة النجم : 57 .

[184] – سورة آل عمرآن : 92 .

[185] – سورة يس : 78 .

[186] – سورة الحج : 10.

[187] – سورةيوسف : 41 .

[188]- سورة هود : 81 .

[189]- سورة سبأ : 84 .

[190]- سورة الأنعام : 67 .

﴿ وَ لاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾[191]

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾[192]

﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[193]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[194]

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاَغُ ﴾[195]

﴿ مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾[196]

﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾[197]

﴿ كَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ﴾[198]

﴿ الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾[199]

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾[200]

﴿ وَ لاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[201]

﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمِا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[202]

---

[191]– سورة فاطر : 43 .

[192]-سورة الإسراء : 84 .

[193]- سورة البقرة : 216 .

[194]- سورة المدثّر : 38 .

[195]- سورة المائدة : 99 .

[196]-سورة التوبة : 91 .

[197]- سورة الرحمن : 60 .

[198]-سورة البقرة : 249 .

[199]- سورة يونس : 91 .

[200]– سورة الحشر : 14.

[201]– سورة فاطر : 14.

[202]– سورة الروم : 32.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيراً لَأَسْمَعُهُمْ ﴾[203]

﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[204]

﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[205]

﴿ قُلْ لاَ يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾[206]

﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ ﴾[207]

﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ ﴾[208]

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ ﴾[209]

﴿ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾[210]

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾[211]

وهذا النوع من الأمثال يستنكره العلماء ؛ فهم يكرهون ضرب الأمثال بالقرآن ، ولا يرون أن تُتْلى آيةٌ من كتاب الله عند شيء يعرض من أمـــور الدنيا ، وذلك حفاظاً على روعة القرآن ومكانته في نفوس المؤمنين ، قال أبو

---

[203]– سورة الأنفال : 23.

[204]– سورة سبأ : 13.

[205]– سورة البقرة : 256.

[206]– سورة المائدة : 100.

[207]– سورة الروم : 41.

[208]– سورة الحج : 73.

[209]– سورة الصافات : 61 .

[210]– سورة ص : 24.

[211]– سورة الحشر : 02.

عبيد[212] : « وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أويَهمُّ بحاجته ، فيأتيه من غير طلب فيقول المازح ﴿ **جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى** ﴾[213] فهذا من الاستخفاف بالقرآن ، وبَيَّنهُ قولُ ابنِ شهاب : لا تناظر بكتاب الله ولا بسنّة – رسول الله صلى الله عليه وسلم – ، قال أبو عبيد : يقول : لا تجعل لهما نظيرا ».

أمّا النّوع الثاني فهو خال من وجه المشابهة بين الممثل والممثل له فهو لا يدخل في باب الأمثال ، ولو اشتملت العبارة على معنى وَرَدَ في المثل[214] . يقول الدكتور عبد المجيد قطامش في هذا النوع :« إن مجرد اشتماله على معان قريبة الشبه بمعاني بعض الأمثال لا يكفي لإطلاق لفظ (المثل) عليه لأن العبارة الموروثة والمتداولة ركن من أركان المثل ، وشرط من شروطه »[215].

وأما النّوع الأول ففيه خلاف ، وكلها اجتهادات العلماء ، تقوم على معرفة الغرض والحكمة من وراء سوق العبارات ، فإذا أبرزت الآيات صورة كاملة لحالتين متشابهتين في أمور ممتزجة لا انفصام بينها كان مثلا قياسيا ، ولو خلا من كلمة مثل.

وقد اعتبر بعض البلاغيين أن من جملة المثل القياسي ، ما قصد منه عرض قصة ، أو صورة مجازية ، ولم يرد فيها لفظ المثل صراحة ، مثل قوله تعالى : ﴿ **أَوكَالذِي مَرَّ عَلَى قَريَةٍ وَهِي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا** ﴾[216] ، و قوله ﴿ **وَاذْكُر أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَومَهُ بالأَحقَافِ** ﴾[217].

---

[212]– البرهان في علوم القرآن :328/3.

[213]– سورة طه : 40 .

[214]– الأمثال القرآنية :د.محمد بكر إسماعيل . ص 26.

[215]– الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية .ص148.

[216]– سورة البقرة : 259.

[217]– سورة الأحقاق :21.

وقد نظروا في ذلك إلى ما تقصد إليه الآيات من هدف التأديب والتّذكيـــر ، وما توحي من أمور الاعتبار والاتّعاظ[218].

ورأي يرى أنه إن لم يتوفر في المثل التشبيه المركّب ، وإن صرّح فيه بلفظ المثل فهو ليس مثلاً ، مثل قوله تعالى :﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَستَحيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا**﴾[219] ، لأنّ هذه الآية تقوم على التشبيه البسيط.

[218]- ينظر : عيون الحنان على شرح الأمثال في القرآن :ص180-181.

[219] - سورة البقرة : 26 .

خصائص المثل وسماته البلاغيّة

الحديث عن خصائص المثل هو الحديث عن بلاغة القرآن الكريم وإعجازه بصفة عامّة ، لأنّ أمثال القرآن مستوفية لخصائص المثل العربي إلى حدّ الإعجـــاز.

إعجـــاز القـــرآن:

لا جرم كان القرآن في إعجاز نظمه وتركيبه نمطا فريدا في القوة والإبداع ولا تكاد تقع منه على لفظ واحد يخلّ بطريقته اللّسانية في هذا الإعجاز القرآني.

إنّ طريقة نظـــم القرآن تجري على استواء واحـــد في تركيب الحـــروف باعتبارٍ من أصواتها و مخارجها ، وفي التّمكين للمعنى بحسّ الحكـــمة وصفتها ، ثم الافتناء فيه بوضعها في الكلام ، وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات ، لا يتفاوت ذلك و لا يختلّ ، فمن أين يدخل على قارئه مايكدُّ لسانَهُ ، أو ينبو بسمعه ، أو يفسد عليه إصغاءه أو يردّه عما هو منه بسبيله، أو يتقسّمُ إحساسه أو يتوزَّع فكره[220].

وأما ألفاظ القرآن الكريم ، فهي كيفما أدرتها وكيفما تأمّلتها ، وأين اعترضتها من مصادرها أو مواردها ، ومن أيّ جهة وافقتها ، فإنّك لا تصيب لها في نفسك ما دون اللّذة الحاضرة ، والحلاوة البادية ، والانسجام العذب ، وتراها تتساير إلى غاية واحدة ، وتسنح في معرض واحد ، ولا يمنعها اختلاف حروفها وتباين معاينها وتعدُّد مواقعها من أن تكون جوهرا واحدا في الطّبع

---

[220]– ينظر : إعجاز القرآن : الرافعي . ص242.

والصّقل وفي الماء والرّونق، كأنّها تتلامح بروحٍ حيّة ، ما هو إلاّ أن تتّصل حتى تمتزج بروحك وتخالط إحساسك ، فلن تكون معها إلا على حالة واحدة[221].

لقد اطّرد الإعجاز في القرآن من جهة تركيبه الذي انتظم أسبابه ، وذلك من الصوت في المقطع ، إلى المقطع في الكلمة ، إلى الكلمة في الجملة حتى يكون الأمر مقدّرا على تركيب الحواس النّفسية في الإنسان تقديرًا يطابق وضعها وقواها وتصرّفها[222].

ثمّ ماذا يبلغ القول من صفة هذا التركيب العجيب ، وأنت ترى أن أعجب منه مجيئة على هذا الوجه الذي يَستنفد كلّ ما في العقول البيانية من الفكر وكل ما في القوى من أسباب البحث ، كأنّما ركّب على مقادير العقول[223].

ولذا فإنّ أمر الإعجاز في القرآن يتعدّى الجانب اللّفظي ، وفصاحته ، وبلاغته وسموّ تراكيبه إلى جوانب أخرى تشدّ انتباه النّاس حقا في كل عصر وفي كل مكان[224]. يقول القاضي عيّاض في الشفا :« اعلم أنّ القرآن مُنطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه :

أوّلها : حسن تأليفه والتئام كلِمه وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

---

[221]– المرجع نفسه :ص 240 .

[222]– اعجاز القرآن : ص 237 .

[223]– المرجع نفسه : ص277 .

[224] – عون الحنّان في شرح الأمثال في القرآن : د . عبد العال الطهطاوي ص 158.

الثاني : صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ، ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له . قال : وكل واحد من هذين النّوعين . الإيجاز والبلاغة بذاتها ، والأسلوب الغريب بداته ، إعجاز على التحقيق ، لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما ، إذ كل واحد خارج عن قدرتها ، مباين لفصاحتها وكلامها ، خلافا لمن زعم أنّ الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب .

الوجه الثالث : ما انطوى عليه من الإخبار والمغيّبات وما لم يكن فوُجد كما ورد.

الرّابع : ما أنبأ به من أخبار القرون السّالفة والأمم البائدة ، والشرائع الداثرة ، مما كان لا يُعلم منه القصّة الواحدة إلاّ الفذّ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيروه – صلى الله عليه وسلم- على وجهه ويأتي به على نصِّه ، وهو أمّي لا يقرأ ولا يكتب »[225].

والقرآن الكريم أعجز جميع البشر بإيجازه الدّقيق الذي هو ركن من أركان الأسلوب المثلي وهو في المثل القرآني سمة بارزة ، لذلك سنقتصر هنا على توضيح هذه الخصيصة التي أوتي المثل القرآني منها حظّا فاق به كل كلام سواه.

[225]- الاتقان في علوم القرآن : 4/322- 323.

لقد تصدّى العلماء لبيان الفرق الكبير بين بلاغة المثل القرآني الموجز والمثل العربي القديم ، ليثبتوا أنّه لشتّان بين الثرى والثريّا ، ومثّلوا لذلك بقوله تعالى ﴿ **وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾[226] وقول العرب " القتل أنفى للقتل"[227].

قال الفخر الرّازي في تفسير الآية الكريمة :« اتّفق علماء البيان على أنّ هذه الآية في الإيجاز مع جمع المعاني باللّغة بالغة إلى حدّ أعلى الدرجات ، وذلك لأنّ العرب عبّروا عن هذا المعنى بألفاظٍ كثيرةٍ ، كقولهم : قتل البعض إحياء للجميع ، وقول آخرين : أكثِروا القتل ليقلّ القتل ، وأجود الألفاظ المنقولة عنهم في هذا الباب قولهم : " القتل أنفى للقتل "، ثمّ إنّ لفظ القرآن أفصح من هذا ، وبيان التّفاوت من وجوه: (أحدُها) أنَّ قوله ﴿ **وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ أخصر من الكل لأنّ قوله ﴿ **وَلَكُمْ** ﴾ لا يدخل في هذا الباب ، إذا لابدّ في الجميع من تقدير ذلك ، لأنّ قول القائل : " قتل البعض إحياء للجميع " لابدّ فيه من تقدير مثله ، و كذلك في قولهم : " القتل أنفى للقتل " . (وثانيها) أنّ قولهم "القتل أنفى للقتل" ظاهرة يقتضي كون الشيء سببًا لانتفاء نفسه وهو محال ، وقوله ﴿ **فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ ليس كذلك لأنّ المذكور هو نوع من القتل وهو القصاص ، ثمّ ما جعله سببا لنوع من أنواع الحياة (وثالثها) أنّ قولهم " القتل أنفى للقتل " ، فيه تكرار لِلفظ القتل وليس قوله ﴿ **فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾، كذلك (ورابعها) أنّ قول القائل :" القتل أنفى للقتل" ، لا يُفيد إلاّ الرّدع عن القتل وقوله ﴿ **وَفِي القِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾ يفيد

---

[226]- سورة البقرة : 179.

[227]- الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ،د.عبد المجيد قطامش ،ص132.

الرّدع عن القتل وعن الجرح وغيرهما فهو أجمع للفوائد . (وخامسها) أنّ نفي القتل مطلوب تبعًا من حيث إنّه يتضمّن حصول الحياة ، وأمّا الآية فإنّها دالّة على حصول الحياة وهو مقصـــود أصلي ، فكان هذا أولى (وسادسها) أنّ القتل ظلمًا قتل مع أنّه لا يكون نافيا للقتل بل هو سبب لزيادة القتل ، إنّما النَّافِي لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو القصـــاص ، فظاهر قولهم باطل ، أمّا الآية فهي صحيحة ظاهرة وتقديرًا، فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب»[228].

وقال الزّمخشري :« كلام فصيح لما فيه من الغرابة ، وهو أنّ القصاص قتل وتفويت للحياة ، وقد جُعل مكانا ، وظرفا للحياة ومن إصابة محزّ البلاغة بتعريف القصاص ، وتنكير الحياة ، لأنّ المعنى : ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة ، وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مُهَلهِل بأخيه كليب ، حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يُقتل بالمقتول غير قاتله ، فتثور القتلة ، ويقع التّناحر، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أيّ حياة أو نوع من الحياة ، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل ، لأنّه إذا همّ بالقتل فعلم أنّه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القوَد ، فكان القصاص سبب حياة نفسين»[229].

---

[228]- تفسير الفخر الرازي : 3/60-61.

[229]- الكشاف : 1/222-223.

ونورد كذلك بعض الدقائق في الإعجاز الحاصل في إصابة المعنى مما إستخلصه لنا مصطفى صادق الرافعي وهي كالآتي[230]:

1 -بدأ الآية بقوله ﴿ **وَلَكُمْ** ﴾ وهذا قيد يجعل هذه الآية خاصّة الإنسانية المؤمنة التي تطلب كمَالها في الإيمان ، فالآية الكريمة موجّهـــة إلى الإنسانية العالية ، ليوجِّهها في بعض معانيها إلى حقيقة من حقائق الحياة.

2 -قال: ﴿ **فِي القِصَاصِ** ﴾ ، و لم يقل في القتل ، فقيّده بهذه الصّفة التي تدل على أنّه جزاء ومؤاخذة ، فلا يمكن أن يكون منه المبادأة بالعدوان ولا أن يكون منه ما يخرج عن قدرة المُجازاة قَلَّ لو كَثُرَ.

3 -تفيد هذه الكلمة ﴿ **القِصَاص** ﴾ بصيغتها (صيغة المفاعلة) ما يشعر بوجوب التّحقيق ، وتمكين القاتل من المنازعة والدّفاع، وألاّ يكون قصاص إلاّ باستحقاق وعدل ، ولذا لم يأت بالكلمة من اقتصّ مع أنّها أكثر استعمالا لأنّ الاقتصاص شريعة الفرد ، والقصاص شريعة المجتمع.

4 -من إعجاز لفظة ﴿ **القِصَاص** ﴾ هذه أنّ الله تعالى سمّى بها قتل القاتل فلم يسمّيه قتلا كما فعلت الكلمة العربية ، لأنّ أحد القتلين هو جريمة واعتداء . فنزّه سبحانه العدل الشرعي حتى عن يشبهه بلفظ الجريمة وهذا منتهى السمر الأدبي في التعبير.

5 -ومن إعجاز اللفظة أنها كذلك تحمل كل ضروب القصاص من القتل دونه ... في حين أن كلمة القتل في المثل العربي تنطق في صراحة أنها لغة

[230]– وحي القلم : مصطفي صادق الرافعي. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر . 1991.

6 -الغريزة البشرية ولذلك كان تكرارها في المثل كتكرار الغلطـــة فالآية بلفظـــة ﴿ **القِصَاص** ﴾ تضعك أمام الألوهية البشرية بنقصها وظلمها.

7 -جاءت لفظة ﴿ **القِصَاص** ﴾ معرفة بأداة التعريف ، لتدلَّ على أنّه مقيّد بقيود كثيرة ، إذ هو في الحقيقة قوة من قوى التّدمير الإنسانية فلا تصلح الإنسانية بغير تقييدها.

8 -جاءت كلمة ﴿ **حَيَاةٌ** ﴾ مُنَوّنَة ، لتدُلَّ على أنّ ههنا ليست حياة بعينها مقيدة بإصطلاح معيّن ، فقد يكون في القصاص حياة اجتماعية ، وقد يكون فيه حياة سياسية وتكون حياة أدبية ، وقد تعظم في بعض الأحوال عن أن تكون حياة .

أمّا الدّكتور عبد المجيد قطامش فيلخص الفرق بين الآية الكريمة والمثل العربي في النقاط التالية[231] :

1 -أنّ الآية الكريمة أوجز من المثل ، لأنّ ﴿ **القِصَاصُ حَيَاةٌ** ﴾ لفظتان إثنتان ، على حين أنّ " القتل أنفى للقتل " ثلاثة ألفاظ.

2 -أنّ الآية الكريمة برئية من التّكرار المتكلف الذي في المثل.

3 -أنّه ليس كل قتل نافيا للقتل ، ولا مانعا منه بل قد يكون سببا في القتل ، كالأخذ بالثّأر ، أمّا القتل على سبيل القصاص ، والذي يتولاّه الحاكم ، فهو الجدير بأن يحسم القتل ، وأن يهب الناس حياة آمنة مطمئنة .

[231]- الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية : د.عبد المجيد قطامش . ص134-135.

4 -أنّ القِصَاص عقوبة مشروعة لمن يستحق الجزاء على جناية اقترفها فهو بذلك نوع من العدالة ، أمّا القتل في المثل العربي ، فقد يكون عدوانا كما يكون قصاصا.

5- أنّ كلمة ﴿ **القِصَاص** ﴾ أعمّ وأشمل من كلمة " القتل " لأنّها تشمل القصاص بالقتل ، والقصاص على الجروح والقصاص الذي يراد به التعزيز أو التأديب .

6- أنّ تقديم الجار والمجرور في الآية الكريمة يفيد التّخصيص ، وهذا ما لم يتهيّأ للمثل العربي .

7- أنّ الآية الكريمة ترغّب في القصاص ، وتحثّ عليه إذ جُعلت نتيجة الحياة التي نحبها جميعا ونحرص على دوامها.

5 -أنّ تنكير كلمة ﴿ **حياة** ﴾ في الآية الكريمة يفيد أنّها نوع من الحياة كريم عظيم .

6 -أنّ الآية الكريمة تمتاز عن المثل بحسن التّأليف وشدّة التّلاؤم لأنّ الانتقال من الفاء إلى الاّم في قوله تعالى ﴿ **فِي القِصَاصِ** ﴾ أسهل على أعضاء النطق من الانتقال من الاّم إلى الهمزة في المثل العربي " القتل أنفى".

وإذا تأمّلنا الصّور التّمثيلية في القرآن الكريم أدركنا قوة التّماسك بين أجزائها في صياغة فنّية بديعة تكشف عن روعة البيان في الأمثال الحكيمة وتبرز

قيمة الإبداع الذي يجلو صدأ العقول ويمكّن الصور المتناسقة في أجزائها في أذهان السّامعين[232].

والأمثال القياسية في القرآن الكريم صورة رفيعة من صور التّمثيل الذي يكون وجه الشّبه فيه منتزعا من عدّة أشياء ، والتّمثيل بدوره صورة من التّشبيه ، تقع منه في الذورة و الذؤابة[233].

وسنعرض بعض الأمثال القرآنية لتوضيح بلاغة القرآن في التمثيل وذلك في كقوله تعالى ﴿ **مَثَلُ الذِينَ حُمِّلُوا التَّورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الِحمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾[234].

يقول عبد القاهر الجرجاني عن هذه الآية الكريمة في معرض حديثه عن المثل . « إنّ هذا الشَّبه العقلي ربما انتُزع من شيء واحد ... وربّما انتزع من عدّة أمور يُجمع بعضها إلى بعض ، ثم يستخرج من مجموعها الشّبه، فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر ، حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد لا سبيل الشيئين يجمع بينهما و تُحفظ صورتهما ، ومثال ذلك قوله عزّوجل ﴿ **مَثَلُ الذِينَ حُمِّلُوا التَّورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الِحمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ ، الشّبه منتزع من أحوال الحمار ، وهو أنّه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودع ثمر العقول، ثم لا يحس بما فيها و لا يشعر بمضمونها ولا يفرّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء ولا من الدّلالة

---

[232]– التعبير الغوي في أمثال القرآن الكريم : د. محمود السيد حسن . ص 357– 376.

[233]– الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية :د. عبد المجيد قطامش . ص143.

[234]– سورة الجمعة : 05 .

عليه بسبيل ، فليس له ممّا يحمل حظّ سوى أنّه يثقل عليه ، ويكدُّ جنبيه فهو كما ترى بمقتضى أمور مجموعة ، ونتيجة لأشيـــاء ألّفت ، وقُرن بعضها إلى بعض ، بيان ذلك : أنّه أحتيج إلى أن يراعي من الحمار فعل مخصوص ، وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا ، وهو الأسفار التي فيها أمارات تدلّ على العلوم ، وأن يثلّث ذلك بجهل الحمار ما فيـــها ، حتى يحصل الشبه المقصود ، ثمّ إنّه لا يحصل من كل واحد من هذه الأمور عن الانفراد ، ولا يُتصوَّر أن يقال إنّه تشبيه بعد تشبيه من غير أن يقف الأوّل على الثاني ، ويدخل الثاني في الأول ، لأنّ الشبه لا يتعلّق بالحمل حتى يكون من الحمار ، ثم لا يتعلّق أيضا بحمل الحمار حتى يكون المحمول الأسفار ، ثم لا يتعلّق بهذا كله حتى يقترن به جهل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره"[235].

فقد نظن أنّ الاقتصار في التشبيه على ذكر الحمار يحقق غرض المثال لكونه لا يعقل ، ولكن الصورة تزداد وضوحا وجلاء وقوّة وتماسكا حين ينوِّه بذكر الأسفار التي يحملها من غير قدرة على فهم ما فيها أو شعورٍ بقيمتها وظنِّها أحمالا كالأحمال التي تثقِل كاهله وتجهده ، وذلك الوصف التمثيلي يطابق حال اليهود في أغراضهم عن أحكام التوراة وإبَائهم أن يستقرا من نبع حكمتها وموعظتها ويقتصرون على مجرَّد إثقال سواعدهم بحملها على سبيل المثال، التظاهر والتفاخر[236].

---

[235]– أسرار البلاغة : عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني تحقيق . د.عبد المجيد هنداوي دار الكتب العلمية . ط1 بيروت2001 ص76-77 .

[236]– التعبير اللغوي محمود السيد حسن ص376.

ويتضمّن التمثيل موعظة جليلة لكل من يكون على شاكلتهم أو من يتخبط على غير هدى وإن كان عالما ولم يعمل بعمله فمثله مثـــل الحمـــار الذي يثقل كاهله بأسفار الحكمة وليس له إلا الثِّقل والتَّعب وكدِّ جنبيه من غير فائدة ، فهذا مثله وبئس المثل[237].

ومنه قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيها أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَـــاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[238].

شبَّه سبحانه الحياة الدنيا في أنَّها تتزيَّن في عين النـــاظر ، فتروقه بزينتها ، وتعجبه فيميل إليها ويهواها اغترار منه بها ، حتى إذا ظنّ أنه مالك لها وقد أسرته ببريقها ، انقلبت عليه فجأة فعضّته بنابها ، وهذه الحال تشبه الأرض التي يترل عليها الغيث فتهتزّ ويحسن نباتها ويروق في أعين النّاظرين حتى يغترّوا بها ويظنّوا أنّهم قادرون عليها فتبغته الواقعة وتدرك نباتها الأفة بصورة عاجلة فتصبح هشيما ، يابسا وكأنّها لم تكن قبل شيئا ، فيخيب ظنّ أهلها ، ويذهب
رجاؤهم منها بعد أن تصير حُطاما ... فذلك مثل الدنيا والعاكف عليها المستوثق منها[239].

---

[237]- المرجع نفسه : ص376.

[238]- سورة يونس : 24.

[239]- التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم : ص153.

كشفت الآية الكريمة عن حقيقة الدّنيا وصفتها الواقعية في صورة تمثيلية تقرِّر سرعة زوالها وضرورة انقضائها وانقطاع سرورها وبهجتها ونعيمـــها ، وتزجر عن الرّكون إليها أو العكوف عليها وتحذر من تعلق القلوب بها واغترارها ببريق زخرفها ونضارتها.

وقد جاء البيان شافيا للنّفوس المؤمنة لتصمد في مواجهة المحن والبلايا وتصبر على منغصات هذه الدار ونوائِبها ، فعرضها زائل ونعيمها إلى التبدّد والفناء فهل من عبرة أعظم من تكشف هذه الحقائق[240].

أمّا عبد القاهر الجرجاني فعد التشبيه الذي هو في الآية الكريمة تمثيلا حقيقيا . فقال : « وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أنّ المثل الحقيقي ، والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى "تمثيلا" لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ، ما تجده لا يحصل لك إلاّ من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى إنّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليًّا محضًا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر ؛ ألاَ ترى إلى نحو قوله عزَّوجل ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ...**﴾ كيف كثرت الجُمَلُ فيه ؟ حتى إنَّك ترى في هذه الآية عشرَ جمل إذا فُصِّلت ، وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنّها جملة واحدة ، ثمّ إنّ الشبه منتزع من مجموعها ؛ من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، وإفرادُ شطـــر مـــن شطـــر ، حتى إنَّك لو حذفت منها جملة واحدة من أيِّ موضع كان ، أخلّ ذلك بالمغزى من التّشبيه»[241].

---

[240]- المرجع نفسه : ص154.

[241]- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني . ص81 .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ماءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الحَقَّ وَ البَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ** ﴾[242].

يُفسّر الزمخشري الآية بقوله :« هذا مثلٌ ضربه الله سبحانه للحقّ وأهله والباطل وحزبه ، كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما ، فمثَّل الحقَّ وأهله بالماء الذي يترله من السّماء فتسيل به أودية الناس فيَحْيَون به وينفعهم أنواع المنافع . وبالفِلِزّ الذي ينتفعون به في صوغ الحُلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ، ولو لم يكن إلاّ الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به ، وأنّ ذلك ماكث في الأرض باق بقاءً ظاهرا يثبُت الماء في منافعه ، وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبث به مما يدخَّر ويُكنَز. وكذلك الجواهر تبقى أزمنةٌ متطاولة ، وشبَّه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشيكِ زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يُرمى به ، وبزبد الفِلزِّ الذي يطفو فوقه إذا أُذيب»[243].

وفي هذا النَّص صورة بلاغية من قبيل الإسناد المجازي ، إذ أسند السَّيلان إلى الوادي ، مع أنّ المراد ، سيلان الماء فيه . والغرض الفكري من هذا المجاز هو

---

[242]- سورة الرعد: 17.

[243]- الكشاف : 523/2.

إعطاء السامع صورة تشعر على سبيل التخيُّل بأنّ الوادي فعلا يسير ، وهذه الصورة قد تحدث في توهّم الإنسان ، أو في تخيُّلاته حينما يشاهد فعلا هدير الماء الكثير المتدفِّق الذي يملأ الوادي[244]

[244]– قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل : عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني .ص504.

الأسلـــوب القرآني وتأثيـــره

تعريـــف الأسلـــوب

الأسلوب لغةً هو الطريق وعُنق الأسد والشّموخُ في الأنف[245]. أمّا اصطلاحا ؛ فقد تواضع المتأدِّبون وعلماء اللَغة ، على أنّ الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه ؛ أو هو طابع الكلام أو فنِّه الذي انفرد به المتكلم كذلك[246].

وهو طريقة الكتاب الخاصّة في الكتابة ، وقد ارتبطت دراسته بالبلاغة على اعتبار أنّها تدرس القول وتعلم الأفضل فيه ، والقدماء اليونان ومن تبعهم في تعليهم البلاغي ، يتمثلون (الأسلوب) كثمرة للجهد الذي يبذله الكتاب في صنعه الكتابة[247].

الأسلـــوب القـــرآني

أتى القرآن الكريم بأسلوب معجز ، متميِّز عن بقية الأساليب المألوفة في وقته ، لأنّه من الله فبهر النّاس جميعا ، وأسر منهم القلوب وسيطر على نفوسهم فاستجابت الأفئدة إليه ولم تنأ عنه إلاّ تلك القلوب المريضة التي قست كالحجارة.

---

[245]– القاموس المحيط : مادة.

[246]– مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني. المكتبة العصرية . 2004.بيروت.277/2.

[247]– اللغة والأسلوب : مراجعة وتقديم حسن حميد. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع . ط2 .الأردن . 2006.ص151.

سمعه نفر من الجنّ ، فقالوا :﴿ **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾[248]، وسمعه نفر من النّصارى فخشعت له قلوبهم وقالوا ، كما عبّر القرآن الكريم ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾[249]، وسمعه زعيم من زعماء قريش ، فقال : إنَّه يعلوُ ولا يُعلى عليه[250].

وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه ، واختيار ألفاظه ، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به ، فإنّ لكلّ كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به، وأساليب المتكلّمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر ، تتعدّد بتعدّد أشخاصهم ، بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها[251].

والأسلوب القرآني الحكيم لا يجيئ في عزلة عن الآيات السّابقة له واللاّحقة ، وإنّما يأتي شارحا لما قبله ، ممهّدا لما بعده ، مصحوبا بالحكم على من أطاع ومن عصى ، فهي قوله عزّوجل ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا**﴾ نجد أربعة أمور متلازمة ، تسير جنبا إلى جنب لا تكاد تفارق أي مثل من أمثال القرآن الكريم[252].

---

[248]- سورة الجن : 1-2 .

[249]- سورة المائدة : 82-83.

[250]- عون الحنّان في شرح الأمثال في القرآن الكريم: علي أحمد عبد العال الطهطاوي زص156.

[251]- مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني .ص277.

[252]- الأمثال القرآنية دراسة تحليلية : د.محمد بكر إسماعيل . ص32-33.

الأوّل أنّه يشرح ما قبله من الآيات في قوله تعالى ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَمَا هَمْ بِمُؤمِنِين يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ ، وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ وَ إِذِا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُــؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** ﴾[253].

لقد ذكر الله سبحانه أوصاف المنافقين ، ثم ساق المثل بيانا لحالهم وحقائق نفوسهم المريضة التي اتسمت[254] بالآتي:

ـــ التّظاهر بالإيمان مع كفرهم.

ـــ اعتقاداتهم بأنهم يخادعون الله ويخدعون المؤمنين بأعمالهم ومظهرهم ، والله يفضح كيدهم .

ـــ تغلغل النّفاق في قلوبهم ، وهو مرض لا يرجى معه الشفاء وعقابه شديد يوم القيامـــة.

ـــ ادِّعاء الإصلاح والصلاح مع إضمار خلافهما.

---

[253]- سورة البقرة : 8- 16.

[254]- عيون الحنان في شرح الأمثال في القرآن : علي أحمد عبد العال الطهطاوي . ص237.

ـــ التّعالي على المؤمنين والتكبُّر على مجالسهم والغرور بالنفس .

ـــ التظاهر بالإيمان أمام الناس ، والانضمام لأعداء الله في السِّر.

ـــ النّفاق تجارة خاسرة لا تنفع صاحبها في الدينا ولا في الآخرة.

والثاني : أنه يمهد لما بعده، وهو تكليف الخلق بتوحيد الله وعبادته قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[255].

الثالث : إنّه يُصدِّقُ الحكمَ على مَن ضُرِب فيهم المثل ، فإن كانوا من الأخيار ، فهم الحسنى ، وإن كانوا من الأشرار ، فلهم سوء العقبى .

الرابع : أنه يحمل المثل في طياته من الحجج البالغة على صدق الرسل فيما يبلغون عن ربهم .

يضاف إليها براعته في ثروته في أفانين الكلام ، ومعنى هذا أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة ، بمقدرة خارقة ، تنقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء[256].

ولو أنعمنا النظر في أسلوب المثل القرآني بوجه خاص لوجدنا ذلك واضحا جليا ؛ ففي قوله تعالى ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ، ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ رَعْــدٌ وَ بَرْقٌ**

---

[255]- سورة البقرة :21.

[256]- الأمثال القرآنية دراسة تحليلية: د.محمد بكر إسماعيل . ص33.

يَجْعَلُونَ أَصَابِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ﴾[257].

في هذا النّص ضرب الله عزوجل مثلين لصنفي المنافقين ؛ الصنف الأول : هـــو الصنف الذي مرد على النفاق ، فهو كافرٌ ضِمْـــناً دون تردد متظاهرٌ بالإسلام كذبا و زُورًا ، لذلك جاء في وصف أفراده قول الله عزوجل : ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌ فَهُم لاَ يَرجِعُونَ** ﴾[258]، لكن هذا القسم لم يضل إلى مرحلة الجزم بهذا الموقف ، الذي يُعلن فيه الإسلام ويبطن الكفر من أوَّل الأمر ، بل مرّ بمرحلة رؤية نور الإسلام ، و الاستضاءة به ودل على ذلك قولـــه تعالى : ﴿ **كَمَثَلِ الذِي اسْتَوقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَولَهُ** ﴾[259].

وقد ذكر أبو حيان الأندلسي في معنى تشبيه المنافقين بوصف المستوقد نارا ، فقال : « وفي جهة المماثلة بينهم وبين الذي استوقد نارا وجوه ذكروها : الأوّل : أنّ مستوقد النّار يدفع بها الأذى ، فإذ انطفأت عنه وصل الأذى إليه ، كذلك المنافق يحقن دمه بالإسلام ، ويبيحه بالكفر ، الثاني : أنّه يهتدي بها ، فإذا انطفأت ضلّ، كذلك المنافق يهتدي بالإسلام ، فإذا اطلع على نفاقه ذهب عنه نور الإسلام وعاد إلى ظلمة كفره ، الثالث : أنّه إذا لم

---

[257]- سورة البقرة : 17-18-19-20.

[258]- سورة البقرة : 18.

[259]- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل : د. عبد الرحمن حسن جنبكه الميداني . دار القلم . ط3 . دمشق 2004.ص506.

يُمدَّها بالحطب ذهب ضوءه ، كذلك المنافق ، إذا لم يستدم الإيمان ذهب إيمانه ، الرابع : أنَّ المستضيء بها نوره من جهة غيره لا من جهة نفسه ، فإذا ذهبت النّار بقي في ظلمة ، كذلك المنافق لما أقرّ بلسانه من غير اعتقاد قلبه كان نور إيمانه كالمستعار ، الخامس : أنّ الله شبّه إقبالهم على المسلمين بالإضاءة وعلى المشركين بالذهاب ، قاله مجاهد : السادس : أنّه مثل ضربه الله للمنافق لأنه أظهر الإسلام فحقن به دمه ومشى في حرمته وضيائه ثم سلبه في الآخرة عند حاجته إليه»[260].

ودلّ على أنّهم أغمضوا أجفانهم ، فذهب الله بنورهم بمقتضى قوانينه السببية[261]، قول الله تعالى ﴿ **فَلَمَّا أَضَاءَت مَا حَولَه ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبصِرُون** ﴾ .

ومن بديع التّمثيل في هذه الآية أنّه سبحانه لم يقل في سياقـــها " ذهب الله بضوئهم" و إن كان معنى الإضاءة مصرّحا به في الفعل ، وما ذلك إلاّ لكون النّور أبلغ في التّعبير والضّوء فيه دلالة على الزّيادة فقصد انقطاع النّور وطمسه عنهم وإذا حدث ذلك شملهم الظلام[262]، وقد وضّح هذا الزّمخشري في تفسيره ، فقال :« فإن قلت : هلا قيل ذهب الله بضوئهم ؟ لقوله ﴿ **فَلَمَّا أضَاءَتْ** ﴾ ؟ قلت : ذكر النّور أبلغ ، لأنّ الضّوء فيه دلالة على الزّيادة ، فلو قيل : ذهب الله

---

[260]– تفسير البحر المحيط : أبي حيان الأندلسي . ص111.

[261]– قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل : عبد الرّحمان حسن . ص506.

[262]– التعبير اللغوي في أمثال القرآن : د. محمود السيد حسن . ص247.

بضوئهم ، لأوهم الذّهاب بالزّيـــادة وبقاء ما يسمّى نورا ، والغرض إزالة النّور عنهم رأسا وطمسه أصلا . ألا ترى كيف ذكر عقيبه ﴿ **وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ**﴾ والظُّلمة عبارة عن عدم النّور وانطماسه ، وكيف جمعها ، كيف نكّرها ، وكيف أتبعها ما يدلّ على أنّها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله ﴿ **لاَ يُبصِرُون** ﴾[263].

والصّنف الثاني من المنافقين : هو الصنف المذبذب بين الإيمان والكفر وهو إلى الكفر أقرب وقد دلّ واقع حالهم هذا قول الله عزوجل في المثل الثاني : ﴿ **أَو كَصَيب مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعدٌ وَبَرْقٌ** ﴾ وهو يحمل عدة معان متشابهة[264] :

ـــ ﴿ **الصَيِّب** ﴾ : مثال ما يترل من السّماء على الرّسول.

ـــ ﴿ **ظُلُمَاتٌ** ﴾ : مثال حال من يغمض عينيه عن هدى الله ، ونور كتابه .

ـــ ﴿ **رَعْدٌ** ﴾ : مثال آيات الإنذار والوعيد.

ـــ ﴿ **بَرْقٌ** ﴾ : مثال لمحاتٍ من نور ما يُترّل الله على رسوله ، حين يفتح هؤلاء عيونهم للرؤية .

ـــ ﴿ **يَجعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ** ﴾ : مثال من يَصدُّ سمعه عن آيات الوعيد بعد أن يسمع بداياتها.

ـــ ﴿ **الصَّوَاعِقِ** ﴾ : مثال العقوبات يتخوَّف المنافقون المذبذبون أن تترل بهم .

---

[263]- الكشاف : 74/1.

[264]- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل : عبد الرحمن حسن . ص 507-509.

ـــ ﴿ **والله محيط بالكافرين** ﴾ : أي مادامت حالهم كذلك فهم بحكم الكفرة ، لأنّ مدّة إقبالهم على الإيمان لم تصل إلى مستوى إخراجهم من دائرة الكفر .

ـــ ﴿ **كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَشَوا فِيه** ﴾ : مثال حالهم حينما يفتحون أَعيُنهم على ما جاء به رسول الله – صلّى الله عليه و سلّم – .

ـــ ﴿ **وَإِذَا أَظلَمَ عَلَيهِم قَامُوا** ﴾ : مثال حالهم حينما يغمضون أعينهم ، وهي الحال الغالبة عليهم .

يقول الزّمخشري في تفسير الآية :« فإن قلت : قد شبّه المنافق في التّمثيل الأوّل بالمستوقد نارا ، وإظهاره الإيمان بإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، فماذا شبّه في التمثيل الثاني بالصّيب وبالظلمات وبالرّعد وبالبرق وبالصّواعق ؟ قلت : لقائل أن يقول : شبّه دين الإسلام بالصّيب ، لأنّ القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر. وما يتعلّق به من شبّه الكفار بالظلمات ، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يُصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق »[265].

هذا على أنّ فيه من الوجوه البليغة والمعاني الكثيرة والأغراض الوافرة ، ممّا لو كان في كلام النّاس يظهر عليه صبغ النّفس الإنسانية لا محالة ، بأوضح معاينة وأظهر ألوانه ، وبصفات كثيرة من أحوال النفس[266].

---

[265]– الكشاف : 79/1.

[266]– إعجاز القرآن : الرافعي . ص206 .

ومعنى آخر، وهو أنّنا نرى أسلوب القرآن من اللّين والمطاوعة على التّقليب ، والمرونة في التّأويل ، بحيث لا يُصادم الآراء الكثيرة المتقابلة التي تخرج بها طبائع العصور المختلفة ، فهو نفسّر في كل عصر بنقص من المعنى وزيادة فيـــه ، واختلاف وتمحيص ، وقد فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم إلاّ الفطرة ، وفهمه كذلك من جاء بعدهم من الحكماء وأهل العلوم[267].

وفي قوله تعالى :﴿ **ضَرَبَ اللهُ عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتضوُونْ الحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون**﴾[268].

والمراد من المثل في الآية الكريمة كما قال الفخر الرّازي :« أنّ المراد أنّا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ، وفرضنا حرًّا كريما غنيًّا كثير الإنفاق سرًّا وجهرًا ؛ فصريح العقل يشهد بأنّه لا تجوز التّسوية بينهما في التّعظيم والإجلال فلما لم تجز التّسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة والبشريـــة ، فكيف يجوز للعاقل أن يسوّي بين القادر على الرّزق والإفضال ، وبين الأصنام التي لا تملك و لا تقدر»[269].

كان ظاهر الكلام أن يأتي الفعل مسندا إلى ألف الاثنين في ﴿ **هَل يَستَوُون** ﴾ ليحيل إلى (العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، ومن رزقه

---

[267]- اعجاز القرآن : الرافعي . ص206-207.

[268]- سورة النّحل : 75.

[269]- تفسير الفخر الرازي : 85/10.

الله رزقا حسنا) ، ولكن الأسلوب عدل إلى الجمع على سبيل الالتفات[270] وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسامع ، وتجديدا لنشاطه ، وصيانة لخاطره من الملال والضجر ، بداوم الأسلوب الواحد على سمعه ، كما قيل :

لا يُصلِح النَّفس إن كانت مُصَرَّفَةً ** إلاَّ التنقُلُ من حالٍ إلى حال[271]

أمّا عن العدول إلى الجمع في ﴿ **هَلْ يَسْتَوُون** ﴾ . فقال أبو حيّان الأندلسي في تفسيره :« وجُمع الضمير في ﴿ **يَسْتَوُون** ﴾ و لم يُثَن لسبق اثنين ، لأنّ ﴿ **من** ﴾ يُحتمل أن يراد بها الجمع فيصير إذ ذاك جمع الضمير لانتظام العبد المملوك والأغنياء في الجمع ، وكأنّه قيل : عبدا مملوكا والملاّك المرزوقون المنفقون ، ويحتمل أن يراد ﴿ **بعدا مملوكا** ﴾ الجنس فيصلح عود الضمير جمعا عليه ، وعلى جنس الأغنياء ، ويحتمل أن يعو على العبيد والأحرار وإن لم يجر للجمعين ذكر ، لدلالة عبد مملوك ومن رزقناه عليهمسا[272].

---

[270]– تلوين الخطاب في القرآن الكريم : دراسة في علم الأسلوب وتحليل النص . د طه رضوان طه رضوان . دار الصحابة للتراث . ط1 . مصر . 2007.ص 139.

[271]– البرهان في علوم القرآن : الزركشي . 197/3.

[272]– البحر المحيط : 660/5.

واختصر الزّمخشري هذا المعنى بقوله :« فإن قلت : لم قيل ﴿ **يستوون**﴾ على الجمع ؟ . قلت : معنـــاه : هل يستوي الأحـــرار والعبيد ؟»[273].

وبهذا يصبح العدول إلى الجمع أنسب في هذا المقام لإفادة العموم ؛ لأنّه مقام إثبات العبودية والتعظيم لله وحده[274].

[273]- الكشاف : 623/2.

[274]- تلوين الخطاب في القرآن الكريم : د . طه رضوان طه رضوان . ص140.

فنيـــة التصـــوير فـــي المثـــل القـــرآني

التّصوير هو إبرار الصّور والأشكال إلى الخارج بشكل فني ، والتّعبير بها عن التجارب الشعورية التي يمرّ بها الأديب والفنّان ، بحيث ترتسم أمام القارئ الصور التي أراد الفنّان نقلها له ، وتكون أداة التصوير هي الألفاظ والعبارات لا الريشة والألوان[275].

والتّصوير في التعبير هو أرقى أنواع الفنون ، والفنّ الرّفيع هو الذي يحيل الأفكار التجريدية الجامدة إلى صور نابضة بالحياة ، وفي أحدث مدارس النقد الأدبي يعرّف الأدب بأنّه : التّعبير بالصور[276].

والتّصوير في القرآن ، هو أنّ القرآن الكريم استخدم طريقة التّصوير في التعبير وجعله الأداة المفضلة في أسلوبه ؛ فهو يعبّر بالصورة المحسّة المتخيّلة عن المعنى الذّهني ، والحالة النّفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور و عن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسُمها فيمنحها الحياة الشاخصة[277].

والتّصوير يكون باللون ، وبالحركة ، وبالتخيل كما أنّه تصوير بالنّغمة تقوم مقام اللّون في التمثيل ، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور[278].

---

[275]– ينظر. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب : د . صلاح عبد الفتاح الخلدي. دار الشهاب . الجزائر . باتنة . ص74-77.

[276]– مجلة الهلال :فبراير 1977: 181 نقلا عن نظرية التصوير الفني عند سيد قطب . د.صلاح عبد الفتاح . ص77.

[277]– التصوير الفني في القرآن : ص32.

[278]– مجلة الهلال نقلا عن نظرية التصوير الفني عند سيد قطب . د. صلاح عبد الفتاح . ص77.

إنَّ التّصوير الفنّي موجود في معظم القرآن الكريم ، فحيثما تعرض القرآن لأي غرض من الأغراض فإنّه يستخدم طريقة التّصوير في التعبير عنه ، إنّه يُعبِّر بالتَّصوير حيثما شاء أن يعبِّر عن معنى مجرد أو حالة نفسية ، أوصفة معنوية ، أو نموذج إنساني ، أو حادثة واقعة ، أو قصة ماضية ، أو مشهد من مشاهد القيامـــة ، أو حالة من حالات النّعيم والعذاب ، أو حيثما أراد أن يضرب مثلا في جدل أو محاجة بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقا واعتمد فيه على الواقع المحسوس والمتخيل المنظور[279].

وهنا نعرض بعض الأمثـــال في القرآن الكريم ، نبرز فيها براعة التصوير ، ونكتفي بها لأنّ الغرض ليس دراسة تفصيلية للتصوير في المثل القرآني ، و حَسْبُنَا أن نبرزه من خلالها .

من ذلك قوله تعالى :﴿ **اللّهُ نُورُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّي يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَ لاَ غَرْبِيَّـــةٍ يَكَـــادُ زَيْتُهَا يُضِـــيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٌ ، يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ، وَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[280] .

يقول سيد قطب في تفسير الآية : « الكيان البشري لا يقوى طويلا على تلقّي ذلك الفيض الغامر دائما ، ولا يستشرف طويلاً ذلك الأفق البعيد . فبعد

---

[279]– التصوير الفني في القرآن : ص33.

[280]– سورة النور : 35.

أن جلا النَّص هذا الأفق المترامي عاد يقارب مداه ، ويقرِّبه إلى الإدراك البشري المحدود في مثل قريب محسوس : ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاح ، المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ** ﴾. وهو مثل يقرِّب للإدراك المحدود صورة غير المحدود ، ويرسم النَّموذج المصغّر الذي يتأمله الحسّ ، حين يقصر عن تملي الأصلي . وهو مثل يقرب للإدراك طبيعة النُّور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير.

ومن عرض السماوات والأرض إلى المشكاة . وهي الكوَّة الصّغيرة في الجدار غير النَّافذة ، يوضع فيها المصباح ، فتحصر نوره وتجمعه ، فيبدو قويًّا متألِّقًا : ﴿ **كمِشكاةٍ فيها مِصبَاح** ﴾...﴿ **المِصباحُ في زُجَاجةٍ** ﴾.. تقيه الريـــح ، وتصفي نوره ، فيتألق ويزداد ..﴿ **الزُّجاجة كأنَّها كوكب درِّي**﴾.. فهي بذاتها شفافة رائقة سنيَّة منيرة .. هنا يصل بين المثل والحقيقة . بين النموذج والأصل ، حين يرتقي من الزجاجة الصغيرة إلى الكوكب الكبير ، كي لا ينحصر التأمُّل في النموذج للصغير ، الذي ما جُعل إلاَّ لتقريب الأصل الكبير.. وبعد هذه اللَّفتة يعود إلى النموذج ، إلى المصباح [281]». ومن ذلك قوله تعـــالى :﴿ **وَالذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْتَسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ، حَتَى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَاهُ حِسَابَهُ** ﴾.

[281]– في ظلال القرآن : سيد قطب . دار الشروق . ط10 . بيروت . 182 . 2519/4.

التَّعبير القرآني هنا يرسم حال الكافرين ومآلهم في مشهد عجيب حافلاً بالحركة والحياة ، هذا المشهد يرسم أعمالهم كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة ، يلتمع التماعا كاذبًا ، فيتبعه صاحبه الظامئ ، وهو يتوقع الرِّيّ غافلا عما ينتظره هناك.. وفجأة يتحرك المشهد حركة عنيفة فهذا السائر وراء السراب ، الظمئ الذي يتوقّع الشراب ، الغافل عمّا ينتظره هناك .. يصل فلا يجد ماء يرويه ، إنّما يجِد المفاجأة المذهلة التي لم تخطر له ببَال المرعبة التي تقطع الأوصال ، وتورث الخبال :﴿ **ووجد الله عنده** ﴾.

الله الذي كفر به وجحده ، وخاصمه وعاداه . وجده هناك ينتظره ؛ ولو وجد في هذه المفاجأة خصما له من بني البشر لروّعة ، وهو ذاهل غافل على غير استعداد . فكيف وهو يجد الله القوي المنتقم الجبار؟ ﴿ **فوفاه حسابه** ﴾ هكذا في سرعة عاجلة تتناسق مع البغتة والفجاءة، ﴿ **والله سريع الحساب** ﴾ تعقيب يتناسب مع المشهد الخاطف المرتاع **!!** .[282]

تحوَّلت أعمالهم المعنوية هنا إلى سراب مُجسَّم بقيعة يراه الرّائي ماء[283].

وقوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَومٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُـــوا عَلَى شَيءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّـــلاَلُ البَعِيد** ﴾[284]. يقول السّيد قطب في تفسيره للآية :« ومشهد الرّماد تشتدّ به الرّيح في يوم عاصف مشهود معهود ، يُجسّم به السّياق معنى ضياع الأعمال

---

[282]- في ظلال القرآن : 4 /2521 .

[283]- نظرية التصوير الفني : عند سيد قطب . د . صلاح عبد الفتاح . ص147.

[284]- سورة ابراهيم : 18.

سدى ، لا يَقدر أصحابها على الإمساك بشيء منها ، ولا الانتفاع به أصلا . يُجسّمه في هذا المشهد العاصف المتحرِّك فيبلغ في تحريك المشاعر له مالا يبلغه التعبير الذهني المجرّد عن ضياع الأعمال وذهابها بددًا .

هذا المشهد ينطوي على حقيقة ذاتية في أعمال الكفار ، فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة من الإيمان ، ولا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالباعث . وتصل الباعث بالله .. مفككة كالهباء والرّماد ، لا قوام لها ، ولا نظام فليس المعوّل عليه هو العمل ، ولكن باعث العمل . فالعمل حركة آلية لا يفترق فيها الإنسان عن الآلة إلاّ بالباعث والقصد ، والغاية .

وهكذا يلتقي المشهد المصوّر مع الحقيقة العميقة ، وهو يؤدِّي المعنى في أسلوب مشوِّق موح مؤثّر ، ويَلتقي معهـــما التعقيب ،﴿ **ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ فهو تعقيب يتفق ظلّه مع ظلّ الرّماد المتطاير في يوم عاصف ...إلى بعيد **!!** »[285].

يذهب القارئ بخياله مع الرّماد المركوم ، الذي تأتي الريح في يوم عاصف تذروه بل تشتدُّ به ، وكل لفظ من ألفاظ الآية يساعد على اكتمال الحركة المتخيلة ، وعلـــى زيادة تأثيـــرها في النفس ، وعلى إتاحـــه الفرصة للخـــيال ليذهب معها ﴿ **كرماد** ﴾ ﴿ **اشتدّ به** ﴾ ﴿ **الرّيح** ﴾ ﴿ **في يوم عاصف** ﴾ .

[285]– في ظلال القرآن : 2094/4.

كما أنَّ أعمال الكفّار هنا و هي أمور معنوية مصوَّره في صوره جسيدة مجسّمـــه ، حيث تحولت إلى كومة رماد اشتدت بهـــا الرياح ، فذهبت بددا ، والذي دلّ على أنّه تجسيم من قبيل التشبيه والتمثيل ، أداتا التشبيه (مثل) و(الكاف)[286].

[286]– نظرية التصوير الفني عند سيد قطب : صلاح عبد الفتاح . ص132-147.

المثـــــل العـــامّي

اللّهجـــــة لغة واصطلاحا

ورد في معجم العين أنّ اللّهجة تعني : طَرَفُ اللِّسان ، وجَرْسُ الكـــلام ، ويقال : فصيح اللّهجة ، وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها[287]، واللّهجة هي اللّسان[288] ، ويقصد باللّسان : اللّغة[289]، فقد أطلقت اللهجة على اللسان ، أو طرفه، فهو آلة التحدث.

أمّا في الاصطلاح العلمي الحديث ؛ فنعني بها مجموعة من الصفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة[290]. وقد كان القدماء من علماء العربية يُعبِّرون عمّا نُسمِّيه الآن باللهجة بكلمة " اللغة" حينا ، وبكلمة "اللحن"، حينا آخر ، فقد عقد ابن جني بابًا في كتابه (الخصائص) بعنوان : باب اختلاف اللغات وكلُّها حُجَّة[291] ، وأيضاً ابن فارس عقد باباً في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) بعنوان : اختلاف لغات العرب[292].

---

[287]– معجم العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي . تحقيق: د.مهدي المخزومي. د. إبراهيم السامرائي. دار مكتبة الهلال : مادة (لهج).

[288]– القاموس المحيط : الفيروز آبادي. دار الجيل. بيروت: مادة (لهج). مختار الصحاح : أبو بكر الرازي . دار الهدى للطباعةوالنشر.ط4. الجزائر 1990: مادة (لهج). لسان العرب: ابن منظور مادة (لهج).

[289]– القاموس المحيط : مادة (لهج).

[290]– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة وكامل المهندس. مكتبة لبنان. ط2 .بيروت 1984. ص320. المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية :معجم عربي–أعجمي/أعجمي–عربي : د. محمد رشاد الحمزاوي . المؤسســـة الوطنية للكتاب .الجزائـــــر 1987: ص174. معجم المصطلحات الألسنية فرنسي– انجليزي– عربي. د مبارك دار الفكر اللبناني ط1، بيروت.لبنان 1995.ص 81–82.

[291]– الخصائص: ابن جني . دار الكتاب العربي .بيروت لبنان .10/2.

[292]– الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس. مكتبة المعارف .ط1 .بيروت 1973.ص50.

وقد ورد أنّ أبا عمرو بن العلاء بعث خلفا الأحمر ويحي إلى الأعرابي أبي المهدي ليُلَقِّناه الرفع في الجملة : ليس الطيب إلا المسك ، فأجابهما : ليس هذا من لحني ولا لحن قومي[293]، أي ليس من لهجتي ولا لهجة قومي.

وكثيرا ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغـــة طيء ولغة هذيل ، ولا يريدون بمثل هذا التعبير سوى ما نعنيه نحن الآن بكلمة اللهجة[294].

وقد يقصد باللهجة حديثا أسلوب النطق الذي يميز شخصا من غيره في التعبير الشفهي أو الأداء الفردي ، وهو ما يطلق عليه بالفرنسية مصطلح : Accent [295] .

ويركز أندري مارتيني على صبغة المحلية التي تصطبغ بها اللهجة حيث يقول في هذا الصدد :" ... نلاحظ أن استعمال الأنماط اللغوية المحلية يمتد عبر مناطق واسعة ويسيطر على جميع حالات التفاهم فيها عندما يختص بتنظيم العلاقات مع السلطات الوطنية (اللغة الرسمية) ، هكذا نجد أن الناس يستعملون هذه الأنماط في المدن كما في الريف وفي أوساط الطبقة المتوسطة كما في الأوساط الشعبية حتى أنهم قد يستعملونها في الكتابة أيضا."[296]

ويتحدث الأستاذ " روبتر" عن اللهجة على أنها العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة[297].

---

[293]– طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي. تحقيق: محمدأبو الفضل ابراهيم. دار المعارف بمصر.ص43–44. ينظر : مجالس العلماء : الزجاجي . مكتبة الخانجي. ط3. القاهرة .1999: ص3–4 .

[294]– في اللهجات العربية :د. إبراهيم أنيس : مكتبة الأنجلو المصرية ط9. القاهرة 1995 ،ص17.

[295]– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب :ص320.

[296]– مبادئ اللسانيات العامة : أندريه مارتيني. ترجمة : د.أحمد الحمو. المطبعة الجديدة.دمشق 1985. ص 155.

[297]– مقدمة لدراسة فقه اللغة: د.محمد أحمد أبو الفرج. دار النهضة العربية. بيروت .ص93.

وهذه الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية في غالب الأحيان ، ومن ذلك في لهجات العرب القديمة : العنعنة وهي قلب الهمزة المبدوءة بها عينا وهذه الصفة معروفة عند قيس وتميم يقولون في أَنَّك : عَنَّك ، وفي أُذُن : عُذُن ، على حين أن بقية العرب ينطقون الهمزة دون تغيير[298] في أوائل الكلمات.

كذلك : الكشكشة وهي ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً فيقولون : رأيتكِشْ وبِكِش وعليكِشْ ؛ فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا ، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها في الوصل ويسكنها في الوقف فيقول : مِنْشِ وعَلَيْشِ[299].

قال ابن جني في (سر الصناعة) : « قرأت على أبي بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحي قول بعضهم :

علي فيما أبتغي أبغيشِ *** بيضاء تُرضيـــني وتُرضيـــشِ
وتطبِّـــي وُدَّ بني أبيشِ *** إذا دنـــوت جعلتْ تُنئيـــشِ
وإن نأيت جعلت تُدنيشِ ***وإن تكلَّمت حَثَتْ في فيشِ
حتى تَنِقِّي كنقيقِ الدِّيشِ

[298]– اللهجات العربية نشأة وتطورا : د.عبد الغفارحامد هلال. مكتبة وهبة . ط2 القاهرة 1993 . ص 33.
[299]– تاريخ آداب العرب : الرافعي . دار الكتاب العربي .ط4. بيروت.1974. 141/1.

فشبّه كاف الدّيك لكسرتها بكاف ضمير المؤنث. »[300] وقد عزا أبو حيان الأندلسي الكشكشة إلى أسد وتميم[301]، وهناك من عزاها أيضا إلى هوازن[302].

أمّا إلحاق السّين بكاف ضمير الخطاب في المؤنث ، وهي ما تسمى الكسكسة ، فنحو : أكرمتكس ، وهي لغة تميم[303]، وعزاها أبو حيان إلى بكر بن وائل المنتسبة إلى ربيعة[304]، وغيره نسبها إلى ربيعة ومضر[305].

وقد تكون الطريقة متعلقة ببنية الكلمات ونسجها ، فاسمُ المفعول إذا صيغ من الفعل الثلاثي الأجوف فإن عينه تعل عند الحجازيين سواء أكان واويا أم يائيا مثل : مَقُول ومَدِين ، ولكن التميمين يعلون الواوي ويتممون اليائي فيقولون : مَبْيُوع ومَدْيُون[306].

وقد يكون اختلاف الاستعمال من جهة المعاني ، وتذكر كتب اللغة كثيرا من ذلك كلمة (وثب) فهي عند (حمير) بمعنى (جلس) وعند عرب الشمال بمعنى (قفز) ، و (السُّدْفَة) عند تميم (الظلمة) وعند قيس (الضوء)[307].

---

[300]– سر الصناعة الاعراب : ابن جني .تحقيق :د .حسن هنداوي.دار القلم. ط1 دمشق .1985. 207/1.

[301]– ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي. تحقيق: د. مصطفى أحمد النماس. مطبعة النسر الذهبي .ط1 القاهرة 1984 141/1.

[302]– تاريخ آداب العرب :141/1.

[303]– القاموس المحيط : الفيروز آبادي . مادة (كسس).

[304]– ارتشاف الضرب : 406/1.

[305]– تاريخ آداب العرب : 141/1.

[306]– اللهجات العربية نشأة وتطورا :د عبد الغفار حامد هلال .ص34. في اللهجات العربية: دار إبراهيم أنيس . ص17.

[307]– المزهر في علوم اللغة و أنواعها : 188/1-195.

أما تلك الصفات الصوتية التي تميز اللهجات ، فيمكن أن تلخص في النقاط الآتية[308] :

1 اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية.

2 -اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات.

3 -اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين.

4 تباين في النغمة الموسيقية للكلام.

5 -اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض .

ولا ننسى أن نتحدث عن مفهوم خاص للهجة ، له علاقة بالطبقات الاجتماعية ومن ثم أطلق عليه مصطلح : اللهجة الطبقية ، تقول الأستاذة "مارجريت شلوخ" : « إن اختلاف أي لغة وطنية وِفقاً للمستويات الاجتماعية يسمى اللهجة الطبقية ؛ فصغار الطبقات الراقية مثلا ، الذين يتعملون في مدارس خاصة لهم " لِغْوَة" خاصة فيما بينهم لا يكاد غيرهم يفهمها ، ومع ذلك فهي- ولاشك- فرع صغير من لهجة الطبقة الراقية التي ينتمي إليها آباؤهم ، وللصغار الفقراء نوع من اللِّغْوة المدرسية القبلية محلية وسرية مثل الأخرى ، وحتى العائلات وغيرها من المجتمعات المحدودة تُكوِّن لنفسها لِغْوات خاصة تخفى على الغريب ، ولكنها أكثر تحديدا ، ومعترف بأنها تنتمي إلى اللهجة الطبقية العامة التي يتبعونها »[309] .

---

[308]- في اللهجات العربية : د. إبراهيم أنيس . ص19.

[309]- مقدمة لدراسة فقه اللغة. ص94.

ويذهب الدكتور علي عبد الواحد وافي إلى أنّ لغة المحادثة قد تتشعب في البلد الواحد أو المنطقة الواحدة إلى لهجات مختلفة تبعًا لاختلاف طبقات الناس وفئاتهم ، فيكون ثَمَّ مثلا لهجة للطبقة الارستقراطية ، وأخرى للجنود ، وثالثة

للبحارة ، ورابعة للرياضيين ، وخامسة للنجارين ، وسادسة للنساء فيما بينهن ، وهَلُمَّ جرًّا[310].

ومن كل هذه التعاريف والآراء في تحديد اللهجة ، يمكن أن نجمل القول بأن العادات الكلامية تتنوع ، وذلك وفق ما تقتضيه نواميس الحياة في كون أن المجتمع هو مجموعة تَلاحُمِ طبقات الناس وفئاتهم ومن ثَمّ تـــَتنوَّع اللهجات.

[310]- نشأة اللغة بين الانسان والطفل : د. علي عبد الواحد ص 132.

مفهـــوم اللغـــة

جاء في (لسان العرب) أنّ اللغة هي : اللِّسْنُ[311]، ويذكر اللغويون ومنهم ابن جني وأصحاب المعاجم الأخرى أنَّها مشتقَّة من الفعل : لغَا ، يلغُو إذا تكلّم أو من : لَغِيَ يلغى ، بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع : إذا لَهج[312]، يقول ابن جني : « أمّا تصريفها ومعرفة حروفها فإنَّها فُعلة من لغَوتُ أي تكلَّمت ، وأصلُها لُغوة ككُرة وقُلة وثُبة ، كُلُّها لاماتها واوات لقولهم : كروتُ بالكرة ، وقَلَوْتُ بالقُلَة ، ولأنَّ ثُبة كأنَّها من مقلوب ثاب يثوب ، وقالوا فبها لغات ولُغون »[313].

أمَّا اصطلاحا : ففي العصر الحديث قالوا : إنَّ اللّغة أداة تخاطب مع التفاهم بين المجموعات البشرية : فالشّرط الأوَّل لكل لغة هو أن تكون مفهومة من سامعها عن الناطق بها ، ثم إنّ الوظيفة الأساسية لهذه الآلة التي نسميها لغة هي التفاهم المشرك[314] .

واللغة تمتاز بدقة التعبير بألفاظها وتراكيبها، ولهذا فهي وظيفة من وظائف الفكر أكثر مما هي واقعة بيولوجية ، وحضورُ الفكر حضورٌ له ، ولذا فتعطيل الفكر لسبب ما ، يعطّل القدرة على التعبير ، وصدق الشيخ محمد عبده في

311– لسان العرب : دار صادر للطباعة والنشر. بيروت . 1968 . مادة (لغو)

312– لسان العرب : مادة(لغو) . القاموس المحيط : مادة (لغو)

313– الخصائص : ابن جني . 33/1. القاموس المحيط: مادة (لغو).

314– أشتات في اللغة والأدب والنقد : أحمد العبلاوي . دار الغرب الاسلامي . ص81.

قوله : « بأنّ اللّغة ترجمان الفكر » ، ورُوي أنّ سقراط ضياق يوما برجل صامت لا يشارك في الحوار، فقال له : يا هذا كلمني حتى أراك[315].

وقد حدَّها ابن جني بقوله : « إنَّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[316]. ووافقه على ذلك سائر القدماء من علماء اللغة العرب

وقد اتفق هذا التعريف لابن جني مع تعريف علماء الاجتماع واللغة حديثا ، فهي عندهم : نظام من الرموز ملفوظة عرفية يتعاون ويتعامل بها أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة [317].

وفي ذلك نذكر ما قاله " دي سوسير " في التفريق بين اللغة واللسان فيقول : « فاللغة جزء محدد من اللسان ، مع أنّه جزء جوهري – لاشك– اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللّسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنّاها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة ، وعلى العموم : اللّسان متعدد الجوانب غير متجانس – يشتمل على عدة جوانب في آن واحد ، كالجانب الفيزياوي (الطبيعي) والجانب الفسلجي (الوظيفي) والجانب السيكولوجي (النفسي) واللسان ملك للفرد وللمجتمع ...» [318].

واللغة من حيث نظامها تتكون من ثلاثة عناصر[319] :

---

[315]– عوامل تنمية اللغة العربية . د. توفيق محمد شاهين . ص24.

[316]– الخصائص :33/1 .

[317] – اللّهجات العربية نشأة و تطوّرا : عبد الغفار حامد هلال .ص29.

[318] – علم اللّغة العام : فردنان ديسوسير . ترجمة يوئيل يوسف عزيز . بيت الموصل . بغداد . 1988.ص27 .

[319] – عوامل تنمية اللغة العربية : د . توفيق محمد شاهين . ص 23-24.

1 -الأصوات ، وتلك عناصر علم الأصوات .

2 -لمفردات ، وتلك عناصر المعاجم .

3 -وعوامل الصيغ ، وتلك عناصر النحو. بمعناه الدَّقيق من بنية و تركيب .

و هذه العناصر شديدة الاتِّصال بعضها ببعض .

و يُستفاد من كلِّ هذا أنَّ اللّغة وسيلة مهمَّة في الرّبط بين أفراد المجتمع للتّعبير عن شؤونهم المختلِفة ، فكريّة كانت أو غير فكرية ، من كلِّ مايهمُّهم في حياتهم الخاصّة و العامّة .

و اللّغة عموما هي أكثر من أن تكون أداة للفكر ، أو تعبيرًا عن عاطِفة ؛ فاللغة جزء من كيانِنَا السيكولوجي الرُّوحي ، و هي عملية فيزيائية و اجتماعية .[320] وهذا كلّه يثبت أنَّ اللّغة هي الرابط الحيوي بين أفراد المجتمع و التي تعبِّر عن حاجاته الفكريّة و النّفسية ، و تجمع شمله ، وأهدافـــه ، و هذا ملاحظ من تعريف علماء العرب قديما و عُلماء الغرب حديثا .

[320]– اللغة بين الفرد و المجتمع : يسبرسن . ترجمة . دعبد الرحمان أيوب . الأنجلو مصرية . 1954. . ص 9 - 11.

مفهـــوم اللّحـــن

ورد في القامـــوس أنَّ اللّحن هو الخطأ في القراءة ، وهـــو أيضًا معنـــاه : اللّغة ، و لحن القول : فحواه و معناه [321].

و اللَّحن لفظ قديم ، كان يطلقه علماء اللّغة و النَّحو اصطلاحا على : الخطأ في اللّغة ، و قد اكتسب هذا المدلول نتيجة اتِّفاق عرفِيٍّ على تغيير معناه الأصلي في وقت متأخِّر نسبيًّا [322].

و المدلول الأصلي للفظ :لَحَنَ ، بِفتح الحاء هو : مال .[323]و لَحَنَ الرَّجُلُ يَلْحَنُ لَحْنًا : تكلَّم بلغته ، وفي الحديث : اقرءُوا القرآن بؤلحُون العرب ، قال ابن الأعرابي : واللّحن بالتَّحريك : اللّغة . و في حديث عمر رضي الله عنه : (تعلَّموا الفرائض والسنّة و اللّحن) ؛ أي اللّغة ، و قد رُوِي أنَّ القرآن نزل بِلحن قريش أيّ بلغتهم . قال أبو عبيد في قول عمر : تعلَّموا اللّحن ، أي الخطأ في الكلام لِتحترزوا منه ، و قيل : إنَّما أُريد اللّحن ضدّ الإعراب .[324]

ويقصد من اللّحن أيضًا : النُّطق على أسلوب مُخَالِفٍ للمألوف ، كما يُراد به طريقة التَّعبير بوجه عام ، و في هذا المعنى يقول ذو الرمَّة [325]:

321– القاموس المحيط : مادّة (لحن) .

322 – العربية دراسات في اللّغة و الأساليب و اللّهجات : يوهان فك . ص244.

323– أساس البلاغة : الزّمخشري . مادّة (لحن) .

324– لسان العرب : مادّة (لحن) .

325 – العربية : يوهان فك ص247.

* فِي لَحْنِهِ عن لُغاتِ العُربِ تَعجيمُ *

و ذكر الجاحظ أنَّ اللحن في الكلام – أي الخطأ اللّغوي – كان يُستَحسَنُ من النِّساء .[326]

كما أُطلِق مفهوم اللُّغز و التَّورية على اللّحن عند العرب قديمًا ، و هذا على ما جاء في رسالة أرسلها أحد الأعراب في يوم الوقيط ، و هو يوم من أيّام العرب في عهد فتنة عثمان ، إلى قومه يُحذِّرهم من الغزو ، قال : « قل لهم فاليعروا جملي الأحمر ، و ليركبوا ناقتي العيساء » ، يعني ليتركوا عالية الصِّمان ، و يرحلوا إلى صحراء الدّهان .[327]

و في أواخر صدر الإسلام عرفت هذه المادّة ، ألا و هو الزلل و الخطأ في القواعد النحوية و نحوها ، فيقال : لحن إذا مال عن الإعراب في الكلام إلى الخطأ ، و لعل أقدم الشواهد على استعمال كلمة اللحن في معنى الخطأ اللغوي قول الحكم بن عبدل الأسدي [328]:

ليت الأمير* أطاعني فشفيتـــه * * من كل من يكفى القصيد و يلحن

---

[326] – البيان و التبين : الجاحظ . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . 1/ 102.

[327] – العربية : يوهان فوك .ص251.

[328] – الأغاني : 2/ 148- 159.

* – هو عبد الملك بن بشر بن مروان (حكم البصرة : 102- 103ه) .

العلاقـــة بين اللهجة و اللغـــة

ذكرنا أنّ اللّهجة هي طريقة معينة في الاستعمال توجد في بيئة خاصّة من بيئات اللغة الواحدة .كما قد تكون أداة تخاطب ، ووسيلة تفاهم بين الأفراد الذين يتحدّثون لغتهم المشتركة والتي تأخذهم على التعامل اليومي و التبادل التجاري ، و غيرهما من أساليب التعايش و شؤونهم الفكرية أو سواها ، و بهذا تكون عاملا مؤثّرًا ، و سببًا مهمًّا في الرّبط بين الأفراد ، لتمكّنهم من التّعبير عن خلجاتهم الفكرية و النّفسية .

وبهذا تكون اللّهجة قد ارتبطت بمفهومي اللّغة و اللّحن ، إلاّ فيما اختلفت عنهما في بعض الميزات التي جعلت كلاًّ منهما ينفرد باسمه و أخصِّ خصوصياته .

و لعلّ هذا التداخل الواضح يُفسِّره تجاور الفصحى و اللّهجات في العصور الأولى إلى يومنا هذا . يقول " فندريس " : « الذين يتكلّمون إحدى اللّغات يَميلون دائمًا إلى المحافظة عليها كما هي ، و كذلك التبادل الكلامي الذي يحدث باستمرار بين أعضاء مجموعة اجتماعية واحدة يؤدّي إلى توحيد اللّغة . و من هنا تنشأ اللّهجات ، و كذلك اللّغات المشتركة التي تسير مع اللّهجات جنبًا إلى جنب » .[329]

فالذي ينبغي معرفته أنَّ اللّغة العربية في كلِّ عصورها المعروفة اختلفت ألسنة العرب في نطق لهجاتها تبعًا لاختلاف القبائـــل و ظروفها الاجتماعيـــة ،

[329]– اللّغة : فندريس .ص236. نقلا عن المستوى اللّغوي للفصحى و اللّهجات . محمّد عيد ص 89.

فمسَّ أصوات الكلمات و بنيتها و الجمل و الإعراب ، كما شمل أيضًا معاني الكلمات فهمًا و دلالة .[330]

فمن الأسانيد الدالة على وجود كل من الفصحى و اللهجات في الجاهليـــة ، ما ورد من كلام الرسول – صلى الله عليه و سلم – مع الوفود العربية التي كانت تأتيه رغبة في الإسلام ، و كذلك كُتُبُـــه إلى الملوك و رؤساء العشائر العربية في الدعوة إلى الإسلام و شرح مبادئه . روى ابن الأثير : قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– للرسول – صلى الله عليه و سلم– و سمعه يخاطب وفد بني نهـــد : يا رسول الله نحن بنو أب واحد و نراك تكلِّم وفود العرب بم لا نفهم أكثره ، فقال : (أدَّبني ربِّي فأحسن تأديبي ، و رُبِّيتُ في بني سعد) . فكان الرّسول – صلـــّى اللّه عليه و سلّـــم – يُخاطب العرب على اختلاف شعوبهم و قبائِلِهم ، كلاًّ منهم بما يفهمون ، و لهذا قال – صلّى الله عليه و سلّم – : (أُمِرْتُ أن أُخَاطِبَ النَّاس على قدر عُقُولِهِم) [331].

و من أقوى الأسانيد أيضًا على هذه القضِيَّة قِراءات القرآن المتعدِّدَة التي أُبيح للعرب القراءة بها تيسيرًا عليهم ، فإنَّ هذه القراءات كانت لاختلاف اللّهجات بين العرب [332].

---

[330]– المرجع السابق : ص39– 40.

[331] – اللّغة : فندريس . ص236. نقلا عن : المستوى اللّغوي للفصحى و اللّهجات : محمد عيد . ص40.

[332] – المرجع نفسه : ص 42. و ينظر . بوادر الحركة اللّسانية عند العرب : د . عبد الجليل مرتاض . ص53– 54.

إنَّ اللّغة تحتوي إلى حدٍّ كبير على بعض اللّهجات المتنوِّعة ، إذْ تشترِك هذه اللّهجات فيما بينها بِمواصفات شكلية هي التي تجعل منها بالذات لهجات متنوِّعة عن اللّغة [333] .

أمَّا العلاقة بين اللّهجة و اللّغة فهي علاقة الخاصّ بالعام ؛ لكلٍّ منها خصائصها و لكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللّغوية التي تيسِّرُ اتِّصال أفراد هذه البيئات بعضهم بِبعض ، و فهم ما قد يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقّف على قدر الرَّابطة ، التي تربط بين هذه اللّغات ، و تلك البيئة الشاملة ، التي تتألَّف من عِدَّة لهجات ، هي التي اصطلِح على تسميتها باللّغة ، فاللّغة تشمل عادة عدّة لهجات ، لكلٍّ منها ما يُميِّزها من الصِّفات اللّغويّة و العادات الكلامية ، التي تؤلِّف لُغة مستقلّة عن غيرها من اللّغات [334].

و في رأي بعض العلماء أنّ هذا التلازم يقتصر أيضاً ، في الحياة العامة للأفراد بحيث قد تتنوّع بين الطبقات ، كما قد يلزم على الفرد المثقَّف أن يستعمل الفصحى في وسطه العلمي بين النخبة المثقفة ، في حين أنه عندما يترل إلى عامّة الناس يضطر إلى تغيير أسلوب التواصل فيستعمل بذلك اللغة العامية ، و في ذلك يقول الدكتور محمد أحمد أبو الفرج : « و في رأيي أنّ المجتمع اللغوي العربي كان على هذه الشاكلة التي نراها من حولِنا منذ العصر الجاهلي ، لُغة فصحى مشتركة تُستَعمل في المحافل العربيّة العامّة و يكتب بِها الشعراء ، و

---

[333]– الألسنية المبادئ و الأعلام : د . ميشال زكريا ص122.

[334] – في اللّهجات العربية : د إبراهيم أنيس . ص16. و ينظر . فصول في فقه اللّغة : د. رمضان عبد التوّاب .مكتبة الخانجي .ط 3 . القاهرة .1987. ص72.

يخطب بها الخطَباء في المحافل العامَّة ، كأيَّام الحجِّ ، و يتنافسون في الأسواق الأدبيَّة التي كانت تُقام مثل سوق عكاض . و لهجات عامِّية مختلِفة يتحدَّث بِها النَّاس في أسواقهم و بيوتِهم و حياتهم اليوميّة عامَّة هنا و هناك »[335].

و يقول الأستاذ إبراهيم أنيس في موضع من كتابه ، مؤكِّدًا وجود الفصحى من ناحية و اللَّهجات من ناحية أخرى جاعِلاً ذلك نتيجة للتوحد بين القبائل لِحاجات معيَّنة ، و للثقافة و المناظرات الأدبيَّة و المساجلات في الشعر أو الخطابة فيقول : « فكلامهم في حياتهم العاديَّة كات يُخالف إلى حدٍّ كبير لغة الكتابة و الأدب التي كانوا يلجأون إليها في المجال الجدِّي من القول »[336] .

[335] – مقدّمة لدراسة فقه اللّغة : د . أحمد محمّد أبو الفرج . ص91.

[336] – في اللّهجات العربية : إبراهيم أنيس . ص5– 6.

انقســـــام اللغـــة إلـــى لهجـــات

تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافا كبيرا فمنها ما تتاح له فرص مواتية ، فينتشر في مناطق واسعة من الأرض ويتكلم به عدد كبير من الأمم الإنسانية ، كما حدثت للاتينية والعربية في العصور القديمة والوسطى ، والإنجليزية والإسبانية والبرتغالية والفرنسية والألمانية في العصر الحديث ، ومنها ما تسد أمامه المسالك فيُقضَى عليه أن يظل حبيساً في منطقة ضيقة من الأرض وفئة قليلة من الناس ، كما حدث للبسكية* والليتوانية ، كما هو شأن الحبشية والفارسية[337].

أما عن اللغة العربية فانقسم متلكموها منذ أقدم عصورهم إلى قبائـــل شتى ، وطوائف قددا ، تختلف كل طائفة منها عما عداها في بيئتها الجغرافية وما يكتنفها من ظروف طبيعية ، واجتماعية وما تمتاز به في نواحي الوجدان والتفكير ، وما أتيح لها من وسائل متنوعة[338].

ومن المقرر من نواميس اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض وتكلم بها جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات ، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطوُّرِها منهجا يختلف

---

[337]- المرجع نفسه ص 107-108.

* البسكية : يتكلم بها الباسكيون الذين يقطنون جبال البرانس الغربية في العدوتين الفرنسية والاسبانية. نشأة اللغة:ص107.

[338]- قفه اللغة : د.علي عبد الواحد وافي .لجنة البيان العربي . ط6 القاهرة 1968.ص103.

عن منهج غيرها ، ولا تنفك مسافةُ الخُلْف تتسع بينها وبين أخواتها حتى تصبح لغة متميزة ، وبذلك يتولَّد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللغات يختلف أفرادها في نطق بعض وجوهها ، كما تظل متفقة في وجوه أخرى ، وكثيرا ما يبقى الأصل مدَّةً ما لغةَ أدبٍ وكتابةٍ بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة عنه ، ولكنه لا يلبث أن يتنحى عن ذلك بعد أن يكتمل نموُّ هذه اللغات[339].

ولم تَنْجُ اللغةُ العربية من هذا القانون العام ، فقد انقسمت ، منذ أقدم عصورها ، إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات ، واختصت كل قبيلة وكل جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات[340].

ويعد السبب الرئيس هو سعة انتشارها ، غير أن هذا السبب لا يؤدي إلى ذلك بشكل مباشر، بل يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدي إلى هذه النتيجة، وباستقراء هذه العوامل في الماضي والحاضر يظهر أنّ أَهمَّها يرجع إلى العوامل التالية[341] :

1- عـــوامل جغرافيـــــة :

ويتمثل فيما بين سكان هذه المناطق من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها ، وما إلى ذلك ، وفيما يفصل كل منطقة منها عـــن

---

[339]- علم اللغة: د.علي عبد الواحد وافي .دار نهضة مصر للطبع والنشرط6 1967 .ص156 وما بعدها.

[340]- فقه اللغة : د. عبد الواحد وافي. ص104.

[341]- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل : د علي عبد الواحد وافي . ص115.

غيرها من جبال وأنهار وبحيرات[342] ، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف اللغة ، وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميًّا وخلقيا ونفسيا ، فإنها كذلك تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام[343].

فالذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية[344]

2- عـــــوامل اجتماعية :

إن المجتمع الإنساني بطبقاته المختلفة يؤثر في وجود اللهجات ؛ فالطبقة الأرستقراطية مثلاً تتخذ لهجةً غيرَ لهجةِ الطبقة الوسطى أو الطبقة الدنيا من المجتمع[345] ، وكذا اختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة ؛ فمن بين هذه البيئات ما تتخذ فيه العلاقة بين أفراد الأسرة شكـــلاً خـــاصًّا ونظامًا خاصًّا ، ومنها ما قد تشتهر فيه مهنة خاصة ، أو تتصف بطبيعة خاصة في تربتها تصلح بنوع خاص من الزراعة أو الصناعة ، فأبناء البيئات الزراعية لهم من الظروف الاجتماعية ما يخالف ظروف أبناء البيئات الصناعية أو التجاريـــة[346].

فنظام المجتمع إذن واختلاف طبقاته وتغير أحواله وظروفه ، قد يتسبب كل ذلك إلى تفرع لغتـــه إلى لهجات.

---

[342]- فقه اللغة : د علي عبد الواحد وافي . ص129.

[343]- اللهجات العربية نشأة وتطورا . ص41.

[344]- اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبره الراجعي . ص 44.

[345]- المرجع نفسه . ص41.

[346]- في اللهجات العربية : د .إبراهيم أنيس . ص22.

3- عـــــوامل شعبية :

تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي ينتمون إليها والأصول التي انحدروا منها ، فمن الواضح أن لهذه الفروق آثارًا بليغة في تفرُّعِ اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات[347].

كما أنَّ سكان هذه المناطق بحاجة وإلى الاتصال لتبادل المنافع ، فالإنسان مدني بطبعه ، كما يذهب إلى ذلك علماء الاجتماع ، وبديهي أن تلك الاتصالات تحتاج إلى معرفة هؤلاء بلغات الآخرين حتى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات ، وهذا يؤدي إلى احتكاك اللغات بعضها ببعض ونشـــوب صراع بينها ، فالتوسع وضرورة الاتصال يقتضي معرفة لغات عِدَّة معرفةً جَيِّـــدة[348] .

وقد تحدث دي سوسير عن هذا التمازج فقال : « إن في العالم مقاطعات جغرافية ، قدر اللغات المختلفة ، وإن الحدود الجغرافية ليست هي أقوى العوامل في التنوع اللغوي ، ولكن هناك عوامل ثانوية تغير من هذه العلاقة المثالية وتؤدي إلى وجود عدد من اللغات في منطقة جغرافية واحدة ، والتمازج أو الاختلاط العضوي الحقيقي بين لغتين يؤدي إلى تغيير في النظام اللغوي ، كما حدث للإنجليزية بعد الغزو النورمادني ، والظرف السياسي له أهميته ؛ إذْ يجعل عددا من اللغات ، التي تعود إلى مناطق جغرافية مختلفة توجد ضمن حدود دولة واحدة ، كما في سويسرا.

---

[347]- علم اللغة : د علي الواحد وافي . ص162.

[348]- اللغة : فندريس .نقلا عن اللهجات العربية نشأة وتطورا . ص43.

كما قد يفرض القادمون الجدد بعد غزو أو هجرة لُغتَهم على لغة البلاد الأصلية ، مثال ذلك ما حدث في جنوب إفريقيا ، فقد جاء الاستعمار الهولندي وأعقبه الاستعمار الانجليزي ليجلبا معهما اللغة الهولندية واللغة الانجليزية ، وهاتان اللغتان تعيشان الآن جنبا إلى جنب مع عدد من اللغات الزنجيـــة »[349].

[349]– علم اللغة العام : فرديناند دي سويسر. تحقيق د.يوسف عزيز الموصل .1988 بغداد . ص216.

Cours de linguistique general. Ferdinand de Saussure.edition ENAG.3eme. 2004.Alger.page. 311.

انتشـــار اللحن وظهـــور العامية

باتساع رقعة الدولة الإسلامية إلى مناطق غير عربية ، انضم تحت لواء العروبة والإسلام شعوب تعددت لغاتهم وأذواقهم ، واضطروا إلى إتقان العربية لأسباب فرضتها طبيعة المجتمع الجديد ، ولكنَّ بعضهم لم تستقم ألسنتُهم ، وفشا اللحن بين المُتعرِّبين كالعبيد ، والموالي الذين كانوا يخدمون في معظم البيوت العربية ويروي النُّحاة عن الرسول – صلى الله عليه وسلم- قوله عندما سمع رجلا يلحن في حضرته : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » ويروى : فإنه قد ضل[350].

واستفحل خطر اللحن بين الأعاجم ، الأمر الذي دفع بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يطلب من أبي الأسود الدولي أن يضع في اللغة ما يصلح به ألسنة العجم[351]، قال الجاحظ : « وأول لحن سُمع بالبادية : هذه عصـــاتي و(الصواب عصاي) ، وأول لحن سمع بالعـــراق ، حيٍّ على الفلاح » [352]، وصوابه حيَّ بالفتح.

وفي القرن الأول الهجري ، أصبح اللحن قضية خطيرة في الاستعمال اللغوي ، ولم يبق مقتصرا على أحاديث الناس ومكاتباتهم وحسب ؛ بل تفاقم وجَسُرَ أمرُه إلى القرآن الكريم نفسه ، ذلك أنَّ أحدَ الأعراب قدم المدينة فقال :

---

[350]– تاريخ آداب العرب : الرافعي 237/1.

[351]– الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية: ماجد الصايغ . دار الفكر اللبناني ط1 بيروت لبنان 1990. ص27.

[352]– البيان والتبيين : الجاحظ . دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان 1968. 173/1.

من يُقرئني شيئا مما أنزل اللهُ على محمد – صلى الله عليه وسلم- فأقرأه رجل من سورة براءة : ﴿ أَنَّ اللَّـــهَ بَـــرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِيـــنَ وَ رَسُولُـــه ﴾[353] بكسر لام (رسولِه) عطفا على المشركين ، فقال الأعرابي : إن يكن اللهُ بريئاً مِن رسوله ، فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمرَ مقالتُه ، فصحَّح له الآية ، ثم أمر ألاَّ يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود أن يضع النحو[354].

ولقد تسرب اللحن إلى العرب أنفسهم ؛ بل وحتى إلى أشرافهم كما حصل لهند بنت أسماء بن خارجة ، حين لحنت في حضرة الحجاج فقال لها : أتلحنين وأنت شريفة في بيت قيس !؟ فقالت : أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الأنصارية ، قال : ما هو؟ قالت :

منطقٌ صائبٌ و تَلْحَنُ أحيانًا ** وخيرُ الحديث ما كانَ لحـــنا

فقال الحجاج : إنما عنى أخوك اللحن في القول ؛ إذا كنَّى المُحدِّث عما يريد ، و لم يعن اللحنَ في العربية ، فأصلحي لسانك ؟[355].

وأضحى العلماء يعيبون على من يخاطب العوام لاحنا، كقول أبي بكر ابن داود :« إن قبيحا مفرط القباحة بمن يعيب مالك بن أنس بأنه لحن في مخاطبة العامة ، بأن قال :" مُطرنا البارحة مطرًا أيّ مطرًا" أن يرتضي لنفسه هو أن

---

[353]– التوبة 03.

[354]– الخصائص : ابن جني . دار الكتب العلمية. ط2 بيروت لبنان 2003 .396/1. الفهرست : ابن النديم .ص 61. ينظر : بوادر الحركة اللسانية عند العرب : د. عبد الجليل مرتاض. مؤسسة الأشرف.ط1.بيروت لبنان 1988. ص 72.

[355]– الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية : ماجد الصايغ . ص28.

يتكلم بمثل هذا ؛ لأن الناس لم يزاولوا يلحنـــون ويتلاحنون فيما يخاطب بعضهم بعضا ، اتقـــاء للخروج عن عـــادة العامـــة »[356].

ومن هنا نجد أنّ العامية كانت في الأمصار الإسلامية أول عهدها لحنا صرفا ، لما بقي في أهلها من آثار السليقة ، وعلى حسب هذه الآثار كانت درجتها في القُرْب من الفصيح والبُعْد عنه[357].

فلا سبيل إلى القول بأن للعرب فصيحا وعاميا ، إلا بعد فُشُوِّ هذا الفساد العربي في منطقهم منذ القرن الخامس ، أما ما وراء ذلك في بادية العرب ، فلحن أو لغة لا أكثر[358].

وعلى العامية تجري سنة التطور والتغير عبر مراحل عمرها فليس فساد يطرأ عليها إلا وهو نتيجة النامـــوس الطبيعي الذي يتحكم في كل تطـــور وتبدل ، والعامية ليست نبت اليوم أو الأمس ؛ بل هي قديمة قِدَمَ التاريخ وموصولة النسب بفصاحتها ، قويـــة الوشائـــج بلغة القرآن والأدب ، وإذا كان التطور قد أصاب اللهجات فقد أصاب الفصحى هذا التطور وذلك التصرف في بعض جوانبها ، ولا سيما الجانب الصوتي[359].

---

[356]– الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها : ابن فارس . ص66.

[357]– تاريخ آداب العرب : 255/1.

[358]– المرجع نفسه : ص254.

[359]– اللهجات العربية في التراث : د.أحمد علم الدين الجندي . الدار العربية للكتاب.تونس 1971. 132/1.

اللهجـــات العاميـــة الحديثـــة

إنّ الاهتمام بدراسة اللهجات العامّية الحديثة ، والعمل على محاولة إصلاحها ، ورفع شأنها ، حتى تكون في مستوى النتاج الأدبي الشعبي ، ضروري لأجل مقاربتها والارتقاء بها مع العربية الفصحى ، لأنّ اللّهجة العامّية ما هي إلاّ عربيّة محرّفة ، دخلتها طائفة لا بأس بـــها من الألفاظ الأعجمية ، وهذا كلّه قصد رفع الحواجز والعوائق قدر الإمكان بين الأقطار العربية في الاتصال والتخاطب والتّفاهم فيما بينها ، بهدف تحقيق لهجة عامّية واسعة تشبه العربية الفصحى ، وتقترب إلى حدّ ما من لغة الأدب والشعر .

لقد نجح المستشرقون في معرفة اللهجات العربية الحديثة وألّفوا كثيرا من الكتب عنها وعن قواعدها ، وصاروا يعرفون اللغة العامية المصرية ، والعامية في تونس والجزائر ومراكش وطرابلس وتسمى لهجـــات بلاد المغرب ، وتدخل فيها لهجة كانت لغة محادثة في يوم ما في جزيرة صقلية ، ولا يعرف عنها الآن إلاّ القليل ، وقد عرف عن لهجات سورية ، وبلاد العرب الجنوبية والداخلية والأقطار الشرقية الأخرى أكثر مما كان معروفا من قبل ولا يزال لدى العلماء و اللّغويين مجال عظيم للبحث ، حتى يمكن ترتيب اللهجات ووضعها في أقسام معينة[360] .

وقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس السرّ في تباين هذه اللّهجات الحديثة وذكر أنّها أوّلا انحدرت من لهجات عربية قديمة متباينة فلم تكن القبائـــل التي

[360]- الآداب السامية : محمد عطية الإبراشي . ص193 .

نزحت إلى هذه البيئات ذات لهجة واحدة بل قد وفدت إليها في عهود الغزو الإسلامي وبعده ومعها لهجاتها المختلفة ، وأقامت بها وكل منها يحتفظ بخصائصه ومميزاته في لهجات التّخاطب التي تأثّر بها أهل البلاد المفتوحة ، وبدأوا يحذون حذوها في لهجات كلامهم وفي تخاطبهم ، هذا رغم أنّ تلك القبائل قد احتفظت جميعها باللغة النموذجية ؛ لغة الأدب والدّين التي نزل بها القرآن الكريم ، فكانوا بها يكتبون ويقرأون ، وينظمون الشعر ويخطبون . فإذا خلوا إلى أنفسهم ، أو عنّ لهم من أمور حياتهم ما ليس بذي بال عبّروا عنه بلهجتهم الخاصة ، دون حرج أو تردّد ، فكلامهم في حياتهم العادية كان يخالف إلى حدّ كبير لغة الكتابة والأدب التي كانوا يلجأون إليها في المجال الجدّي من القول[361].

وتلك اللهجات المتباينة التي وفدت من شبه الجزيرة قد غزت بيئات معمورة يتكلم أهلها لغات غير عربية ، منها القبطي والروماني والفارسي والآرامي والبربري وغير ذلك من لغات كانت شائعة في البيئات التي تناولتها الفتوحات الإسلامية ، وهنا كان لابدّ من صراع بين اللهجات الغازية واللّهجات المغزوة أدّى في معظم الحالات إلى انزواء اللهجات المغزوة ، أو القضاء عليها قضاءً تامًّا ولكنّها لم تترُوا أو لم يقض عليها إلاّ بعد أن تركت بعض الآثار في اللهجات الغازية من النّاحية الصّوتية على الأقل[362]. وانحرفت في ألسنة أهلها أنحرافا خاصا اقتضته عاداتهم الصوتية المتأصّلة ومناهج ألسنتهم الأولى ، وتأثرت ألسنة الجاليات العربية نفسها في كل منطقة من هذه المناطق

---

[361]– في اللهجات العربية : د.ابراهيم انيس . ص11.

[362]– المرجع نفسه :ص12.

بألسنة أهلها، فنشأ من جراء ذلك في كل بلد من هذه البلاد لهجة عربية تختلف عن لهجة غيرها.

فالعربية في الشام مثلا متأثرة بالألسنة الآرامية القديمة وفي المغرب باللهجات البربرية ، وعلى الألسنة القبطية في مصر[363].

وأخذت مسافة الخلف تتسع بين هذه اللهجات حتى أصبح بعضها غريبا عن بعض : فلهجة العراق أو لهجة المغرب مثلا في العصر الحاضر لا يفهمها المصري إلاّ بصعوبة وفي صورة تقريبية ، غير أنّه قد خفّف من أثر هذا الانقسام اللّغوي بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين[364].

لقد مال العرب – رغم كل ذلك – إلى إيجاد لغة تتماش والفطرة الإنسانية في الكلام وأساليب العيش ، وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وفسادها وانتقاض عادة الفصاحة ، ثم صارت بالتصريف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلة بتكوينها وصفاتها المقومة لها وعادة اللّغة في اللحن بعد أن كانت لحنا في اللغة[365].

وهذا الانحراف ناشئ في أغلب الأحيان من القصد إلى التخفيف في النطـــق ، فيحدث التحريف[366] :

---

[363]– فقه اللغة : د.علي عبد الواحد وافي . ص105.

[364]– فقه اللغة : عبده الراجعي. ص105.

[365]– تاريخ آداب العرب : الرافعي . 1/ 234 .

[366]– مجله مجمع اللغة العربية :ج7. مقال : موقف اللغة العربية العامية . من اللغة العربية الفصحى للأستاذ : محمد فريد أبو حديد . نقلا عن اللهجات العربية في التراث : د. أحمد علم الدين الجندي 1 /131.

1 -إمّا بزيادة حرف كما هو الحال في رَاجَل بدلاً من رَجُل وفي دواية بدل من دواة .

2 -وإمّا بتخفيف الهمزة : مثل بير بدلا من بئر.

3 -أو من النّقصان من : عطوني في أعطوني ، ومثل مَرْتْ فلان ؛ أي إمرأة فلان ، ونْهَارْ الحد ، في نهار الأحد ، وقولنا أيضا : عَ الشّط ، م السوق : يعني : على الشّط ، من السّوق.

4 -أو التصحيف : مثل : حْدِف الشيء ، أي احذفه ، وتنين في : اثنين ، أو تمر في ثمر.

5 -أو يكون التخفيف ناشئا عن النحث ، مثصل : أيش بدك في أيّ شيء بودك ، أو منين وأصلها من أين .

6 -وإمّا إبدال بعض الحروف بأخرى أسهل في النطق ، مثل : بحثر في بعثر ، و اتاوب بدلا من تثائب ، ويلهط الطعام يعني يرهط ، واشترت الدابة يعني : اجترَّت ، ودحك يعني : ضحك.

7 -أو تخفيف النطق بإبدال الحرف المضعَّف ياءً مثل : مدِّيت ، حطِّيت ، فكِّيت .

8 -وقد يكون بإتباع حركة أوّل الكلمة للحرف اللين الذي في وسطها مثل : بيت بدلا من بيْت ، ومُولد بدلاً من مَوْلد.

9 -أو يكون التَّخفيف ناشئا عن القلب مثل : الزحالف للزلاحف ، والمعلقة للملعقة .

وهذا التخفيف الذي سارت عليه العامّية العربية ، والذي مثلنا له ، يرجع إلى قرب مخارج الحروف حينا ، وإلى لهجات القبائل أحيانا وما يعرض من التصرّف في اللفظ والسمع ، وأغلب هذه الألفاظ من العامِّية العربية هي أصلية من لهجة قريش أو غيرها من القبائل القَيسية أو الأسدية أو التميمية أو الهذلية أو الطائية أو اليمنية أو غيرها[367].

إنّ العامية لغة ثانية ، لغةٌ غير مستقرة القواعد وليس من منطقها ولا طبيعتها أن تكون لها قاعدة ثابتة مطّردة ، فهي لغة خليط ، فبعضها فصيح الأصل عربي النسب ، ولكنَّه تغيرت مخارج حروفه ، وبعضها غريب دخيل ما زال في العربية راسبًا من رواسب لغات امتزج أهلها بالعرب كالفارسية والتركية[368].

لهذا لا يمكن أن تكون اللّغات العامّية مستقرة على حالة واحدة في كل مصر من الأمصار من عهد نشأتها ، بل لابدَّ من تغيُّرها في المصر الواحد جيلا بعد جيل[369].

لقد وصل القرآن الكريم اللغة العربية بالعقل والشعور النَّفسي حتى صارت جنسية موحَّدة ، وهذا النّوع من الشعور هو في يد الله عزوجل ، وهذا من تأويل قولـــه سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لـــهُ لَحَافِظُونَ ﴾[370]، ولولا هذا الشعور لدُوِّنت العامِّيات في الأقطار العربية زمنا بعد زمن ، ولخرجت بها

---

[367]– اللهجات العربية في التراث : د. أحمد علم الدين الجندي 132/1.

[368]– إتجاهات البحث اللغوي الحديث : د رياض القاسم ج2 / 49.

[369]– تاريخ آداب العرب : الرافعي . ص259.

[370]– سورة الحجر:09.

الكتب فيما سبقنا من العصور بعد الإسلام[371]، إلى أن جاء العصر الحديث وبدأت العاميات تدون ولها صحف تنشرها[372] ، وطفق الباحثون يهتمون بدراستها في العالم العربي على غرار الغرب الذي أهتم علماؤه بدارسة اللهجات الأوروبية .

والذي يمكن أن نذكره في هذا الصدد ، ونخلص إليه ، هو أنَّ الدراسات التي اهتمت بالعاميات أو اللّهجات العامّية الحديثة كثيرة وعديدة ومن الضروري الاعتناء بجمعها وتصنيفها بحسب التوزيع التاريخي والجغرافي والموضوعي ، ليسهل على الدارسين تحصيل ما تضمّنته من مادة لغوية ، والتوصل إلى نتائج مهمّة في حقيقة تطور اللهجات العربية قديما وحديث عبر مراحلها الزمنية، ومدى التأثير في غيرها من اللغات أو التأثر بها.

وأوّل من لمح معالم اللّهجات بجانب اللغة الفصحى المشتركة ، هو أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـــ) ، وذلك حينما سئل فيما يرويه أبن نوفل إذ يقول : «سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عمَّا وضعت مما سمّيتة عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال : لا، فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ، قـــال : أعمل على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لغات »[373] وهو يقصد اللهجات بالمفهوم الحديث .

---

[371]– اعجاز القرآن : الرافعي . ص91.

[372]– ينظر دراسات لغوية : د عبد الصابور شاهين . ص211.

[373]– طبقات النحويين واللغويين : د . الزبيد . تحقيق أبو الفصل إبراهيم . ط1 . القاهرة . 1954 . ص 39.

وهذا النّص يعكس سعة أفق أبي عمرو بالعربية ، واعترافه باللّغات الخاصـــة ، فلا بد يهدرها ، ولو اصطدمت بقوانين اللغة الفصحى ومعاييرها ، لأنّ لكلِّ لهجة منطقها الخاص ، كما أنَّه كان يعظِّم أمر السماع ، ولهجات العرب القديمة سماع ونقل ، لا قياس وعقل ولهذا كان أبو عمرو يسلّم لبعض العرب ولا يطعن عليهم .[374]

لكنّ هناك فريق من الدارسين يذهب إلى أنّ بداية اللحن كانت في الجاهلية قبل الإسلام ، ومن بينهم شكيب أرسلان ، حيث يوجز موقفه بقوله :« إنّ اللغة العامّية قديمة بقدم لغات القبائل وقبل أن تكون لغة قريش لغة جميع الشعراء»[375].

والرأي ذاته نجده عند كل من لويس شيخو واسكندر معلوف ؛ حيث يذهبان إلى أنّ تاريخ اللهجات العامّية العربية يرجـــع إلى عصر الجاهلية ، وأنّ اللفظ العامّي ليس حديث الوضع في العربية وإنّما جرى عليه العرب في بَدْوِهم وحضرهم منذ القديم ، في أوان الجاهلية وبعد الإسلام ، في كل أطواره وإلى يومنا هذا[376].

وظهور العامّي في اعتقادهم يعود سببه إلى مخالطة الأعاجم وتصرف الألسنة من لثغات وتحريف وتبديل[377]، وهو ما أدى إلى اجتماع باختلاف القبائل ومن خالطهم من الأمم الأخرى.

---

[374]- تاريخ آداب العرب : الرافعي .ص255.

[375]- مجلة (المقتطف) في مقال له بعنوان : اللغة العامية توأمة اللغة الفصيحة نقلا عن اتجاهات البحث اللغوي الحديـــث : 231/2 .

[376]- المرجع نفسه : 233/2.

[377]- المرجع نفسه : 233/2.

تعريف المثـــــل العـــــامي

المثل العامّي فنّ من فنون الأدب الشّعبي العربي والذي هو مجموعة العطاءات القومية والفنّية والفكرية والمجتمعية التي ورثتها الشعوب التي أصبحت تتكلم العربية وتدين بالإسلام بعد وأثناء الفتوحات الإسلامية التي مدّت رقعتها الحضارية لمساحة ضخمة من العالم القديم ، ومعنى هذا أنّ الأدب الشعبي العربي ليس ابن الجزيرة العربية وحدها ، وإن كانت أصلا رئيسيًّا فيه ، ولكنّه ابن المنطقة الإسلامية الدّين ، العربية اللغة وأنّها كلّها بموروثها القديم قد شاركت في صنعه وحملت إليه كل معطياتها القديمة مع ما حملت إليه من وجودها البشري ، وكياناها الجغرافي ، ومعطياتها الثقافية والعلمية والاجتماعية الأخرى[378].

تشكل الأمثال رافدا مهما وخصبا في التراث الشعبي ، وتكاد غزارتها في الاستعمال تتفوق على بقية الروافد ولاسيما في القرن والأرياف ، وعند كبار السّن والذي لا يزال يلعب دورا هاما في الحياة الاجتماعية المعاصرة ، إن لم نقل أنّ المثل أقدر أنواع الأدب الشعبي على تصوير العلاقات الاجتماعية ، وأقرب في التعبير عن التناقضات الحياتية المتداخلة[379].

---

[378]– علم الأدب الشعبي العجيب : فاروق خورشيد . دار الشروق . ط1 1991م . ص08.

[379]– التراث الشعبي: مجلة شهرية. المركز الفولكلوري. العدد العاشر . السنة 08 . بغداد 1977.ص227.

وقد عرّف زايلر المثل الشعبي بأنّه : « القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميّز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفـــة »[380].

والأمثال الشّعبية أقوال مأثورة انتقاها الزمان ، وقد يوضع لها أساطير ترتبط بها وقد لا تبقى إلا عباراتها قوية جذابة على مرّ السّنين ، تحفظها الأجيال المتتالية من التّلف ، فهي بمثابة كتر ثقافي ذي قيمة فنّية كبيرة ، تتراءى فيها الملامح الخاصّة بكل قوم أو بلد أو زمن معين وذلك لأنّها وليدة ظروف معيّنة وبالتّالي وليدة التاريخ والجغرافيا والمناخ والتربية[381].

والأمثال الشعبية تعكس بوجه عامّ حياة أمّة من الأمم تفكيرها وسلوكها ومعتقداتها وثقافتها ، وتعامل أفرادها بعضهم مع بعض[382].

وإذا كانت الأمثال العربية القديمة مصدرا من مصادر اللهجات العربية ، فإنّ الأمثال العامّية الحديثة تعتبر معينًا صافيًا للهجات القديمة أيضا ، وذلك لأنّ العلاقة بين لهجاتنا الحديثة ولهجاتنا العربية قوية . بل هناك بعض الظواهر اللهجية القديمة والتي لا يمكن تفسيرها – أَمْكن تفسيرها في ضوء اللهجات العربية العامية ، لأنّ اللّهجات القديمة بقيت تنتقل على ألسنة الناس في الأجيال الذاهبة حتى وصلتنا ، وتلك الظواهر العامّية في اللهجـــات الحديثة – هي في الواقع عريقة في القدم ممتدة جذورها في حياة الأمة العربيـــة ، ومن هنا نجد أنّ

---

[380]– أشكال التعبير: ص 140. نقلا عن الأمثال في الحديث النبوي الشريف : د . محمد جابر فياض . ص187.

[381]– الأمثال الشعبية الجزائرية : قادة بوتارن . ديوان المطبوعات الجزائرية. الجزائر .ص05.

[382]– عناصر التراث الشعبي في اللاز : دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية . د. عبد المالك مرتاص . ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون . الجزائر . ص68.

خصائص لغتنا العامية قد عاشت على أرض التربة العربية الأولى ، عندما كانت تسير على ألسنة القبائل العربية القديمة ، ولذلك كان على الباحث أن يلتمس خصائص اللهجات العربية القديمة في أمثالنا العامية ، وأحاديثنا العادية لأنّها جميعا تحمل بُذُورًا للّهجات القديمة[383].

وكانت دلالة الأمثال العامية على اللهجات العربية القديمة ، طبيعةً لا تكلف فيها ولا التواء ، وسنذكر في هذا الصدد ظاهرة واحدة كمثال ، في الأمثال العامية أوردها مؤلف كتاب (اللهجات العربية في التراث)[384]، وهذه الظاهرة هي الإمالة في ما قبل هاء التأنيث :

أ -الحر تكفيه الإشارِه.

ب -قصيرِه تقطع طْويلِه.

ت -خذِ الحفنِه من اللحية العفنِه.

ث -الخيل تضمر لأجل ساعِه.

ج -الدنيا ما تغني عن الآخرِه.

وهذه الأمثال العامّية النجدية تهدينا إلى شيءٍ واحد مهمّ ، وهو أنّ نجدًا كانت محطًّا للإمالة ، لاسيما إمالة ما قبل هاء التأنيت ، كما في الأمثال التي أوردناها سابقا ، وقد كان الكسائي يميل في قراءته القرآن ما قبل هاء التأنيث[385].

فوائـــــــد المثـــــل العامي

---

[383]- اللهجات العربية في التراث : أحمد علم الدين الجندي .126/1.

[384]- المرجع السابق : 1/ 126-127.

[385]- ينظر : النشر في القراءات العشر: ابن الجزري . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . 82/2.

يمثّل المثل العامّي خلاصة التّجربة الإنسانية الشّعبية وهو العاكس لحياة الناس في هيئة مثل شعبي بصيغة أدبية مركزة يسهل تناولها وحفظـــها وتداولها ، إنّه صدى بيئات شعبية تخصّ فئات من الناس دون غيرها[386].

ويتّخذ المثل الشعبي طابعا : أخلاقيا ، فهو يدعو إلى قيم الجماعة ، وإلى تكريس مثلهم ونهجهم الأخلاقي ، ومن المثل نستطيع التعرّف على كثير من العادات والتقاليد التي اعتادت الجماعة على سلوكها وممارستها[387].

ممّا يلاحظ أنّ المثل الشّعبي أقوى تأثيرا في العلاقات الاجتماعية وألصق بحياة النّاس في الوقت الحاضر ، ومردُّ هذه الظاهرة في اعتقادنا أنّ المثل لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف مرحلية معيَّنة مثل القصة الشعبية ، وإنّما يركّز على السّلوك الإنساني في ظروف وحالات متغيرة سواء كان السلوك فرديا أو جماعيا ، ومن هنا نلاحظ تعدُّد الأمثال الشعبية في الموضوع الواحد بطريقة تبدو في الظّاهر وكأن هذا التعدّد يحمل في أحضانه تناقضا صريحا في رواية المثل الشعبي[388] ، مثل قولهم : " اصرف ما في الجيب، يأتيك ما في الغيب " ، والقـــول الآخر : " القرش الأبيض ينفع لليوم الأسود " ،

فالمثلان متناقضان حسب ادعائهم في الظاهر ؛ إذ المثل الأول يحـــث عـــلى

---

[386]- مجلة الثقافة والتراث القومي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : إدارة الثقافة . تونس . المنظمة الشاملة للثقافة العربية . 1992.ص173.

[387]- المجلة نفسها : ص173.

[388]- منطلقات التفكيري في الأدب الشعبي الجزائري : التلي بن شيخ .ص 159.

الصّرف ، والمثل الثاني يحث على الاقتصاد ولذا فإننا سنأتي لشرحهما ، كل مثل على حِدة . فالمثل الأولى : فيـــه جانبان الجانب الأول : " اصـــرف ما في الجيب " ، وهو يحث على الصرف ، والجانب الثاني " يأتيك ما في الغيب "، ومعناه أن تصرفه ويعوضك الله تعالى بما صرفته والمثل يقال للمُمسك ، فيقولون له هذا المثل لحثه على الصّرف .

والمثل الثاني فيه جانبان أيضا : الجانب الأول : القرش الأبيض ، وهو كناية عن أيّام اليسر والرخاء ، والجانب الثاني : ينفع لليوم الأسود وهو كناية عن أيام العسر والشدّة ، والمثل يقال للمبذّر ، ولمن يصرف بدون حساب ، وهو يحثه على الاقتصاد .

ففي المثلين أنّ الكريم لا تقول له : " اصرف ما في الجيب " ، لأنّه كريـــم ، وهو يبذل بسخاء ، فيقال له : " القرش الأبيض ..." وذلك لحثّه على الاقتصاد ، كما أنّ البخيل لا تقول له : " القـــرش الأبيض ... " ينفع ، لأنّ الذي تقوله له هو الذي يطبقه ، وهو ديدنة وإنّما تقول له : " اصرف ما في الجيب ... " لحثّه على الصّرف.

ومن هنا يتبين للقارئ الكريم أنّه لا يوجد بين المثلين المذكورين أيّ تناقض ، وإنّما التّناقض في الأشخاص لا في الأمثال[389]. ولهذا يصعب تصنيف الأمثـــال ؛ لأنّ المثـــل لا يطرح موضـــوعا اجتماعيا محدّدا وإنّـــما يطرح

[389]- دراسات في المثل العربي المقارن : ص 139.

سلوكـــات تختلف باختلاف حالات الأفراد ، لهذا يكون من الصّعب جمع عدد كبير من الأمثال تعبّر عن موضوع محدّد ، فقد يهتم المثّال بحالة مـــن الحـــالات فيتنوع في التعبير عنها بطرق مختلفـــة ، وقد لا يُعبر حالـــــة أخـــرى نفـــس الاهتمام فيخصها بمثـــل عابر[390].

[390]– منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري : التلي بن شيخ . 159.

خصـــــــائص المثـــــل العـــــامي

يتّخذ المثل العامّي سِمة فنّية رائعة جذّابة تبدو في شكلها أو في مضمونها أو في كليهما معا ، يصاغ بلغة متميزة ذات إيقاع وهي مسجوعة في أغلب الأحيان مما يجعلها أسهل حفظا و أوسع تداولا وانتشارا وتغلغلا في أعماق الإنسان الشعبي ، وموضوعه يرتبط بعبرة حارة وبأسف حاد على ممارسة خاطئة أو سلوك خاطئ ، وقد يرتبط المثل بحكاية شعبية وإمّا أن يكون إيمَاءة لهذه الحكاية أو تلخيصًا لها[391].

إنّ بعض الأمثال الشعبية تقطير لقصة سابقة ، لا يمكن فهمها إلاّ بعد الرّجوع إلى معرفة القصّة التي سبقت المثل ، مثل قولهم " الفيل يحب فيلة " والقصّة مؤدّاها أنّ ملكا كان له فيل فأرسله إلى إحدى المقاطعات لرعايته وقد أتى الفيل على كل المراعي وضاق به الأهالي ذِرعا ففكروا في التخلّص من هذه الآفة ، وشكّلوا وفدا لإقناع الملك برفع هذه المظلمة ، واتفق رئيس الوفد مع رفـــاقه إذا سألهم الملك عن سبب الزّيارة أن يقـــول رئيس الوفـــد " الفيل" فيرد الأعضاء لقد أتى على ما عندنا ، ولكنّ الأعضاء سكتوا ، فخشي رئيس الوفد على نفسه من عقاب الملك فقال " الفيل يحب فيلة " فذهب مثلا[392].

---

[391]- مجلة الثقافة والتراث القومي :ص173-174.

[392]- مطالقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري : ص20.

– يهتم المثل الشعبي بالسلوك الفردي أو الجماعي ؛ بحيث لا يطرح قضية اجتماعية أو سياسية بقدر ما يطرح موقفا ، أو يعبِّر عن ظاهرة ولا يتّخذ منها موقفا صريحا[393]، مثل :

* شاف الضباب دفق ماه .
* السّن تضحك للسّن والقلب فيه خديعه .
* قليـــل لكتاف ينذل لو كـــان فراصـــو عناية .
* اللّي بغى الجبح ما يقول أح .

– يستخدم لفظة (اللّي) المنحوتة من اسم الموصول (الذي) بكثرة . مثل :

* اللي تلغاه جريه .
* اللي ما عرفك خسرك .
* اللي حفر بير لخوه يطيح فيه .
* اللي كلى حقه يغمض عينيه .
* اللي ما رقّع ما لبس .

– قدرة المثّال الشّعبي على صياغة السلوك الإنساني في جمل قصيرة معبّرة عن الظواهر الاجتماعية ، التي تؤكد أنّ المثّال الشّعبي قد استوعب الدّوافع النّفسية المعقّدة واستطاع أن يعـــبّر عنها بطريقـــة جيّدة [394]، مثـــل :

* الخطّاب رطّاب

---

[393]– السابق : ص20.

[394] – الشعر الشعبي العراقي ص3. نقلا عن منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ص21.

* الباطل يبطل .
* خسر وفارق .
* خف تختبل .
* الزّلط والتفرعين .
* الصّابر ينال .
* صماط لامط . وغيرها.

- كما قد تأتي بعض الأمثال طويلة ذات نسق منسجم مسجوع تشدّ الانتباه وتميل إليها الأذن مثل :

* انطربت عليك يا الهمّ ما نطربت علي ، درته عند راصي صبح عند كرعيّ .
* المذبوحة تضحك على المسلوخة والمقطعة شبعت ضحك .
* ما يبكيك إلا شفرك وما يحكك إلا ضفرك .

- تحوي بعض الأمثال على التشبيه البسيط الذي صرح فيه بأداه التشبيه (ك) التي تأتي في العامية مكسورة ومحدودة مثل :

* كي مول الطّاجين .
* كي الدّيك يعرف لوقات وما يصليش .
* ديركي جارك ولاّ بدّل باب دارك .

- إن أسلوب الأمثال الشعبية يشبه أسلوب الألغاز الشعبية ؛ يعتمد على نظام من الكلام يقوم على الملاءمة اللّفظية المنسجمة ، أي على الموازنة بين عدد الألفاظ في كل جملة . وإمّا أن تكون مركّبة من جملة واحدة خالية من الإيقاع والسجع ، لأنّ السجع يفترض وجود وقفتين من جنس صوت واحد يتكرر

مرتين أو أكثر ؛ وإمّا أن تكون مركّبة من جملتين اثنتين مسجوعتين أو مرسلتين، وإمّا أن تكون مركبة من ثلاث جمل أو أربع[395]. مثل :

* لاتحضّر لطرش لاترقق لحرش .

* اللّهمّ اجعلني غابة والنّاس حطّابة .

* قطع الهبره تبرا .

* عمّر داود لايعاود .

* لو كان راني غالب لوكان راني هارب لوكان راني مغلوب لوكان راني مكبوب .

- يتميز أسلوب المثل العامّي في نقد السلوك بتجنب أسلوب الوعظ والتوجيه أو أسلوب الترغيب والترهيب الذي يلجأ إليه القصاص الشعبي ، ذلك أنّ طريقة النقد في الأمثال الشعبية تعتمد على التلميح والإيحاء وقد يعرض المثل موقف ما ، ولكنه يتحاشى التجريح والتعريض الساخر ويمكن التعليل هذه الظاهرة في طريقة المثل بأنّها لا تعالج قضية معينة ولا تواجه مشكلا اجتماعيا يؤدي طرحه إلى الصراع والصدام في الرؤية[396].

---

[395]- الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري : د. عبد المالك مرتاض . الجزائر 1982.ص121 -122.

[396]- منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري : التلي بن الشيخ ص 179.

- كما تتميز بعض الأمثال بأسلوب السخرية والتّهكم الممزوج بروح الفكاهة بحيث تستهوي السامع وتسترعي انتباهه وهذه خصيصة يساعدها على الذيوع والاستمرار . مثل :

* جزّار ويتعشى بالفت .
* حشيشة طالبة معيشة .
* خي خي فينا والله يعافينا .
* الضيف يكره الضيف ومول الخيمة يكرهم في زوج .
* لعمش في بلاد العمي زرق العيون .
* المدبوحة تضحك على المسلوخة والمقطعة شبعت ضحك .
* المندبة كبيرة والميت فار .
* نت مير وأنا مير وشكون صوق الحمير .
* يا حماري لاعينك تخدعني غير ما يشقاش تهز ودنيك.

لقد لّخص زايلر خصائص المثل العامي فيما يلـــي :

1 -أنّه ذو طابع شعبي .
2 -ذو طابع تعليمي .
3 -ذو شكل أدبي مكتمل .
4 -يسمو عن الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب[397].

[397]- أشكال التعبير : ص140 نقلا عن الأمثال في الحديث النبوي الشريف : محمد جابر فياض العلواني. ص187.

التركيـــب اللغـــوي للمثـــل العامـــي

التّركيب هو قول مؤلّف من كلمتين ، أو أكثر لفائدة سواء كانت تامة كقولك : العلم نور ، أو ناقصة كقولك : الجمال الإنساني... والأصل فيه أن تعتبر الحروف بأصواتها ، وحركاتها وانضمامها لحروف أخرى ، وانضمام الحروف في كلمات ، والكلمات في أنساق تؤدِّي موقفا من الدلالة المعنوية ، فيكون إذن نسيجا من العلاقات التي تقوم بين الحروف والكلمـــات وهذا ما يسمى عند العرب بالإسناد [398]. حيث عرفه سيبويه أنّه :« اجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية »[399].

وهذا التعريف يقارب في مفهومه تعريف اندري مارتيني للتركيب حيث يقول : « نطلق تسمية تركيب على كل ارتباط بين وحدات داله . والتركيب المستقل هو ارتباط بين وحديتين دالتين أو أكثر من التي لا ترتبط وظيفتها بموقعها في الكلام » [400].

---

[398] – التراكيب النّحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني :د .صالح بلعيد .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1994. ص101-102-103.

[399] – الكتاب :سيبويه تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخفاجي . القاهرة . ط2 . 1983. 1/ 134.

[400] – مبادئ اللّسانيات العامة .أندريه مارتنيه ص109.

أقســـــــام الجملـــة

الجملة بنية لغوية منطوقة أو مكتوبة ، بسيطه أو مركّبة مشتملة على معنى تام ، أو غير تام ، كما أنّها شكل اجتماعي حضاري وظيفتها الأصلية التعبير والتبليغ [401].

وبعض المحدثين يعرف الجملة عند النجاة بأنّها مصطلح يدل على وجود علاقة إسنادية بين اسمين ، أو فعل واسم ؛ والإسناد هو نسبة إحدى الكلمتين إلى الأخرى ، وفسِّرت النّسبة بأنها إيقاع التعلّق بين الشيئين[402].

ويرد تعريف الجملة على أنّها لبِنة الكلام المرسل وغير مرسل ، وعنصر فقارها الرئيس ، ولا يسمى الكلام جملة إلاّ إذا توافر له ركنان أساسيان هما : الفعل والفاعل ، أو المبتدأ والخبر ، كما قد يحتاجان مع وجودهما إلى مكملات وفضلات ، وهي في واقعها أجزاء هامة في التّعبير لا تنسلخ عن أركانه بقولنا : قام عليٌّ ، وعلي قائِم ، ولكنّه ناقص الإفادة في قولنا ، احترم علي ، وخالد مُحْتَرَمٌ ، إذ لا يتمّ الكلام إلاّ إذا ذكرنا معمولا للحدث وقلنا : احترم عليٌّ أستَاذَهُ ، وعليٌّ مُحْتَرِمٌ أُسْتَاذَهُ[403].

الجملة عند اللغويين و النّحاة العرب تعني : اللّفظ المفيد فائدةً يحسن السكوت عليها[404]. وهي باعتبار النحاة القدماء تنقسم إلى قسمين ، جملة اسمية

---

401 – خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني .دراسة صوتية و تركيبية : د محمد الكراكبي . دار هومة .بوزريعة .الجزائر . 2003. ص130.

402– مبادئ اللسانيات : د. أحمد محمد قدور . دار الفكر المعاصر . ط2 . بيروت . 1999. ص217.

403 – معجم المصطلحات النحوية و الصرفية : د محمد سمير اللّبدي . دار الثقافة . الجزائر . ص52– 53.

404– شرح ابن عقيل على العينة ابن مالك 1/13–14.

وجملة فعلية ، وذلك انطلاقا من ركنيها الذين تقوم عليهما وهما المسند والمسند إليه . والجملة عموما من حيث التركيب نوعان [405]:

الجملة البسيطـــة :

هي كل جملة اشتملت على إسناد واحد من مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل وهي ما كان يطلق عليها الجملة الصّغرى وهي نوعـــان :

أ مجرَّدة أو أساسية : وتتكون من ركني الإسناد المفردين ، ولا يُضاف إليهما عنصر لغوي آخر .

ب موسَّعة : وهي التي يضاف إلى ركنيها الأساسيين عنصرا آخـــر أو أكثر . يؤثّر في مضمونها أو يوسّع أحد عنصريها ، فيضاف إلى المسند أو المسند إليه بعض الدّلالات المعنوية كالتأكيد أو النّفي أو بعض المكملات الأخرى .

الجملـــة المركبّـــة :

هي ما اشتملت على عمليتين إسناديتين فأكثر فتصاغ من جملتين بسيطتين وقد تصاغ من أكثر من جملتين ، فيصطلح على الأول : التركيب المفرد ، وعلى الثاني : التركيب المعقد .

وحتى يتسنى لنا دراسة الجملة في المثل الشعبي قسّمنا مجموعة من الأمثال إلى ثلاثة محاور دلالية : محور الأسرة ومحور العلاقات الاجتماعية ومحور الوصايا، وقد حددنا في كل محور نوع الجملة من حيث الاسمية أو الفعلية وقسمنا الجملة الاسمية والفعلية إلى جملة بسيطة وجملة مركبة من خلال الجداول التالية

[405] – مدخل إلى دراسة الجملة العربية : دار النهضة العربية . 1988. ص145.

1 – محـــور الأســـرة

الجملـــــــــة الاسميـــــــــة	
الجملـــــــة بسيـــــــطة	الجملـــــــة مركبـــــــة
- الخطّاب رطّاب . - زيتنا في بيتنا - دمّك هو همّك - المايده بلا ما من قلّت الفهامة - كل خنفوس عند مّه غزال - ليه الشجره بلا عروق - اليد ما تصفق بلا ختها - زواج ليله تدبير عام.	- العروصة فوق الكرسي ما تحصي وين ترصّي . - بّ وصّى عمّي عليّ ولا ما كلاني عمّي ما يكلني حد . - الشيعة على الضيف والشّبعة على مول الدار . - نسيبك كي المرابط بوس رأسو وجي من هيه . - الخير مرَا والشّر مرا. - الولد مولود والرّاجل موجود وابن امّ منين نجيبو. - قلبي على تمره وقلب مّ على جمره . - خوك عدوك يقوله مسّه تشوف . - مغلوبتي مرتي وِلا كذَّبتوني نوضلها . - الرزامة تحت العروص والعروص ما تتكلّم . - طعام خنّانة ولاّ طعام زخنانة . - داري ستارت عاري . - خوك يبغيك سمينة وراجلك يبغيك صحيحة - اللحم إلى ختر يرفدوه غير الماليه

الجملـــــــــة الفعليــة	
الجملـــــــة بسيـــــــطة	الجملـــــــة المركبـــــة
– حتى قصر ما تّبنى في نهار .	– شوف بيتها وخطب بنتها . – ديري لي دويرتي نورّلك نويتي . – تعيا العين تكبر ويجي الحاجب فوقها . – ما يقعد فالواد غير حجارو . – ما يحمّي القدور غير الجدور . – كف القدره على فمها تشبه مها .

نلاحظ من هذين الجدولين أنّ الجمل الاسمية طغت على الجمل الفعلية وهذا يدل على أنّ المثال يركّز على العلاقات الأسرية إذ يثبت نتائج السلوكات السلبية أو الإيجابية ، حث يقول مثلا : " اللحم إلى خنزير فدوه غير الماليه " ، فالجملة المثلية جملة اسمية و (اللحم) اسم يدل على شيء بعينه ابتدئت به الجملة الاسمية التي تأتي لإثبات الحكم الوارد فيها ، كما أنّ الجمل المركبة أكثر من الجمل البسيطة وهذا أنسب لعظم العلاقات الزوجية وصلة الأرحام .

2– محور العلاقات الاجتماعية

الجملـــــــــة الاسميـــــــــة	
الجملـــــــة بسيـــــــطة	**الجملـــــــة مركبـــــــة**
- اليد ما تصفّق بلا ختها - الشيعة بلا شبعه - الطّير مع الطيور - عيني قبال عينك	- الخير يولّي هراوة ويصوط مولاه . - خفيف لقدام ينمل لوكان وجه مرايا . - قط الخلا يطرد قط الخيمة . - واحد يلعب بالماء واحد ما صاب باه يتوضى . - واحد يلعب بالقرآن واحد ماب باه يصلي . - المندبة كبيره والميّت فار . - الشيعة قمح والبنّة ملح . - القافلة فايتة والكلاب ينبحو . - سيدي زين وزاته حبّه فالعين . - في عشنا ونشنا .

الجملـــــــــة الفعلية	
الجملـــــــة بسيـــــــطة	الجملـــــــــة مركبـــــــة
-يدرّق الشّمس بالغربال . -جيتك على عين العوره . -خلّي البير بغطاه . -خلّط شعبان مع رمضان . -لصق فِيَ كي العلقه . -ما يدخل بين البصله و قشرها غير ريحتها .	-نده للكلب يندە لكعالته . -ننبح ولّى نهز كعالتي . -غسله غسيل الكرشة فالبير . -دير يدك على قلبك اللّي يوجعك يوجع صاحبك . -دير روحك بهلول تشبع كسور . -تسبب يا عبدي ونا نعينك . -عطوني سلتي ماردت عنب . -عطيني عفستك ما ردت خبزتك . -عاملني كي خوك و حاسبني كي عدوك . يحاجي ويفك . -خليني نولده وقمطيه

في هذين الجدولين نلاحظ أنّ الجمل الاسمية تفوق أيضا الجمل الفعلية لأنّها تناسب ما جعلت له من معاني الصلات الأخوية ، ورباط الخير بين الأصدقاء ، فالمثل هنا عامة يصف السلوك الإنساني في أعمق أبعاده والجملة الاسمية أنسب لهذا الغرض ، إذ أنَّها تؤكد ثبوت السلوك الإنساني من خلال وصف العلاقات الاجتماعية .

3-محور الوصايا

الجملـــــــــة الاسميـــــــــة	
الجملـــــــة بسيـــــــطة	الجملـــــــة مركبـــــــة
-الباطل يبطل -الغابة بودنيها . -المشكور مقعور . -الجار قبل الدار . -المكسي برزق الناس عريان . -تبديل السروج راحة .	- الجديد علق واليالي لا نفرط فيه . -الواحد وحد ويسوى وزنو . - الخلطة تردي والجرب يعدي . -الحضري ما ينس لعوايد لو كان يولي قايد . -رزق ربي ممدود ماشي محدود . - الدوام يثقب الرخام . - الكرش قربه ورباطها عقل . - الحميّة تغلب السبع . - الشّر عبايه كصيرة . - العود اللّي تحقره يعميك . - الداره تعيا ودّرو .

الجملـــــــــة الفعلية	
الجملـــــــة بسيـــــــطة	الجملـــــــــة مركبـــــــة
- ما ينفع غير الصّح . -ما نمدش خيرنا لغيرنا . -وصّل الكذّاب لباب الدار .	- سال المجرب لا تسال الطبيب . - دير الرّاي اللّي يبكيك ما ديرش الرّاي اللذي يضحكك ويضحك عليك . - فوت على عدوك جيعان وما تفوتش عليه عريان . - قطع الهبره تبرا . - عاند الجرو يعضّك . - خف تختبل . - خسر وفارق . - ربط حمارك مع الحمير يتعلم الشهيق ولاّ النهيق . - خلط روحك مع النخالة ينقبك الدجاج . - دير كي جارك ولا بدّل باب دارك .

في هذين الجدولين تطغى الجمل الاسمية على الفعلية ، فحينما يقول المثال الشعبي : " رزق ربي ممدود مـــا شي محدود " ، فهي تعني إثبات وتأكيد المعـــنى المقصود من المثل ، وهو أن الله واسع العطاء ، وعندما يقول المثال "

سال المجرب لا تسال الطبيب " وهي جملة فعلية ، والتي تعني عدم الثبوت والاستقرار ، بمعنى أن المجرب كما يصيب قد يخطئ .

ومن هذه الجـــداول يتّضـــح أنّ :

– الجمل الاسمية أكثر من الجمل الفعلية في الأمثال الشعبية ، وهذا يعني أنّ المبدع الشعبي يعبر بدقة على السلوك الإنساني ، ويحرص على صياغته بطريقة أصح وأصوب وأنسب .

- الجمل المركبة أكثر ورودا في المثل العامي من الجمل البسيطة ، لأنَّها تناسب التعقيدات التي تَعتوِر السّلوك الإنساني الذي هو في طبيعته معقّد ، وتطرأ عليه التغيرات وفق الأحوال والظروف ولهذا كانت الجمل المركبة أنسب لوصف هذا التعقيد ، والجملة البسيطة المختصرة جدا لا يمكنها بحال أن تصفه .

الجملـــة النـــواة

رأى النحاة والبلاغيون القدامى أنَّ الجملة تتألَّف من مسند ومسند إليه ، فالمسند هو محكوم به ، والمسند إليه محكوم عليه وما زاد على ذلك غير المضاف إليه والصلة فهو قيد أو عنصر إلحاق ، فقولنا :(أشرقت الشمس)؛ جملة تتضمن مسندا (أشرقت) ومسند إليه هو (الشمس) ، وقولنا : (الحق واضح) يتضمن أيضا مسندا هو (واضح) ومسند إليه هو (الحق) . فالفاعل في الجملة الفعلية ، والمبتدأ في الجملة الاسمية أسند إليهما المعنى وثبت لهما ، على حين أنّ الفعل والخبر بهما جرى الإسناد فثبت بهما المعنى[406].

إنّ كل ما يضاف إلى النّواة الإسنادية (المسند إليه والمسند) من الناحية التركيبية هو إلحاق (expansion) وهذا المفهوم للإلحاق يضارع مفهوم النحاة العرب للفضلة أي كل ما يضاف إلى العمدة في الكلام يعد فضلة يستقيم الكلام بدونه من الناحية الوظيفية[407]، وقد أشار سيبويه إلى الجملة النواة في الكلام العربي الذي يعرف حديثا في اللسانيات بالركن الإسنادي ، وذلك حين عرَّف المسند والمسند إليه بقوله : « وهما مالا يغني واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بُدًّا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ و المبنِيّ عليه ، وهو قولك : عبد الله

---

[406]– مبادئ اللسانيات : د–أحمد قدور ،ص239.

[407]– مباحث في اللسانيات : أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994،ص116.، ينظر مبادئ اللسانيات اندري مارتيني ،ص128.

أخوك ، وهذا أخوك . ومثل ذلك ، يذهب عبد الله ، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بدٌّ من الآخر في الابتداء »[408].

يرى العالم اللساني " أندري مارتيني" أنّ الركن الاسنادي هو النواة التي يبنى حولها الملفوظ ، وتعقد العناصر اللسانية روابطها به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة [409]. كما أعطى نوعا معينا من التّراكيب مكانَة في نظريته حيث جعله النواة الأساسية للجملة ، وأقل ما يمكن أن يكون عليه الكـــلام ، وأقلّ ما يفيد ويتمثل في التركيب الاسنادي الذي يتكون من عنصرين هامين هما المسند وهو نواة الخطاب ، والمسند إليه الذي تكتمل به الجملة[410].

ومواضع المسند في العربية هي : الفعل ، والخبر ، وخبر كان و أخواتها ، و خبر إنّ وأخواتها ، واسم الفعل ، والمصدر النائب عن فعل الأمر . ومواضع المسند إليه هي : الفاعل ونائبه ، والمبتدأ ، وما أصله مبتدأ كاسم كـــان و أخواتها ، و اسم إنّ وأخواتها ، أمّا القيود أو عناصر الإلحاق فنحو ؛ أدوات الشرط ، والنّفي ، والمفاعيل ، والحال ، والتمييز ، والتوابع والنواسخ[411].

والمثل الشعبي لابد وأن يكون له جملة تكون هي النواة في التركيب الكلامي ، فمثلا يرد المثل التالي :

* الخطّاب رطّاب : في هذا المثل الجملة تتكون من مسند إليه وهو (الخطّاب) وهو يقابل المبتدأ في الجملة النموذجية في اللغة العربية ، كما تتكون

---

[408]- الكتاب :23/1.

[409] - ينظر مبادئ اللسانيات : اندري مارتيني . ص123 .

[410]- ينظر مبادئ في اللسانيات :حوله طالب الابراهيمي. دار القصبة للنشر،200. الجزائر .ص101.

[411]- مبادئ اللسانيات: د. أحمد محمد قدور . ص239 .

من مسند وهو (رطّاب) ، ومحله من الإعراب أنه خبر المبتدأ ، وهذان اللفظـــان ، (الخطّاب ، رطّاب) هما ركنان أساسيان في الجملة ، ويكوّنان التركيب الاسنادي الذي يدلّ بنفسه على وظيفته ليتضح المعنى المقصود ؛ وهو أنّ المرء إذا رغب في شيء أخفى ما يسوءه ، ويرد المثل الذي يشبه تركيبه الاسنادي : المشكور مقعور .

* يدرّق الشمس بالغربال : نجد أنّ التركيب المثلي يتكون من الفعل (يدرّق) و الفاعل وهو ضمير مستتر تقديره (هو) ، وهما نواة الجملة المثلية التي هي أساس المثل . أمّا العناصر المكونة من المفعول به وهو (الشمس) والجار والمجرور (بالغربال) تعدّ فضلات أضيفت لتحديد صفة المتحدِّث وهي الكذب .

وسنورد في هذا الجدول أمثالا شعبية ، نوضّح من خلالها النواة والعناصر المرتبطة بها :

المثل الشعبي	الجملة النواة	عناصر الإلحاق
-النية تغلب الحيلة .	– النية تغلب .	– الحيله .
-اليد ما تصفق بلا ختها .	– اليد تصفق .	– ما، بلاختها (ب.لا ، ختها)
-وصاية الميت على ولاده	– وصاية الميت على ولاده	– لا يوجد .
-الحمية تغلب السبع .	– الحمية تغلب .	– السبع .
-دمك هو همك .	– دمك همك	– هو (ضمير الفصل) .
-العربي يعقل على شبعه وعلى صوطه .	– العربي يعقل .	– على، شبعة ، و ، على ، صوطه .
-وصل الكذاب لباب الدار.	– وصّل الكذاب .	– ل، باب ، الدار .
-ماخص الساسي غير الخواصي .	– خص الساسي .	– ما، غير، الخواصي .
- العين تحشم من ختها .	– العين تحشم .	– من ، ختها .
- النار تحت التبن .	– النار : خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو .	– تحت ، التبن .
-ما يحس بالجمرة غير اللي يعفس عليها .	– يحس غير اللي يعفس ز	– ما، ب ، الحمره .
-الخير يولي هراوه ويصوط مولاه .	– الخير يولي هراوة .	– و ،يصوط ، مولاه .
-البعيد على الزازه يتسمى بعقله .	– البعيد يتسمى بعقله .	– على ، الزازه .
– معزه لو كان طارت .	– معزه: خبر مبتدأ محذوف	– لو ، كان ، طارت .

ولتوضيح التركيب اللغوي للمثل العامي الذي يتكون من التركيب الاسنادي (مسند إليه)و(مسند) الذي هو الجملة النواة وعناصر الإلحاق، حللنا بعض الأمثال الشعبية تحليل لساني واستعملنا بعض المصطلحات النحوية العربية وكذا بعض الرموز (المسند اليه)= م إ، المسند = م، (عنصر إِلحاق) = ع ح.

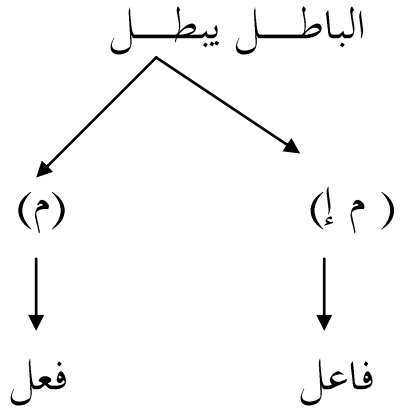

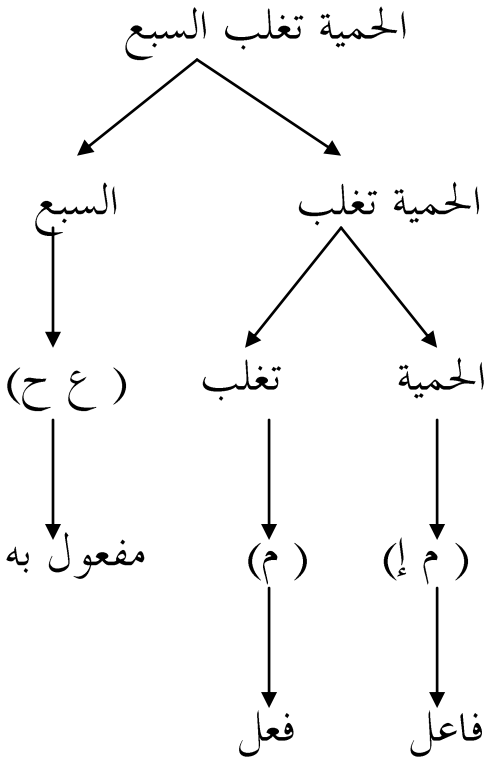

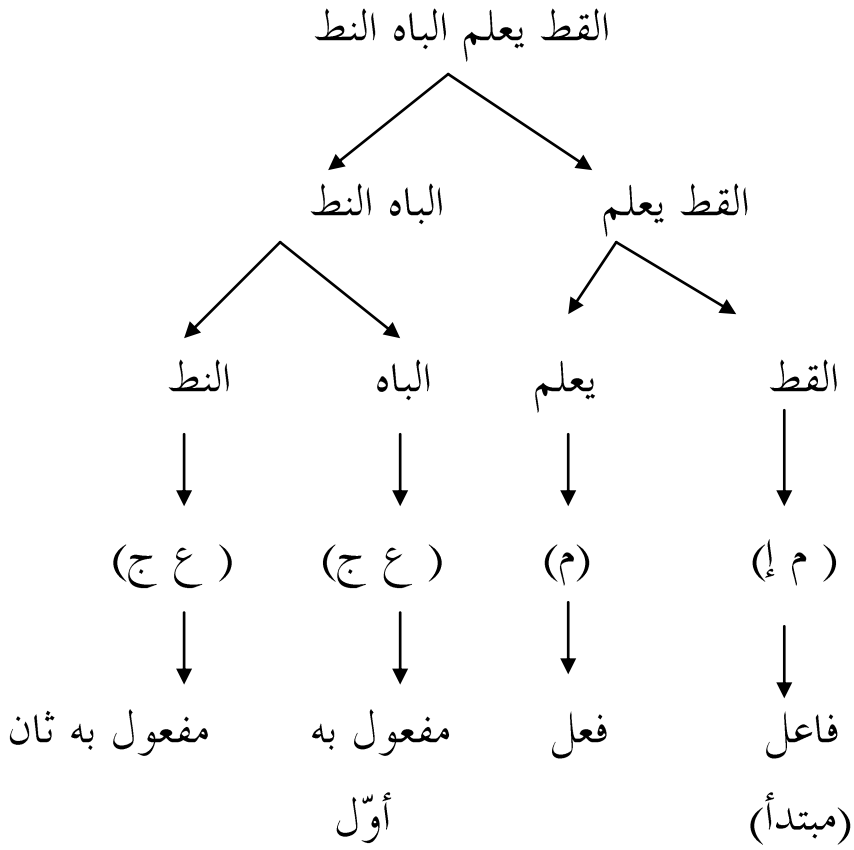

و هنا قُدِّم الفاعل غلى الفعل على الابتداء في هذه الأمثال لأهمّيته و عُلُوِّ شأنه عند المخاطب المستمع ، و لِلَفت الانتباه .

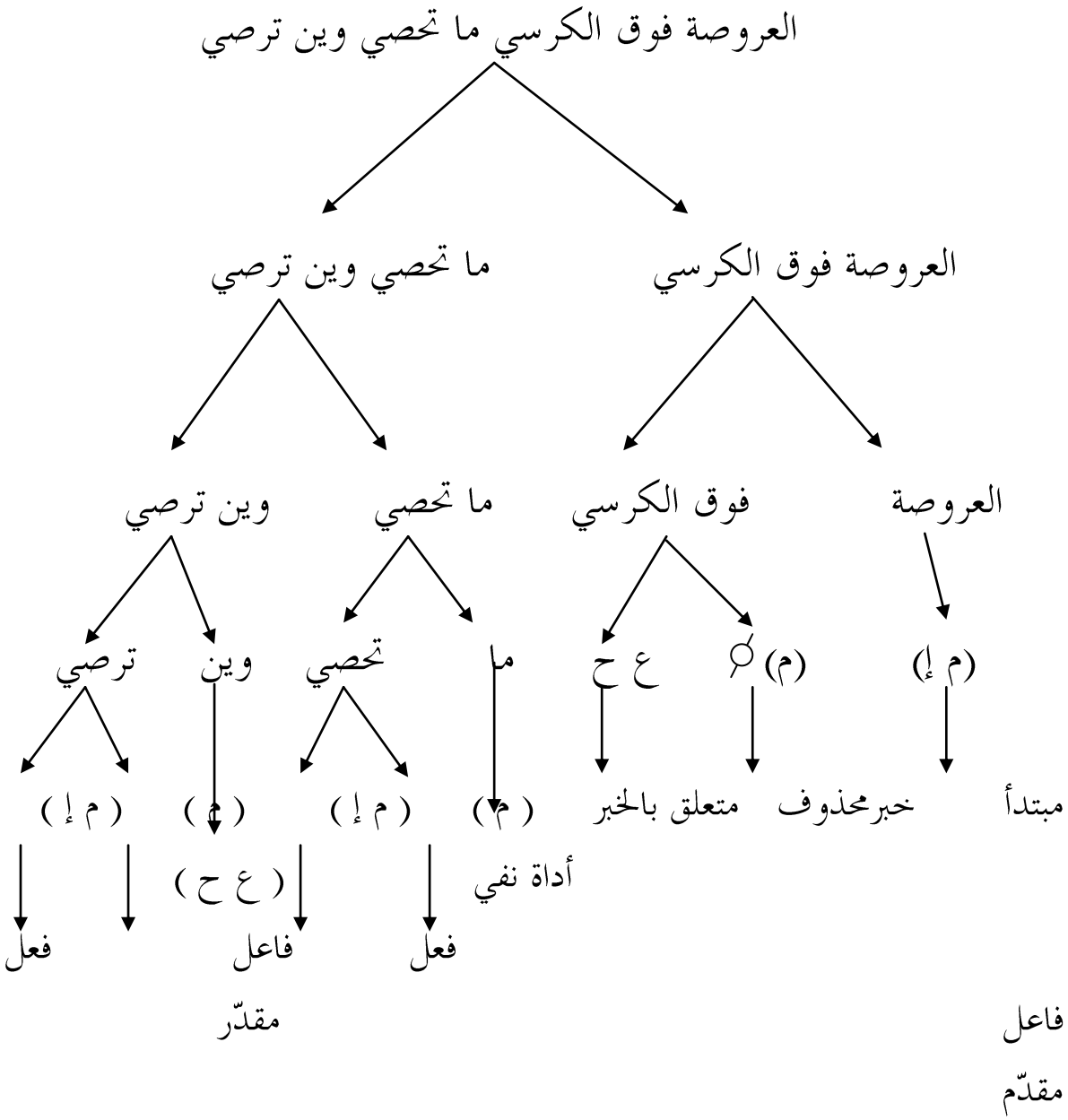
العروصة فوق الكرسي ما تحصي وين ترصي
العروصة فوق الكرسي
ما تحصي وين ترصي
العروصة
فوق الكرسي
ما تحصي
وين ترصي
(م إ)
(م) ∅
ع ح
ما
تحصي
وين
ترصي
مبتدأ
خبرمحذوف
متعلق بالخبر
(م)
(م إ)
(ع)
(م إ)
(م إ)
أداة نفي
(ع ح)
فعل
فاعل
فعل
مقدّر
فاعل
مقدّم

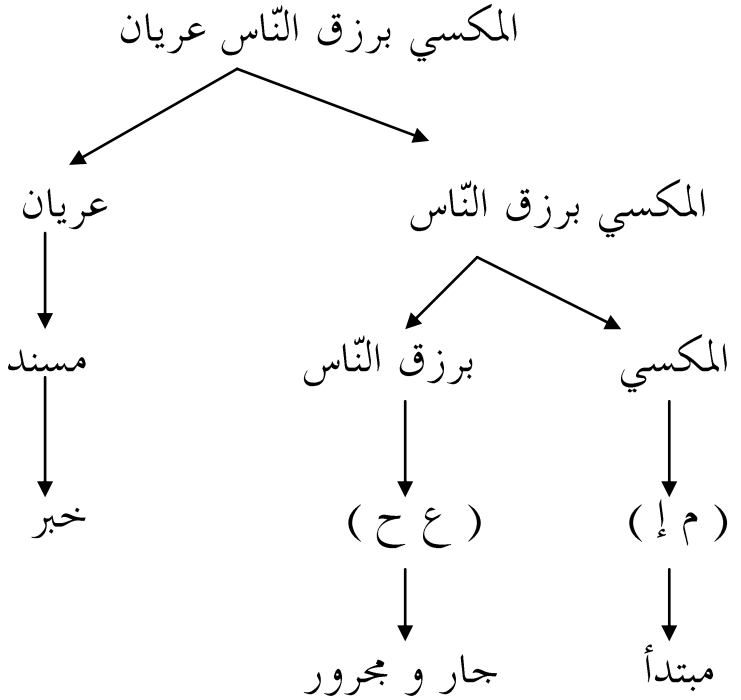
المكسي برزق النّاس عريان
عريان
المكسي برزق النّاس
مسند
برزق النّاس
المكسي
خبر
(ع ح)
(م إ)
جار و مجرور
مبتدأ

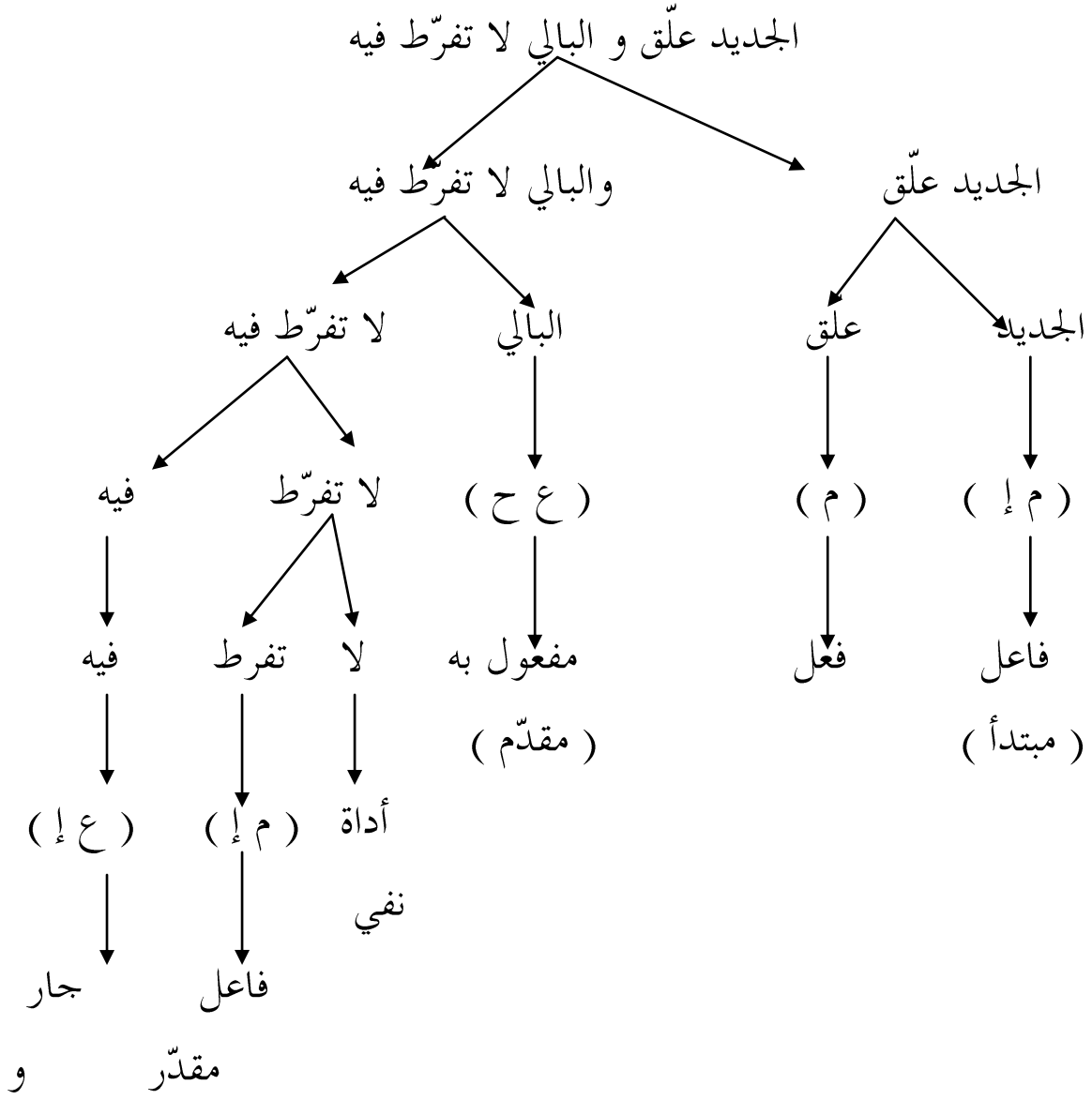
الجديد علّق و البالي لا تفرّط فيه
الجديد علّق
والبالي لا تفرّط فيه
الجديد
علق
البالي
لا تفرّط فيه
(م إ)
(م)
(ع ح)
لا تفرّط
فيه
فاعل
فعل
مفعول به
لا
تفرط
فيه
(مبتدأ)
(مقدّم)
أداة
نفي
(م إ)
(ع إ)
فاعل
جار
مقدّر
و
مجرور

الجملـــة الأصوليـــــة

الجملة لابدّ أن تفيد معنى ما ، وإلاّ كانت عبثا ، فلو رُتبت كلمات ليس بينها ترابط تؤدّي إلى فائدة معنى ما ، لم يكن ذلك كلاما ؛ فلو قلت : سوف محمد حضر ، أو سمع نام لم ، أو ما خالد منطلقا أبوك ، أو السماء يحضر زيد ، لم يفد ذلك شيئا[412].

قال سيبويه : « ألا ترى أنّك لو قلت : (إنَّ يضرب يأتينا) وأشباه هذا لم يكن كلاما »[413].

والجملة تعبير لغوي يقوم على بُنَى تركيبية ، ولكي يكون التعبير تعبيرا صحيحا من الناحية اللّغوية لابد أن يجري على سنن الكلام الفصيح عند العرب ، يقول ابن جني معرّفا النحو الذي يجعله المقوم الأساس للتعبير اللغوي الصحيح وفق أساليب العرب في كلامها : « النحو هو انتحاء سَمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنيه والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنّسب والتركيب وغير ذلك ، ليحلق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة وإن شذّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها » .

إنّ الجملة الصحيحة في نظر علمائنا القدماء يتنازع صحتها مقياســـان ، مقياس صحة القواعد ، ومقياس صحة الدّلالة والتي نسمتها الجملة الموافقة للأصول اللغوية أي الجملة الأصولية ؛ بمعنى أن تكون صحيحة ومقبولة من

412- الجملة العربية والمعنى : د . فاضل السامرائي، دار الفكر . ط1. عمان الأردن . 2007. ص7

413- الكتاب : سيبويه 3/1.

حيث سلامة القواعد الصوتية ، والصرفية ، والتركيبة وكذا صحيحة من حيث القبول الدلالي لدى السامع العربي المثالي ، يقول سيبويه في باب استقامة الكلام وإحالته : « منه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب ، فأمّا المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس وسآتيك غدا . وأمّا المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره ، فتقول : أتيتك غدا ، وسآتيك أمس ، وأمَّا المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر ، وأمَّا المستقيم القبيح فأن تضع اللّفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيدا رأيت ، وكي زيد يأتيك ، وأشباه هذا . وأمَّا المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس »[414].

يقول الأستاذ ميشال زكريا عن أصول الجملة : « لا ينحصر الحكم بأصولية الجمل في الواقع بقبول جملة معينة أو رفضها ، إنَّما ينصّ على وجود درجات متباينة من حيث النظرة إلى الجمل ، وذلك لأنّ الجمل الغير الأصولية تتباين بالنسبة إلى درجة انحرافها عن قواعد اللغة ، فترتبط درجة غير أصولية الجملة بالمستوى الذي تنتمي إليه القاعدة التي تنحرف الجملة عنها »[415].

يرد المثل الشعبي * يدرق الشمس بالغربال : ويقال فيمن يخفي الحقيقة الواضحة .

يخضع هذا المثل من خلال الجملة التي ورد فيها للترتيب الأصولي للمؤلفات الكلامية في اللغة العربية : فعل ، اسم ، حرف جر ، اسم ، فهي

---

[414]- الكتاب :1/25-26.

[415]- الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية : د.ميشال زكرياء . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . 1983 بيروت لبنان . ص09.

جملة مقبولة ؛ وذلك لأنَّها تخضع لقاعدة الملاءمة بين سمات الاسم ، الفاعل والفعل ، فالفعل (يدرّق) بمعنى أخفى يقتضي اسما فاعلا يحوي على سمة الحركة للقيام بالفعل و هو في هذه الجملة ضمير مستتر تقديره هو .

* الباطل يبطل : ويقال في الشرّ الذي لا يدوم ، كما يقال في الشخص الذي يبحث دوما عن الأشياء الرخيصة ، وهذه الجملة المثلية أصولية لوجود (أل) التعريف التي تميّز بين الاسم والفعل ؛ إذ لا يمكن أن يقول المثّال : باطل اليبطل ، فهذه الجملة غير أصولية ، فهي لا تتّفق مع الجملة الأصولية العربية ، حتى وإن ورد شذوذا ، أو للضرورة الشعرية اتصال (ال) بالفعل في بعض الشعر العربي ، كقول الفرزدق [416]:

مَا أنتَ بالحكمِ التُّرضى حكومَتُه * * ولاَ الأصيلِ ولا ذِي الرَّأي والجَدَلِ

يقول ابن عقيل : « وقد شذّ وصل الألف واللاّم بالفعل المضارع ، وإليه أشار ابن مالك بقوله : وكونها بمعرب الأفعال قل » [417].

* صلاة القياد غير الجمعة و العياد : هذه الجملة أصولية ، والمثال أعرض عن نطق الجملتين :

ج1 : القياد صلاة غير الجمعة والعياد .

ج2 : الصلاة قياد غير الجمعة والعياد .

---

[416] – شرح ابن عقيل : 1/ 157.

[417] – المصدر نفسه : 1/ 156.

فالجملتان (1) و (2) لا تنتميان إلى جمل اللغة العربية أصوليا إذ الجملة (1) لا تخضع للترتيب الأساسي المعتمد في العربية ؛ أي (المسند إليه) الذي يكون عبارة عن مضاف ومضاف إليه ؛ بحيث لا يمكن أن نقدم المضاف إليه عن المضاف ، وإلاّ اختل المعنى في المثل ؛ و بالتالي لا يُفهَم المقصود منه . أمّا الجملة (2) فهي غير أصولية أيضاً ، وذلك لتغير (أل) التعريف عن مرتبته الصحيحة بالنسبة إلى الجملة الأصولية في المثل : " صلاة القياد غير الجمعة والعياد " ؛ لأنّ (صلاة القياد) عبارة عن مضاف ومضاف إليه ، وهو محله الابتداء فهو مسند إليه . أمّا الجملة (2) صلاة قياد ؛ فإنها عبارة عن مسند إليه وهو (الصلاة) ، ومسند وهو (قياد) وهذا يعني أن (الصلاة) هي (القياد) وهذا لا يقبل دلاليا . ومن ثم يختل المثل الشعبي إذا صيغ بهذه الصياغة الخاطئة أصوليا ، ومن ثم لا تفهمه العامة .

وهذا يعني أن كل من المثَّال والعامة مستقيم في كلامه وفق القواعد الأصولية المعهودة في اللغة العربية .

وبناءًا على هذا سنُفرِد جدولاً لبعض الجمل الأصولية في الأمثال الشعبية ونقابلها بالجمل غير الأصولية التي يختل بها معنى المثل وتتشوه بها دلالته ، والتي هي غير متطابقة مع أصول اللغة العربية في جملها المُطَّردة قواعدياً ؛ وذلك حتى يتضح مدى أصولية الجملة في المثل العامِّيّ .

الجملـــة الأصولية	الجملـــة غير الأصولية	سبب الانحـــراف

– كف القدره على فمها تشبه مها	– كف قدره على الفمها تشبه مها	– اقتران (ال) ب (فمها) فلا يجوز وجود علامتين لتعريف الاسم
– خدم يا عبدي وانا نعينك	خدم يا العبدي وانا نعيك	لا يجوز اقتران (ال) بالمنادى
– الحر يفهم بالغمزه والبرهوش بالدبزه .	– الحر يفهم بالدّبزه والبرهوش بالغمزة . – البرهوش الحر بالغمزة وبالدبزة يفهم	– غير مقبولة دلاليا لأنها تناقض العقد الاجتماعي في معناها. – لأن صفة (الحر) لا تناسب الموصوف – وهناك تضاد في تعلق الفعل بالغمزة والدبزة.
– حييني اليوم واكتلني غدوة	كتلني اليوم وحيني غدوة	هي غير مقبولة دلاليا ، فهي من المستقيم الكذب
– اللي يعيب يلحق	يلحق يعيب اللي	(اللي) اسم موصول ولابد من أن يتبع بجملة الصلة كمل في العربية فلا تقدم صلته عليه .

من خلال هذا الجدول وما قمنا به من تحليل يتَّضح لنا أنَّ الأمثال الشعبية أصولية في جملهـــا ، من حيث موافقتها وعدم انحرافها عن قواعـــد اللغـــة العربيـــة.

التوجيـــه اللّغوي للمثـــل القـــرآني

المثل القرآني الأول :

قال تعالى : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَ اللهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَشَوْا فِيهِ وَ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[418].

ضرب الله للمنافقين بحسب حالهم مثلين: مثلا ناريا و مثلا مائيا لما في النار و الماء من الإضاءة و الإشراق و الحياة، فان النار مادة النور، و الماء مادة الحياة، و قد جعل الله-سبحانه-الرحمان الذي أنزله من السماء متضمنا لحياة القلوب و استنارتها، و لهذا سماه: روحا و نورا و جعل قابليه أحياء في النور و حتى لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات[419].

و أخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي، إنهم بمنزل من استوقد نارا لتضئ له ينتفع بها، و هذا لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاؤوا به، و انتفعوا به و آمنوا به، و خالطوا المسلمين، و لكن لم يكن لصحبتهم مادة في قلوبهم من نور الإسلام، طغى عنهم و ذهب الله بنورهم، ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي، فشبههم بأصحاب صيب و هو المطر الذي يترل من السماء فيه ظلمات و رعد و برق، فلضعف بصائرهم و عقولهم اشتدت زواجد القرآن، و

---

[418] - سورة البقرة: 17-20 .

[419] - أمثال القرآن : ابن القيم الجوزية . ص27 .

وعيده و تهديده، و أوامره و نواهيه، و خطابه الذي يشبه الصـــواعق، فحـــالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة و رعد و برق، فلضعفه و خوره، جعل إصبعه في أذنيه، وغمض عينيه من صاعقة تصيبه[420].

يقول عز وجل ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** ﴾[421]. ﴿ **مثلـــهم كمثل** ﴾ مبتدأ و خبر و الكاف يجوزان يكون حرف تر متعا بمحذوف خبر، و يجوز أن يكون اسما بمعنى مثل فلا يتعلق بشيء و المعنى المراد: صفتهم مثل صـــفة الذي[422]، أو حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا.[423]

و الشاهد على أنها قد تأتي بمعنى الاسمية قول الشاعر:

أتنتهون و لن ينهى ذوي شطط * كالطعن يهلك فيه الزيت و الفتل[424]

و يقول ابن جني[425] " فليست الكاف هنا حرف جزيل هي اسم بمنزلـــة مثل كإلفي في قولـــه:

---

[420] – أمثال القرآن: ابن اليم الجوزية. ص28. البدائع في علوم القرآن: ابن القيم. ص143 مباحث في علوم القرآن: منـــاع القطـــان. ص260.

[421]– التبيان في إعراب القرآن أبو البقاء العكبري: تحقيق: علي محمد البجاوي. دار الجيل .ط بيروت. 1987: 32/1. إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد. مكتبة النهضة العربية. ط2، 1:193/1985.

[422] – ينظر: ألبرها في علوم القرآن: 332/1. تفسير الفخر الرازي: 82/2.

[423]– ينظر: الكشاف:72/1.

[424]– ينظر: أسرار العربية: أبو البركات الأنبا ري، تحقيق : فخر صالح قدارة، جار الجيل، ط، 1995، بيروت: ص 233. الخصائص: ابن جني.148/2 .سرضاعة الإعراب: ابن جني دار الكتب العلمية. ط1. بيروت لبنان 2000: 292/1.

[425]– الخصائص: 148/2

على كالقطا الجوني أفرغه الزجر[426]

و يرى سيبويه أن قوع الكاف اسما مخصوص الضرورة، في قوله:" ألآذان ناسا من العرب إذا اضطروا في الشعر جعلوها بمنزلة مثل"[427].

"و الذي" جاءت في الآية مفرد في اللفظ و المعن على الجمع، بدليل قوله تعالى ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾[428] و له وجهان أحدهما . هو جنس بمنزلة (من) و (ما) ولهذا أفراد الضمير في قول ﴿ **ما حوله** ﴾ على اللفظ ، ثم جمع في قوله (بنورهم) على المعنى, كما يفعل بمن وما[429]. والثاني : وضع موضع الذين كقوله: ﴿ **وخضتم كالذي خاضوا** ﴾.

حذفت النون منه لطول الكلام بالصلة[430]، كما حذفت في قوله: أنبي كليب إن عمي اللذان قتلا الملوك وفككا الأغلال[431] والشاهد النحوي في البثي (اللذا) و أصله (اللذان) بتشيد النون وفي النصب والجر الذين، وذلك تخفيف النون أيضا وتشديدها، وأسقطت الياء لسكونها، وسكون علم التثنية[432].

وقد أرجع القراء ضرب المثل للنفاق وليس لأعيان المنافقين: أن يبرز من خلال التمثيل قبح النفاق وأضراره ومسائه، وزجر النفوس لما ترى من عواقبه

---

[426] – سرضاعة الإعراب: 1/ 296.

[427] – الكتاب: سيبويه 203/1

[428] –التبيان في أعرب القرآن : أبو البقاء العكبري: 32/1

[429]– المصدر نفسه: 32/1. الفريد في إعراب القرآن المجيد: المنتجب الهمداني تحقيق د. محمد حسن النمر، دار الثقافة، ط1 قطر، 231/1991:1.

[430]– الكشاف: 72/1، الفخر الرازي: 82/2.

[431]– يسبوي: 95/1.

[432]– الفريد في إعراب القرآن: 174/1.

وذلك حيث قال[433]: " فإنما ضرب المثل والله أعلم – للفعل لأعيان الرجال، وإنما هو مثل للنفاق: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا: و لم يقل: الذين استوقدوا، وهو كما قال الله: ﴿ **تدور أعينهم كالذي يُغشَى عليه من الموت** ﴾[434]، وقوله : ﴿ **ما خَلْقُكُم و لا بَعْثُكُم إلاَّ كَنَفْسٍ واحدةٍ** ﴾[435] ، فالمعنى – والله أعلم – إلا كبعث نفس واحدة ؛ ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعا كما قال : ﴿ **كأنهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ** ﴾[436] أراد القيم والأجسام ، وقال : ﴿ **كأنهم أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ** ﴾[437] فكان مجموعا ، إذا أراد تشبيه أعيان الرجال فأجر الكلام على هذا؟.

و﴿ **استوقد** ﴾ بمعنى أوقد ، مثل استقر بمعنى أقر ، وقيل : استوقد على000[438] ومثله استجاب بمعنى أجاب ، لأن معنى استجاب طلب الإجابة بقصده لها .

وأجاب: أوقع الإجابة بقصده لها . وأجاب : أوقع الإجابة بفعلها وكلاهما واحدة[439]. قال الشاعر[440] :

وداع دعا يا من يجيب إن الندى *** فلم يستجبه عند ذاك مجيب

---

[433]– مشكل إعراب القرآن ومعانيه: أبي زكرياء الفراء، تحقيق محمد بن عيد، دار الصحبة 000 الشعباني، ط1، طنطا، 2006، 11/1، 12.

[434]– سورة الأحزاب: 19.

[435]– لقمان: 28.

[436]–. المنافقون: 04.

[437]– التبيان في إعراب القرآن: العكبري: (33/1

[438]– الحاقة: 07.

[439]– الفريد في إعراب القرآن المجيد: المنتجب الهمداني 231/1، البحر المتوسط: 1/

[440]– الليسان مادة (جوب).

أي فلم يجبـــه[441] .

قوله ﴿ **فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون** ﴾.﴿ **أضاءت** ﴾ : قيل متعد وقيل لازم ومتعد ، قالوا : وهو أكثـــر وأشهر فإذا كان متعديا ، كانت الهمزة فيه للنقل ، إذ قال : ضاء المكان كمـــا قال العباس بن عبد المطلب ، في النبي عليه الصلاة والسلام :

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق[442]

ويقال: أضاءت النار وضاءت لفتات إذا كثر نورها ، والإضـــاءة فـــرط الإنارة[443] ، ومصداق ذلك قوله تعالى[444] ﴿ **هو الذي جعل الشمسَ ضِياءً والقمرَ نورًا** ﴾.

ويقال : أضاءت النار بنفسها وأضاءت غيرها وكذلك أظلم الشيء بنفسه وأظلم غيره أي صيره مظلمات ، وفهنا الأقرب أنها متعدية ، ويحتمل أن تكون غير متعدية مستندة إلى ما حوله والتأني للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء[445] .

---

[441]– الفريد في إعراب القرآن المجيد/ المنتجب الهمداني: 231/1.

[442]– البحر المحيط: 115/1.

[443]– الفريد في إعراب القرآن المجيد: المنتجب الهمداني: 231/1.

[444]– الفخر الرازي: 83/2.

[445]– سورة الفرقان:

وفي قوله تعالى ﴿ **ذهب الله بنورهم** ﴾ قال النحاس : « (ذهب الله بنورهم) وأذهب نورهم بمعنى واحد »[446]، و الفخر الرازي يميل إلى أن ثمة فرقا بين معنى أذهب وذهب به ؛ حيث إن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ، ويقال : ذهب به إذا استصحبه ، ومعنى به معه ، وذهب السلطان بماله أخذه[447]. وقال أبو حيان الأندلسي[448]: « والباء في (نورهم) للتعدية, وهي عند جمهور النحويين ترادف الهمزة فإذا قلت خرجت بزيد فمعناه أخرجت زيدا ، و لا يلزم أن تكون أنت خرجت ،وذهب أبو العباس إلى أنك إذا قلت : قمت بزيد ذل على أنك قمت و أقمته ،و إذا قلت : أقمت زيدا ، لم يلزم أنك قمت ، ففرق بين الباء و الهمزة في التعدية ، و إلى نحو من مذهب أبي العباس ذهب السهيلي ، قال : تدخل الباء ، يعني المعد حيث تكون من الفاعل بعض مشاركة للمفعول في ذلك الفعل نحو : أقعدته ، ومنه قعدت به ، وأدخلته الدار ودخلت به ... ألا ترى أن المعنى أذهب الله نورهم ، ألا ترى أن الله لا يوصف بالذهاب مع النور؟ قال بعض أصحابنا : ولا يلزم ذلك أبا العباس ، إذ يجوز أن يكون الله وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به ، كما وصف نفسه تعالى بالمجيء في قوله : ﴿ **وجاء ربك** ﴾[449]، والذي يفسد مذهب أبي العباس من التفرقة بين الباء و الهمزة قول الشاعر:

ديار التي كانت ونحن على منى *** تحل بنا لولا نجاء الركائب

---

[446]- الفخر الرازي: 83/2، الكشاف: 73/1.

[447]- إعراب القرآن: 231/1.

[448]- تفسير الفخر الرازي: 83/2.

[449]- سورة الفجر: 22.

أي تحلنا ألا ترى أن المعنى تصيرنا حلالا غير محرمين ، وليست تدخل معهم في ذلك لأنها لم تكن حراما ، فتصير حلالا بعد ذلك ولكون الباء بمعنى الهمزة لا يجمع بينهم ، فلا يقال : أذهبت بزيد ولقوله تعالى : ﴿ **تنبت بالدهن** ﴾[450] في قراءة من جعله رباعيا تخريج يذكر في مكانه ،إن شاء الله تعالى ، ولباء التعدية أحكام غير هذا ذكرت في النحو ، وقرأ اليماني[451] : أَذْهَبَ اللهُ نورَهم ، وهذا يدل على مرادفة الباء للهمزة، ونسبة الإذهاب إلى الله تعالى حقيقة، إذ هو فاعل الأشياء كلها".

وقوله تعالى ﴿**وتركهم في ظلمات لا يبصرون**﴾ . قرأ الجمهور : ﴿ **في ظلمات** ﴾ ذ بضم اللام وقرأ الحسن وأبو السماك : بسكون اللام ، وقرأ قوم ظلمات ؛ يفتح اللام[452]، وهي على هذا جمع ظلم ، وقيل : العدول إلى الفتح ﴿ **ظلمات** ﴾ تخفيفا أسهل من إدعاء جمع الجمع ؛ لأن العدول إليه قد جاء في نحو: كسرات جمع كسرة جوازا ، وإليه في نحو: جفت وجوبا[453] وقال ابن جني عن هذه الأوجه: " وكل ذلك جائز حسن "[454].

وتشبيه الإيمان بالنور والكفر والنفاق بالظلمة ، هو في القرآن الكريم كثير ، والوجه فيه أن النور قد بلغ النهاية في كونه هاديا إلى المحجة وإلى طريق المنفعة وإزالة الجيرة ، وكذلك القول في تشبيه الكفر بالظلمة : ولا الضال عن طريق

---

[450]- سورة المؤمنون: 20.

[451]- تفسير الفخر الرازي: 83/2.

[452]- البحر المحيط: 118/1 المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاحات عنها: ابن جني: 56/1. مختصر في شواذ القرآن: ابن خالويه: ص 10.

[453]- البحر المحيط: 118/1.

[454]- المحتسب: 56/1.

المحتاج إلى سلوكه ، لا يرد عليه من أسباب الحرمان والتحية أعظم من الظلمة ، ولا شيء كذلك في باب الدين أعظم من الكفر[455].

وحيثما وقع ذكر النور والظلمة في القرآن جاء على مترع خاص من أفراد النور وجمع الظلمات*، كقوله تعالى: ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾[456] وقوله أيضا : ﴿ **وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلم ولا النور** ﴾[457] .

وقد جاءت الظلمات هنا في هذا الوضع من المثل القرآني بصيغة الجمع ومنكرة، لمعنى التكثير والمبالغة، فهذه الظلمات لنا كثرة الشبهات التي تعرض للمنافق وتحدق به بسبب مكره السيئ، حتى يتخلع عن 0000 الإيمان والإسلام، وتكثير الظلمات دليل على شدة التحير والشك الحاد في القلب والبصر والحال، ولذا كانت نتيجة أنهم: (لا يبصرون) أي لا إبصار لهم أصلا وبالكلية ببصر ولا بصيرة[458].

وفي قوله تعالى: ﴿**صم بكم عمي فهم لا يرجعون**﴾ . ﴿ **صم بكم عمي** ﴾ : قرأ الجمهور على الرفع على أنه خبر ابتداء محذوف أي هم صم[459]. إذ يؤول معناها كلها إلى عدم قبولهم الحق وهم سمعاء إلا فصح الألسن ، بصراء الأعين ، لكنهم لم يصيخوا إلى الحق ولا نطقت به ألسنتهم ، ولا تلمحوا أنوار

---

[455]- تفسير الرازي: 82/2

*- البحر المحيط: 18/1.

[456]- سورة البقرة: 257

[457]- سورة فاطر: 20/19.

[458]- ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: د. عبد الحميد أحمد هنداوي، المكتبة العصر ط1، بيروت لبنان، 2001: 1132.

[459]- التبيان في إعراب القرآن: العكبري: 34/1.

الهداية ، وصفوا من الصم والبكم و العمي[460] ، وهذا من باب المجـــاز[461]. وفي قراءة عبد الله بن مسعود وحفصة أم المؤمنين : ﴿ **بكما عميا** ﴾بالنصـــب[462]. ونصبه على جهتين ، إن شئت على معنى : تركهم صما بكما عميا ، وإن شئت ألغيت بأن توقع الترك عليهم في

الظالمات ، ثم تستأنف (صما) بالذم لهم ، 000 تنصيب بالذم وبالمدح، لأن فيه مع الأسماء مثل معنى قولهم: ويلا له، وثوابا له، وبعد (وسقيا ورعيا)[463].

﴿ **أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين** ﴾.

قوله تعالى (أو كصيب) (أو) لها خمسة معان : الشك ، والإبهام ، 0000 والإباحة ، والتفصيل . وزاد الكوفيون أن تكون بمعنى الواو وبمعنى بل[464]. وذكر 000 أنه مردود على قوله: ﴿ **مثلهم كمثل الـــذي اســـتوقد نـــارا** ﴾ ، (أو كصيب) : أو مثل صيب ، فاستغنى بذكر (الذي أستوقد نارا) ، (أو كصيب) : أو كمل صيب ، فاستغنى بذكر (الذي استوقد نارا) فطرح ينبغي أن يكون مع الصيب من الأسماء ، ودل عليه المعنى ؛ لأن المثل ضرب للنفاق ، فقال : (فيـــه

---

[460]– البحر المحيط: 119/1. الفخر الرازي: 84/2.

[461]– البحر المحيط: 119/1. الكشاف: 76/1.

[462]– البحر المحيط: 120/1. الفريد في إعراب القرآن المجيد: 234/1.

إعراب القرآن: النحاس: 194/1. مختصر في شواذ القرآن: ابن خالويه: ص 10.

[463]– مشكل إعراب القرآن ومعانيه: القراء: 12/1.

[464]– البحر المحيط: 121/1. تفسير الفخر الرازي: 86/2. الفريد في إعراب القرآن: 235/1.

ظلمات ورعد وبرق)[465] فشبه الظلمات بكفرهم ، والبرق إذا أضاء لهم فمشوا فيه بإيمانهم والرعد ما أتى في القرآن من التخويف ، وقد قيل فيه وجه آخر ؛ قيل : إن الرعد إنما ذكر مثلا لخوفهم من القتال إذا دعوا إليه ، ألا ترى أنه قد قال في موضع آخر : (يحسبون كل صيحة عليهم)[466] أن يظنون أنهم أبدا مغلوبون. والصيب : المطر الذي يصوب أو يترل ويقع من قولك : صاب يصوب صوبا إذا انحدر[467]. والأصل عند البصر 00 صَيْوِب ثم أدغم مثل ميت ، وعند الكوفيين الأصل صَوِيب على فعيل ثم

أدغم ولو كان كما قالوا لما جاز إدغامه كما لا يجوز أدغام طويل[468]. وتنكير (صيب) لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل، كما تنكرت النار في التمثيل الأول، وقرئ أو كصائب وصيب أبلغ[469].

و(السماء) المظلمة وكل ما علاك فأظلك فهو سماء، ومنه قيل لتسقط البيت سماء، والسماء أيضا المطر، يقال: أصابهم سماء أي مطر كثير[470]، قال الشاعر:

---

[465]- مشكل إعراب القرآن ومعانيه: 12/1.

[466]- المنافقون: 04.

[467]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: المنتجب الهمداني: 1 /235.

[468]- إعراب القرآن: النحاس – التبيان في إعراب القرآن: العكبري: 35/1.

ينظر الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: الشيخ أبي البكر الأنباري: تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، حدة 2005 المسألة: 115.

[469]- تفسير الفخر الرازي: 86/2-87.

[470]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: 236/1.

إذا تسقط السماء بأرض قوم من رعيناه وإن كانوا غضبابا[471]

قال الرازي : « والسماء هذه المظلة.....ولو قال ، أو كصيب فيه ظلمات احتمل أن يكون ذلك الصيب نازلا من بعض جوانب السماء دون بعض، أما لما قال من السماء دل على أنه عام مطبق آخذ بآفاق السماء فلما حصل في لفظ الصيب مبالغات من جهة والتركيب والتنكير أيد ذلك بأن جعله مطبقا ، الثاني من الناس : من قال : المطر إنما يحصل من ارتفاع أبخرة رطبة من الأرض أن الهواء فتنعقد هناك من شدة يرد الهواء ثم تنزل مرة أخرى ، فذاك هو المطر ثم إن الله سبحانه وتعاني

أبطل ذلك المذهب فهنا بأن بين أن ذلك الصيب نزل من السماء "[472].

وقوله تعالى (أصابعهم) من المبالغة ما ليست في ذكر الأنامل »[473].

وقوله (الصواعق) ؛ الصاعقة: الواقعة الشديدة من صوت الرعد معها قطعة من نار تسقط مع صوت الرعد ، قالوا: تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه، وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه، وهي مع حدتها سريعة الخمود، ويهلك الله بها من شتاء[474]. ويقال صعقتهم السماء إذا ألقت عليهم الصاعقة، والصاعقة أيضا صيغة العذاب، ويقال أيضا: صعقته الصاعقة إذا

---

[471]- لسان العرب مادة (سما).

[472]- تفسير الفخر الرازي: 87/2.

[473]- الكشاف: 84/1.

[474]- تفسير البحر المحيط: 123/1. ينظر: تفسير الفخر الرازي: 88/2.

أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصورة أو بالإحراق وقرئ (من الصواقع) بتقديم القاف، وهي لغة تميم[475]. قال الشاعر :

ألم تر أن المجرمين أصابعهم *** صواقع لا بل هن فوق الصواقع[476]

ونقل القلب عن جمهور أهل اللغة[477].

وفي قوله تعالى (يخطف أبصارهم) وفي (يخطف) سبعة أوجه القراء الفصيحة

(يخطف)، قرأ على ابن الحسين ويحيى بن وثاب (يكاد البرق يخطف أبصارهم)[478] بكسر الطاء. قال سعيد الأخفس: هي لغة وقرأ الحسن وقتادة وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي (لا يكاد البرق يخطف) بفتح الياء وكسر الخاء

والطاء وروي عن الحسن أنه قرأ بفتح الخاء، قال الفراء[479]: وقرأ بعض أهل المدينة بتسكين الخاء وتشديد الطاء، وقال الكسائي و الأخفس والقراء: يجوز

---

[475]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: المنتجب الهمداني: 237/1،

ينظر: مختصر في شواذ القرآن: لابن خالويه: ص 11.

[476]- اللسان: مادة (صقع).

[477]- البحر المحيط: 124/1.

[478]- مختصر في شواذ القرآن: لابن خالويه: ص 11.

[479]- مشكل إعراب القرآن ومعانيه: القراء: 13/1، مختصري في شواذ القرآن: ص 11.

(يخطف) بكسر الياء والخاء والطاء، فهذه ستة أوجه موافقة للسواد والسابع حكاه عبد الوارث قال: رأيت في مصحب أبي "يكاد يتخطف أبصارهم"[480].

المثل القرآني الثاني :

[480]- إعراب القرآن: النحاس: 195/1، تفسير المحيط: 131/1.

يقول الله تعالي : ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مضا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً** ﴾[481].

قال المشركون: ما بال العنكبوت و الذباب يذكران، فانزل الله الآية، وقال قتادة: أي أن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئا مما قل أو كثر، و إن الله حين ذكر في كتابه الذباب و العنكبوت قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا فأنزل الله الآية الكريمة[482].

فالله سبحانه يضرب المثل بالشيء القليل و الحقير الذي لا ينال من الكفار حقا من إحترام؛ لأنهم جهلوا أن ضرب المثل يحقق حكمة يريدها الله، وهي العظة و الاعتبار، زيادة الفهم و الإدراك للأمور، و أن الله خالق الشمس و القمر، و الكون الكبير، هو الخالق للصغير من الأمر، فليست هذه أصعب من تلك، فإذا اقتضت شيئة الله أمرا خلقه بقدرته القادرة القاهرة، يشترك في ذلك النملة و الفيل، و الكبير و الصغير[483].

قرأ جمهورا القراء: يستحيي بياءين، و الماضي: استحيا، وهي لغة أهل الحجاز، وهذا هنا من الحياء. و قرأ ابن بحيصن و يعقوب: يستحي بياء واحدة، وهي لغة بني تميم، قال الشاعر:

---

[481] سورة البقرة :26

[482] ينظر تغمير إبن كثير: دار الأندلس، ط 4 ، بيروت لبنان 1983: 111/1.

[483] عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: ص 193.

ألا تستحي منا ملوك و تتقي *** محارمنا لايبوء الدم بالدم[484]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« إذا لم تستنتج فاصنع ماشئت »[485].

وقد اختلف المفسرون في معنى الاستحياء المنسوب إلى الله تعالى، فقيل المعنى لا يترك، فعبر بالحياء عن الترك، قاله الزمخشري وغيره؛ لأن الترك من ثمرات الحياء، فيكون من باب تسمية المسبب باسم التسبب[486].

وهذا التأويل على مذهب من يرى التأويل في الأشياء التي موضوعها في اللغة لا ينبغي أن يوصف الله تعالى به. وقيل: ينبغي أن تمر على ماجاءت و نؤمن بها ولا نتأولها و نكل عملها إليه تعالى؛ لأن صفاته تعالى يطلع على ماهيتها الخلق، وقد جاء منسوبا إلى الله تعالى مثبتا فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اقل:"إن الله حي كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يرد هما صفرا حتى يضع فيهما خيرا[487] ".

أما التوجيه النحوي في(أن يضرب) فهي: من أن يضرب؛ فموضعه نصب عند سيبويه، وجر عند الخليل. و أما كلمة (ما) فقيل: هي حرف زائد من حيث وظيفته في التركيب: لمنه ليس بزائد من حيث المعنى، فإنه أتي به في هذا الموضع لمعنى

---

[484] البحر المحيط: 175/1 البيتان في إعراب القرآن: 43.

[485] صحيح البخاري: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح الإمام أحمد الزبيدي، ص 477، مكتبة الصفا، ط 1، القاهرة، 2005، ص 477.

[486] ينظر: الكشاف: 212/1، البحر المحيط: 176/1.

[487] البحر المحيط: 176/1، الكشاف: 213/1.

التوكيد، وقيل (ما) نكرة موصوفة، و (يعوضه) بدل منها؛ أي: مثلا شيئا بعوضة[488].

وترى شاذا:(مثلا بعوضة)[489]، وذلك بأن نجعل (ما) بمعنى الذي، ويكون المبتدأ حينئذ محذوفا، نقديره: أن يضرب مثلا الذي هو بعوضة[490].

و البعوضة: لغة هي واحد البعوض، وهي طائر صغير جدا معروف وهو في الأصل على وزن فعول كالقطوع فغلبت، واشتقاقه من البعض بمعنى القطع[491].

(فما فوقها): الفاء جاءت للعطف، و(ما) نكرة موصوفة، أو بمنزلة الذي؛ العامل في فوق على الوجهين للإستقرار، والمعطوف عليه بعوضة، و المعنى: فشيء هو مستقر أو كائن فوقها[492].

أما التوجيه اللغوي في معنى(فما فوقها) ففيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون المراد فما أعظم منها في الجثة كالذباب و العنكبوت و الحمار و الكلب، فإن القوم أنكروا تمثيل الله تعالى بكل هذه الأشياء. و الثاني: أراد فما فوقها في الصغر أي بما هو أصغر منها، و المحققون مالوا إلى هذا القول لوحده منها: أن المقصد

---

[488] ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 43/1.

[489] المحتسب: 64/1، إعراب القرآن، النحاس، 204/1.

[490] التبيان في إعراب القرآن: 43/1.

[491] البحر المحيط: 172/1، تفسير الرازي: 148/2.

[492] ينظر: التبيان: 43/1. إعراب النحاس:203/1، الفريد: 257/1.

من هذا التمثيل تحقيره الأوثان، و أيضا أن الله تعالى لا يمتنع على التمثيل بالشيء الحقير، وهذا الموضع يجب أن يكون المذكور ثانيا حقارة من الأول، يقال إن فلانا يتحمل الذل في اكتساب الدنيا و في اكتساب ما فوقه[493]

المثل القرآني الثالث:

يقول الله عز وجل: ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ** ﴾[494].

يقول الزمخشري في تفسير الآية : « مثل الذين كفروا لبصائم، الذي ينعق، والمعنى : ومثل داعيهم إلى الإيمان – في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار – كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ، ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون »[495].

ثم قال :(صم) عن الحق فلا يسمعون الهدى ، وبكم: أي خرس عن الكلام بالحق يتباكمون فلا يتكلون بالهدى، عمي: عن الحق لا يبصرون الهدى، فهم لا يعقلون: بعيني: لا يعقلون ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرغبون في الحق، وذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – دعاهم إلى التوحيد

---

[493] ينظر: تفسير الرازي: 148/2.

[494]– سورة البقرة : 171 .

[495]– الكشاف : الزمخشري : 1/ 214.

ومواعظ القرآن[496] حيث قال جل ذكره : ﴿ وإن قيل لهم اتبعوا ما أنـــزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءَنا ﴾[497].

قوله تعالى (ومثل الذين كفروا) ففي هذه الآية اختلفوا في فهم معناها من تقدير المحذوف ؛ فمنهم من قال : المثل مضروب بتشبيه الكافر بالناعق.

ومنهم من قال : هو مصروب بتشبيه الكافر بالمنعوت به ، ومنـــهم مـــن قال: هو مضروب بتشبيه داعي الكافر بالناعق ، ومنهم من قال : هو مضروب بتشبيه الداعي والكافر بالناعق والمنعوت به[498].

ونختار هنا رأي أبي حيان الأندلسي في تفسير هذا المحذوف لأنه أحصـــى هذه الأقوال ، وبعد نظر رجح هذا الرأي ، الذي يقول فيه : « ومثـــل الـــذين مبتدأ ، خبره كمثل ، والكاف للتشبيه. شبه الصفة بالصفة ، أي صفتهم كصفة الذي ينعت ، ومن ذهب إلى أن الكاف زائدة، فقوله ليس بشيء ، لأن الصـــفة ليست عين الصفة ، فلابد من الكاف التي تعطي التشبيه ، بل لـــو جـــاء دون الكاف لكننا نعتقد حذفها ، لأن به تصحيح المعنى ، والذي ينعت ، لا يراد بـــه مفرد ، بل المراد الجنس[499].

وقوله: (صم بكم عمي) رفع : وهو وجه الكلام لأنه مستأنف خبر يدل عليه قوله (فهم لا يعقلون) ، كما تقول في الكلام : هو أصم فلا يسمع ، وهو

---

[496]– الأمثال من الكتاب والسنة : الحكيم الترمذي . ص 10.

[497]– سورة البقرة : 170.

[498]– تفسير البحر المحيط: 686/1.

[499]– المصدر نفسه: 687/1.

أخرس فلا يتكلم ، ولو نصبت على الشم مثل الحروف في أول سورة البقرة في قراءة عبد الله (وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمًّا بكمًا عميًا) لجاز[500].

المثل القرآني الرابع:

في قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حبَّةٍ وَ اللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[501].

هذا مثل ضرب الله تعالى لتضعيف التواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى هذا إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة[502].

---

[500]- مشكل إعراب القرآن ومعانيه: 57/1.

[501]- سورة البقرة: 261.

[502]- تفسير ابن كثير: 1: 561.

يقول الله عز وجل (مثل الذين ينفقون) (مثل) رفع بالابتداء[503] ولابد من حذف مضاف، أي مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والمنبث هو الله، ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض و إلى الماء[504] .

وقوله (كمثل حبة). الحبة: اسم جنس لكل ما يزرعه ابن آدم وتعايشه، وأشهر ذلك البر وكثيرا ما يرد بالحب[505] ومنه قول المتلمس :

آليت حب العراق الدهر أطعمته ثم والحي يأكله في القرية السوس وحبة القلب سويداؤه ، والحبة بكسر الحاء بذور البقل مما ليس ثبوت ، والحبة بالضم ، الحب الحبيب .

و(السنبلة)، وزنها فنعلة زائدة على قولهم: أسبل الزرع أرسل ما فيه لما ينسبل الثوب، وحكى بعض اللغويين تنسبل الزرع. قال بعض أصحابنا النون أصليه ووزنه فعلل، لأن فنعل لم يثبت فيكون مع أسبل كسبط وتسبطرا[506].

وقد جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي السنبلات ، كما جاء في قوله: (سبع سنبلات خضر). لأنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر، لاشتراكهما في الجمعية[507].

وقرى شاذا[508] (في كل سنبلة مَائة حبة) بفتح الميم والجمهور بكسرها.

---

[503]- الفريد في إعراب القرآن: 505/1.

[504]- الكشاف الزمخشري: 310/1 – التبيان في إعراب القرآن: العكبري: 213/1.

[505]- البحر المحيط: 484/2.

[506]- الكتاب: 17/1.

[507]- البحر المحيط: 484/2.

[508]- تفسير البحر المحيط: 484/2، الفريد في إعراب القرآن المجيد: 506/1.

المثل القرآني الخامس:

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى كَالذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ وَمَثَلُ الذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكْلَهَا ضِعْفَينِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ** ﴾[509].

[509]- سورة البقرة : 264-265.

هذا المثل القرآني يخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى، فما يفي ثواب الصدقة لابخطيئة المن والأذى، ومثل صاحب هذه الصدقة كالحجم الأملس الصلد، وهو قلب هذا المرئي والمان والمؤذي بصدقته لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر؛ فقسوة ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والنبات عند نزول الوابل وهو المطر الشديد، وليس الأملس الصلب لهذا الصخر مادة متصلة بالري تقبل الماء، وينبت الكلأ[510].

وكذلك قلب المرائي ليس له ثبات عند وابل الأمر النهي، والقضاء والقدر، فإذا نزل الوحي عليه؛ انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه، فبرز ما تحته من صلابة وقسوة، وهذا أمثل ضربه الله عز وجل لعمل المرائي ونفقته، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان إليه[511].

قوله تعالى: ﴿ **كالذي ينفق** ﴾ الكاف فيه في موضع نصب نعتا لمصدر محذوف، والكلام فيه حذف مضاف، تقديره: إبطالا كإبطال الذي ينفق، وهذه المحذوفات مدركه من خلال فهم تركيب المثل البليغ، وقيل: أيضا يجوز أن تكون الكاف في موضع الحال، والتقدير: أي لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي ينفق ماله[512]. أما (رئاء الناس) فهو مفعول لأجله، ويجوز أن يكون مصدرا في موضع الحال؛ أي ينفق مرائيا.

والتفسير الصرفي لكلمة ﴿ **رئـــاء** ﴾ أن الهمزة الأولى فيـــها عن كلمـــة الفعل :راءى يرائي ومراءاة، والأخيرة بدل من الياء، لوقوعها طرفا بعد ألف

---

[510]– تفسير ابن كثير : 565/1. أمثال القرآن : ابن القيم. ص 82.

[511]– أمثال القرآن : ص 82. البدائع في علوم القرآن: ابن القيم. ص 147.

[512]– التبيان في إعراب القرآن: 214/1.

زائدة كالقضاء والدماء[513]. ويجوز تسهيل الأولى بالقلب ياء، وبه قرأ بعض رواة عاصم الكوفي[514].

وقوله: ﴿ **فمثله كمثل صفوان** ﴾ مبتدأ أو خبره، ودخلت الفاء لتربط الجملة بها قبلها، والصفوان: الحجر الأملس وهو جمع صفواته، كمرجان ومرجانة، وقال الكسائي: صفوان واحد وجمعه صيفي كعصي[515].

وقرأ أبي المسيب والزهري: صفوان بفتح الفاء، وقيل: هو شاذ في الأسماع، إنما بابه المصادر كالغليان، وفي الصفات نحو: رجل صيمان، ورتيس عدوان.

و﴿ **عليه التراب** ﴾ في موضع جر صفة لصفوان، يجوز أن يرفع تراب بالجر؛ لأنه قد اعتمد على ما قبله، وأن ترفعه بالإبتداء، وقيل: ارتفع تراب على الفاعلية؛ أي استقر عليه تراب، فأصابه وابل، و ﴿ **فأصابه** ﴾ معطـــوف على ذلك الفعـــل (استقر) الرافع

للتراب ، والضمير فيه عائد على الصفوان ، ويحتمل أن يعـــود على التراب ، وفي ﴿ **فتركه طلدا** ﴾ عائد على الصفوان، وهو مفعول به أول و(صلدا) مفعول به ثان؛ لأن المعنى فصيره صلدا، وليس المراد به الترك الذي هو الإهمال[516].

---

[513]- التبيان: 214/1، الفريد في إعراب القرآن المجيد: 508/1.

[514]- البحر المحيط: 425/2، الفريد: 508/1.

[515]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: 508/1.

[516]- ينظر: البحر المحيط: 497/2، التبيان في إعراب القرآن: 33/1، 215.

وأما قوله: ﴿ **لا يقدرون على شيء مما كسبوا** ﴾ فاختلف في الضمير في يقدرون ، فقيل : هو عائد على المخاطبين في قوله : ﴿ **لا تبطلوا صدقاتكم** ﴾ ويكون من باب الالتفاف؛ إذ هو رجوع من خطاب إلى غيبة، والمعنى: أنكم إذا فعلتم ذلك لم تقدروا على الانتفاع بشيء مما كسبتم ، وهذا فيه تعد ، وقيل : هو عائد على ﴿ **الذي ينفقل** ﴾ لأن : كالذي جنس ، فلك أن تراعي اللفظ كم في قوله : ﴿ **ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن** ﴾ فأفرد الضمير ، ولك أن تراعي المعنى ؛ لأن معناه جمع[517].

وقوله : ﴿ **والله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ ابتداء والجملة الفعلية خبره ، فالله عز وجل يخبر أن هؤلاء القوم الموافقين على الكفر ، لا يهديهم في الكفر ؛ بل هو ضلال محض ، أولا يهديهم في أعمالهم وهم على الكفر والضلال[518].

وقال تعالى : ﴿ **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ابتغاء** ﴾ مفعول لأجله ، و ﴿ **تثبيتا** ﴾ معطوف عليه ،

ويجوز أن يكونا منصوبين على الحالية ؛ أي مبتغين ومثبتين ، والتثبيت : مصدر فعل متعد ، وعلى هذا الوجه يكون (من أنفسهم) مفعول المصدر ، أو يكون مفعوله محذوفا وهي أعمال الانفاق بإخلاص النية .

---

[517]- البحر المحيط: 497/2.

[518]- ينظر: البحر المحيط: 498/2.

وقوله تعالى : ﴿ **كمثل جنة بربوة أصابها وابل** ﴾ . ﴿ **الربوة** ﴾ : فيها ثلاث لغات : بضم الراء وفتحها وكسرها ، وفيها لغة أخرى وهي رباوة ، بفتح الراء وإلحاق الباء ألفا ؛ وقد قرئ بذلك كله[519].

والربوة كما قال الخليل هو أرض مرتفعة طيبة ، ويقال فيها الرباوة ، وتثلث في اللغتين ، ويقال رابية . وقال الأخفش : ويختار الضم في ربوة لأنه لا يكاد يسمع في الجمع إلا الربا ، وأصله من ربا الشيء زاد وارتفع[520].

وأما ﴿ **الوابل** ﴾ فهو المطر الشديد ، وهو من وبلت السماء تب ، والأرض موبولة ، وقال النضر : أول ما يكون المطر رشا ، ثم طشا ، ثم طلا ، ثم رذاذا ، ثم فضحا وهو قطرتين قطرتين ، ثم هطلا وهتانا ثم وابلا وجودا[521].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو من القراء العشرة ﴿ **أكلها ضعفين** ﴾ بإسكاب الكاف ، والباقون بالضم وهو الأصل[522]. والأكل بالضم الطعام لأن من شأنه أن يؤكل قال الله تعالى ﴿ **تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها** ﴾ أي ثمرها وما يؤكل منها ؛

---

[519]- ينظر: البحر المحيط: 501/2، التبيان في إعراب القرآن: 216/1، الكشف: 313/1.

[520]- البحر المحيط: 485/2. وينظر: اللسان: مادة (ربو).

[521]- البحر المحيط: 485/2.

[522]- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمد مكي القيسي: 314/1.

فالأكل في المعنى مثل الطعمة ، وقال أبو زيد : يقال إنه لذو أكل إذا كان له حظ من الدنيا[523].

وقوله : ﴿ **فإن لم يصبها وابل فطل** ﴾ ، الطل : المستدق من المطر الخفيف ، هذا مشهور واللغة ، وفي (الصحاح) : الطل أضعف المطر ، والجمع طلال ، يقال : طلت الأرض وهي مطلو ، قال الشاعر:

ولما نزلنا منزلا طله الندى

وهذا ما جعل مجاهد يقول : الطل : الندى ، ولكن هذا المعنى تجوز فيه[524].

والتوجيه النحوي لكلمة ﴿ **فطل** ﴾ هو أن (طل) خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : فالذي يصيبها طل ، أو فالمصيب لها ، أو فمصيبها طل . وقيل : يجوز أن يكون فاعلا بفعل محذوف تقديره : فيصيبها طل ، وحذف الفعل لدلالة فعل الشرط عليه[525]. وقال المبرد : هو مبتدأ محذوف الخبر لدلالة المعنى عليه، أي : فطل يصيبها ، وابتدائي بالنكرة لأنها جاءت في جواب الشرط[526].

أما قوله تعالى: ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ فقد قرأ الزهري ﴿ **تعلمون** ﴾ بالياء[527]. وظاهرة أن الضمير يعود على المنافقين ، ويحتمل أن يكون عاما فلا يختص بالمنافقين ؛ بل يعود على الناس أجمعين ، وذلك للاعتبار بهذا المثل[528].

---

[523]- تفسير الرازي: 62/7.

[524]- ينظر: البحر المحيط: 485/2.

[525]- ينظر: التبيان: 217/1.

[526]- البحر المحيط: 503/2.

[527]- البحر المحيط: 503/2. مختصر في شواذ القرآن: ص 23.

[528]- البحر المحبط: 503/2.

المثل القرآني السادس:

في قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الحَياةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَ لَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[529].

إن هذا المثل قد سبقه قول الله تعالى ﴿ **إِنَّ الذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ يقول الفخر الرازي في تفسير المثل : « اعلم أنه تعالى لما بين أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيئا، ثم أنهم ربما أنفقوا أموالهم في وجوه الخيرات فيخطر ببال الإنسان أنهم ينفعون بذلك، فأزال الله تعالى بهذه الآية تلك الشبهة، وبين أنهم لا ينتفعون بتلك الإنفاقات وإن كانوا قد قصدوا بها وجه الله »[530].

وقوله تعالى ﴿ **مثل ما ينفقون** ﴾ نهاية صلته ، ﴿ **كمثل ريح** ﴾ الخبر ، وفي الكلام حذف مضاف تقديم مثل إهلاك الله ما ينفقون كمثل إهلاك ريح ، ثم حذف الإهلاك لدلالة آخر الكلام عليه ، واستغنى عن لفظه بم دل عليه فحوى الكلام ، أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث ، وإنما احتيج إلى هذا التقدير ليتقابل المثلان والمعنى: ما يهلكون مهلك ذاهب كذهاب ما

---

[529]- سورة آل عمران: 117.

[530]- تفسير الفخر الرازي: 211/8.

تهلكه الريح[531]. وقرأ ابن هرمز والأعرج : ﴿ **تُنفقون** ﴾ بالتاء على معنى قل لهم[532].

﴿ **كمثل ريح فيها صر** ﴾ ؛ أفرد ريحا لأنها مختصة بالعذاب ، لما أفردت في قوله ﴿ **بل هو ما استعجلتم به ريح** ﴾[533]، ﴿ **ولئن أرسلنا ريحا** ﴾[534]. ﴿ **إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا** ﴾[535]. (الريح العقيم) كما أن الجمع مختص بالرحمة ﴿ **أن يرسل الرياح مبشرات** ﴾[536] و ﴿ **أرسلنا الرياح لواقح** ﴾[537]، ﴿ **يرسل الرياح شراء** ﴾[538] ولذلك روي « اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا »[539].

وقوله ﴿ **فيها صر** ﴾ : مبتدأ وخبر في موضع صفة الريح، ويجوز أن ترفع ﴿ **صر** ﴾ بالظرف ، لأنه قد اعتمد على ما قبله[540]. وفيه أوجه : أحدهما أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها الفترة بمعنى فيها قرة صر، كما يقول: برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد

---

[531]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: الهمداني: 619/1.

[532]- تفسير البحر المحيط: 56/1، مختصر في شواذ القرآن: ابن خالويه: ص.

[533]- سورة الأحقاف: 24.

[534]- الروم: 51.

[535]- القمر: 19.

[536]- سورة الذاريات: 41.

[537]- سورة الروم: 46.

[538]- سورة الحجر: 22.

[539]- تفسير البحر المحيط: 56/3.

[540]- التبيان في إعراب القرآن: العكبري: 287/1.

فجيء به على أصله، والثالث: من قولك: إن ضيعني فلان ففي الله الله كـــاف وكافل[541].

ثمّ قال الله تعالى : ﴿ **أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم** ﴾ وفيه سؤال: لم لم يقتصر على قوله : ﴿ **أصابت حرث قوم** ﴾ ومـــا الفائـــدة في قولـــه : ﴿**ظلمـــوا أنفسهم** ﴾. وفي تفسير ذلك وجهان :

الأول : أنهم عصوا الله فاستحق هلاك حرثهم عقوبة لهم ، والفائـــدة في ذكر ﴿ **ظلموا أنفسهم** ﴾ هي أنّ الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه شيء وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب بالكليـــة ولا يحصل منه

منفذ لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فأمّا حرث المسلم المؤمن فلا يـــذهب بالكلية لأنه وإن كان يذهب صورة فلا يذهب معنى ، لأنّ الله تعالى يزيـــد في ثوابه لأجل وصول تلك الأحزاب إليه .

والثاني : أن يكون المراد من قوله: (ظلموا أنفسهم) هو أنهم زرعوا في غير موضع الزرع أو في غير وقته ؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وعلـــى هذا التفسير يتأكد وجه التشبيه ، فإن من زرع لا في موضعه ولا في وقته يضيع ، ثم إذا أصابته الريح الباردة كان أولى بأن يصير ضائعا ، فكذا همنا الكفار لمّـــا

[541]- الكشاف: 404/1، تفسير البحر المحيط: 57/3.

أتوا بالإنفاق لا في موضعه ولا في وقته ثم أصابه شؤم كفرهم امتنع أن لا يصير ضائعا .[542]

وقوله : ﴿ **وما ظلمتم الله** ﴾ جوّز فيه الزمخشري[543] وغيره أن يعود الضمير على المنفقين ، أي : ما ظلمهم بأن لم تقبل نفقاتهم وأن يعود على أصحاب الحرث أي : ما ظلمهم بإهلاك حرثهم، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي . وقال ابن عطية : الضمير في ظلمهم للكفار الذين تقدّم ضميرهم في ينفقون ، وليس هو للقوم ذوي الحرث لأنّهم لم يذكروا ليردّ عليهم ، ولا تبيّن ظلمهم وأيضا قوله : ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾.[544]

المثل القرآني السابع :

قال الله تعالى : ﴿ **واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾.[545]

شبه سبحانه من أتاه كتابه ، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فشر العمل به ، واتبع أهواءه ، وآثر سخط الله على رضاه ، ودنياه على آخرته والمخلوق على

---

[542]- بنظر: تفسير الرازي: 8 / 214 .

[543]- بنظر: الكشاف: 1 / 405.

[544]- تفسير البحر المحيط: 1 / 57.

[545]- سورة الأعراف: 174- 175- 176.

الخالق ، بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات ، و أوضعها قدرا ، و أخبثها نفسا ، وهمته لا تتعدى بطنه ، وأشدها شرها وهو من أمهن الحيوانات وأصلها للهوان ، وأرضاها بالدنيا ، والجيف المروحة أحب إليه من اللّحم الطري ، وفي تشبيه من آشر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه بالكلب في حال لهفه ، بشر بديع وهو أنّ هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته وأتباعه هو إنّما كان لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله تعالى والدار الآخرة فهو شديد اللّهف عليها ولهفه نظير لهف الكلب الدّائم في حال إزعاجه وتركه .[546]

قوله عز وجل : ﴿ **فمثله كمثل الكلب** ﴾ ابتداء وخبر وقيل (مثل)[547] ههنا بمعنى صفة ، مثل الجنة [548] .

وقوله : ﴿ **إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** ﴾ محل الجملة كلّها النّصب على الحال من الكلب ، والعامل فيها ما في المثل من معنى الفعل ، كأنّ قيل : شبه الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين ، يقال لهث الكلب يلهث بالفتح فيها لهثا ولهاثا إذا أخرج لسانه من التعب والعطش .[549]

---

[546]- أمثال القرآن: ابن القيم الجوزية: ص 52.

1- أحزاب القرآن: النحاس: 2 / 163.

[548]- سورة الرعد: 35.

[549]- الفريد في أعراب القرآن المجيد: 2 / 385. ينظر الفخر الرازي: 15 / 61.

ومعنى لهثه في الحالتين أنّك إذا طردته وحملت عليه بالطرد نبح وولّى هاربا ، وإن تركته شدّ عليك ونبح فيتعب نفسه مقبلا عليك ومدبرا عنك ، فيعتريه عند ذلك ما يعتريه عند العطش من إخراج اللّسان .[550]

وقوله تعالى : ﴿ **ساء مثلا القوم الذين كذّبوا بآياتنا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ساء مثلا القوم** ﴾ . ﴿ **ساء** ﴾ بمنزلة بئس ، وفاعله مضمر وهو من جنس المنصوب الذي هو مثلا ، و﴿ **مثلا** ﴾ مفسر له ، وفي الكلام تقدير حذف مضاف محذوف ، وذلك المحذوف المخصوص بالذم ، والتقدير ساء المثل مثلا مثل القوم لا بدّ من هذا التقدير . لأنّ المخصوص بالذم لا يكون من جنس فاعل بئس، والفاعل المثل ، والقوم ليس من جنس المثل . ثم حذف فاعل ساء لدليل المفسّر والمضاف لعدم اللّبس ، وأي00 القوم مقافة . فهو كقوله : ﴿ **واسأل القرية** ﴾ في حذف المضاف وإذ المضاف إليه مقامه .[551] و﴿ **القوم** ﴾ مرفوع بالابتداءات على إضمار مبتدأ ، وقرأ عاصم الجحدري والأعمش[552] ﴿ **ساء مثل القوم** ﴾ رفع مثلا ساء .[553]

﴿ **الذين** ﴾ مرفوعة على أنّه بدل انقام مقام " مثل " المحذوف لا مجرورا صفة للقوم على تقدير حذف التمييز .[554]

---

[550]– ينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد: 2 / 385. إعراب القرآن: النحاس: 2 / 3.

[551]– الفريد في إعراب القرآن المجيد/ 386. ينظر تفسير البحر المحيط: 4 / 521.

[552]– ينقل مختصر في شواذ القرآن: لابن خالدة: ص 53.

[553] - إعراب القرآن: النحاس: 2 / 164.

[554]– تفسير البحر المحيط: 4 / 540.

﴿ **وأنفسهم كانوا يظلمون** ﴾ إمّا أن يكون معطوفا على كذبوا ، فيدخل في حيّز الصلة المعنى : الذين جمعوا بين التكذيب . بآيات الله وظلم أنفسهم ، وإمّا أن يكون كلاما منقطعا عن الصلّة بمعنى : وما ظلموا إلا أنفسهم بالتّكذيب ، وتقديم المفعول به للاختصاص والحصر ، كأن قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعداها إلى غيرها .[555]

المثل القرآني الثامن:

[555] الكشاف 21 / 179. ينظر البحر المحيط: 4 / 540، تفسير الفخر الرازي 15 / 62.

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْف َضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلّهُمْ يَتَذَكَّرُون وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ** ﴾ .[556]

يضرب الله هذا المثل ، ليصوّر للنّاس سنّته الجارية في الطيّب والخبيث في هذه الحياة بالشجرة الطيبة ، والشجرة الخبيثة . فالكلمة الطيبة هي كلمة الحق، وهي أساس الوجود، ولا تستطيع قوى البغي والطغيان أن تفق00 عليها .أو هي كلمة التّوحيد ، فهي كالشجرة الطيبة ، ثابتة ، مثمرة ، متعالية فبذروها تنبت في تلك التربة الخصبة ، وكذلك الكلمة الطيّبة تثبت في النفوذ الطيّبة ، وفي ظل هذا ﴿ **تثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة** ﴾[557] والقول الثابت : كلمات القرآن ، والعمل الصالح أو الإيمان ، يكون العون من الله والتثبيت للذين آمنوا .

وأمّا الكلمة الخبيثة ، فهي على النّقيض على ذلك هي كلمة الشرك والباطل التي تعمل على إفساد الحياة ، وفي نشر بذور الشّر في كل مكان وفي كل نفس ، وهي كالشجرة الخبيثة التي تتشابك أغصانها ، وتتعالى فروعها ولكنّها لا تثمر إلا ثمرا مرا ، ولا تعطي فائدة ، وفي نفس الوقت لا تتحمل أية هزة ، فلا قرار لها ولا بقاء .

---

[556]- سورة إبراهيم: 24-25-25 .

[557]- سورة إبراهيم: 27.

قوله عز وجل : ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة** ﴾ . ﴿ **كيـــف** ﴾ في موضع نصب بضرب ، و﴿ **مثلا** ﴾ مفعول ﴿ **ضرب** ﴾ بمعنى : وصف مثلا ، أو وضح .[558]

و ﴿ **مثلا** ﴾ و ﴿ **كلمة** ﴾ بدل من ﴿ **مثل** ﴾ ، و ﴿ **طيبة** ﴾ صفة ﴿ **لكلمة** ﴾ ﴿ **كشجرة** ﴾ محل الكاف النّصب أمّا على أنّها صفة أخـــرى لِ ﴿ **كلمة**﴾ أو على الحال منها لكونها وصفت بِ ﴿ **طيبة** ﴾ فقربت من المعرفـــة ، أي : كلمة طيبة مشبهة شجرة طيبة[559] فقال الزّمخشري : « ضرب الله مثلا، اعتمد مثلا ووضعه ، و﴿ **كلمة طيبة** ﴾ نصب بمضمر ، أي : جعل كلمة طيبة ﴿ **كشجرة طيبة** ﴾ وهو تفسير لقوله ﴿ **ضرب الله مثلا** ﴾ كقولك : شـــرّف الأمير زيدا : كساه حلة ، وحمله على فرس ، ويجوز أن ينصب ﴿ **مثلا** ﴾ و﴿ **كلمة** ﴾ بضرب ، أي : ضرب كلمة طيبة مثلا : بمعنى : جعلها مثلا ثم قـــال تعالى ﴿ **كشجرة طيبة** ﴾ على أنّها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة »[560] .

وقرأ أنس بن مالك[561]: ﴿ **كشجرة طيبة ثابت أصلها** ﴾ ، أجريت الصفة على الشجرة لفظا وإن كاتب في الحقيقة للسببين ، وقراءة الجماعة إسناد الثبوت إلى السيي لفظا ومعنى ، وفيها حسن التقسيم ، إذ جاء ﴿ **أصلـــها ثابت وفرعها في**

---

[558]– عيون الحسّان في شرح الأمثال إلى القرآن: الشيخ علي أحمد الطلطاوي، ص 2 / 2.

[559]– الفريد في إعراب القرآن المجيد: 3 / 162.

[560]– الكشاف: 2 / 552- 553.

[561]– مختصر في شواذ القرآن: 72.

السّماء ﴾ يريد بالفرع أعلاها ورأسها، وإن كان المشبه به ذا فروع، فيكون من باب الاختفاء بلفظ الجنس.[562]

والكلمة الطيبة : كلمة التوحيد ، قيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة ، وعن ابن عباس : شهادة أن لا إله إلا الله . وأمّا الشجرة فكلّ شجرة مثمرة طيّبة الثمار كالتمر وشجرة التين والعنب والرمّان وغير ذلك .[563] وعن ابن مر أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال ذات يوم : (إنّ الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأح00 ما هي) . فوقع الناس في شجر البرادي . وكنت صبيا ، فوقع أنّها النخلة فهبت – رسول صلى عليه وسلم . أنّ أقولها وأنا أصغر القوم . وروي فما تعني . مكان عمر واستجيبت ، فقال لي عمر : يا نبي لو كنت قلتها لكانت أحبّ إليّ من حمر النعم . ثم قال – رسول الله صلى الله عليه وسلم – إنّها النّخلة .[564]

ووصفت هذه الشجرة بأربعة أوصاف:

الأول قوله : طيبة ، أي كريمة المنبت ، والأصل في الشجرة له لذة في المطعم .قال الشاعر :

طيّب الباءة سهل ولهم *** من سبيل إن شئت في وحش وعر

---

[562]– تفسير البحر المحيط: 5 / 540.

[563]– الكشاف 2 / 513.

[564]– مختصر صحيح البخاري للإمام زين الدين أحمد الزبيدي: ص 27، مختصر صحيح مسلم: الحافظ عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري: مكتبة الصفا القاهرة: كمحة: ص 421.

أي : ساحتهم سهلة طيبة . الثاني : رسوخ أصلها ، وذلك يدل على تمكنها وأن الرياح لا تقصفها ، فهي بطيئة الفناء ، وما كان كذلك حصل الفرح بوجد والثالث : علو فرعها وذلك يدل على تمكن الشجرة ورسوخ عروقها ، وكان بعد عن عفونات الأرض ، وعلى صفائها من الشوائب . الرابع : مجموعة وجود المرح وحضورها في كل الأوقات . والحين في اللغة قطعة من الزمان ، قال الشاعر :

تناذرها الراقون من سوء سمعها *** تطلقه حينه وحينه تراجع.

والمعنى : تعطي جناها بل وقت وقته الله له . وقال ابن عباس والضحاك الع ﴿ **كل حين** ﴾ . أي غدوة وعشية ، ومتى أريد جناها وتخرج على أنّها شجرة في الجنّة .[565]

وقوله : ﴿ **تؤتي أكلها** ﴾ في موضع الصفة للشجرة ، أو في موضع الحال من معنى الجملة الثانية .[566] و" الأكل ". مثل ذلك (أكلها دائما)[567] وهو الطعام و" أذكر " هو " الفعل ".[568]

---

[565]- تفسير البحر المحيط: 5/ 541. تفسير الفخر الرازي: 19/ 119- 120.

[566]- الفريد في إعراب القرآن المجيد:3 / 163. نظر شكل إعراب القرآن ومعانيه: القرآن 2/1.

[567]- سورة الرعد: 13-35.

[568]- معاني القرآن: للأخفش: تحقيق محمد أمين الورد. خاتم الكتب ط1. لبنان- 2003. ص 506.

وقولـــه تعـــالى : ﴿ **مثل كلمة** ﴾ . الجمهـــور على رفعـــه بالابتـــداء خبره ﴿ **كشجرة** ﴾ .

وقرئ : ﴿ **ومثل كلمة** ﴾ بالنصب عطفا على ﴿ **مثلا كلمة** ﴾ .[569]

﴿ **كشجرة خبيثة** ﴾ تمثل شجرة خبيثة. أي صفتها كصفتها، والكلمـــة الخبيثة كلمة الشرك. وقيل كل كلمة قبيحة وأمّا الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنطل والكشكور وهي شجرة لا ورق لهـــا ولا أصـــل، ونحو ذلك.[570]

﴿ **اجتثت من فوق الأرض** ﴾ مقابل لقوله : ﴿ **أصلها ثابتا** ﴾ أي : لم يتمكن أصل ولا عرق في الأرض وإنّما هي ثابتة على وجه الأرض . ﴿ **ما لهـــا من قرار أي استقرار** ﴾ . يقال : قرّ الشيء قرار : تبث ثباتا ، شبه بها القـــول الذي لم يعضد بحجة ، فهو داحض غير ثابت والذي لا يتعب إنّما يضمحل عن قريب لبطلانه .[571]

وقوله : ﴿ **في الحياة الدنيا** ﴾ . من صلة ﴿ **يثبت** ﴾ وكذلك ﴿ **بالقول الثابت** ﴾ أي : بسبب القول الثابت ، أي : الدائم النفع ، وقيل[572]: الباء بمعنى (على) أي : يثبتهم عليه ،

قيل : الباء من صلة ﴿ **آمنوا** ﴾ أي: آمنوا بالقول الثابت وهي كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .[573]

---

[569]– الفريد في إعراب القرآن المجيد: 163/3، البحر المحيط: 541/5.الكشاف: 3/2.

[570]– الكشاف: 553/2. البحر المحيط: 542/5. تفسير الفخر الرازي: 123/19.

[571]– الكشاف: 554/2. البحر المحيط: 542/5.

[572]– ينظر البحر المحيط: 540/5.

المثل القرآني :

يقول الله عز وجل : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهْرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِنْ تَرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ الوَلاَيَةُ لِلهِ الحَقِّ هَوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقُبًا** ﴾[574].

---

[573]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: 3/3.164الكشاف: 2/554.

[574]- سورة الكهف: 32-44.

ضرب الله مثلا للكفار عن صاحب الجنتين الذي امتلأت نفسه بهما، وكان يزدهيه النظر إليهما ، فيحسن بالزهور ، ويتعالى على صاحبه الفقير ؛ فهو يحاوره وقد ملآ نفسه البطر، وملأ جنبه الغرور ، وقد نسي الله، ونسي أن يشكره على ما أعطاه ، وظن أن هذه الجنان المثمرة لن تغنى تبيد أبدا ، فقد أنكر قيام

الساعة أصلا ، حتى يأخذه الغرور كل مأخذ فيظن أيضا أن له الوجاهة وله مكان ملحوظ حتى في الملأ الأعلى إذا بعث يوم القيامة .

فأما صاحبه الفقير فإنه معتز بها هو أبقى وأعلى ، معتز بعقيدته وإيمانه ، فهو يجاب صاحبه ذا الغرور منكرا عليه بطره وكبره ويذكره بمنسئه المهين، ويوجهه إلى الأدب اللائق والواجب عليه في حق المنعم، وينذره عاقبة البطر والكبر ، ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار، وهنا يستشهد المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال ، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة الفانية ، وأن فضل الله عظيم وهو يطيع في فضل الله[575].

ثم ينقلنا السياق القرآني من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الدمار والبوار ، ومن هيئة البطر والغرور والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار ، فقد وقع حقيقة ما ذكره المؤمن وتوقعه؛ فالثمر كله قد دمر عن آخره و لم يسلم منه شيء، وأصبحت الجنة خاوية على عروشها محطمة، وصاحبها وهو ينظر

[575]- في ظلال القرآن: سيد قطب: 2270/4.

إليها يقلب كفيه على أنفق فيها أسفار وندما ، وهو نادم أيضا على إشراكه بالله، وهنا يتفرد الله بالولاية والقدرة ؛ فلا قوة إلا قوته ، ولا نصرة إلا نصرته ، وثوابه خير الثواب ، وما يبقى عنده للمرء من خير فهو خير ما يتبقى[576].

لقد وصفت الجنة المذكورة بأوصاف وهي كونها : جنة ، وسمي البستان بالجنة لاستشار ما يستتر فيها ظل الأشجار ، وأصل الكلمة من الستر والتغطية ووصفت بهذا اللفظ القرآني : ﴿ **وحففناهما بنخل** ﴾ أي جعلنا النخل محيطا بالجنتين ،

والحفاف جانب الشيء والأخفة جمع[577]. قال تعالى : ﴿ **وترى الملائكة حافين من حول العرش** ﴾ أي واقفين حول العرش محيطون به. ووصفت الجنتين أيضا بأن بينهما زرعا ؛ فهي أرض خصبة ممتدة الأطراف متباعدة الأكناف ، جامعة للفواكه المتنوعة ومختلف الثمار والخضر ، والناظر إليها يدرك أنها آية في الحسن والجمال[578].

(كلتا الجنتين آتت أكلها...) لم يقل: آتتا، وذلك أن (كلتا) جنتان لا مفرد لهما من لفظها ويحملان على اللفظ في معنى التركيب وهذا هو الأسلوب الشائع و الغالب عند العرب في كلامهم، قال الحريري:

" ويقولون: كلا الرجلين خرجا، وكلتا المرأتين حضرتا، والاختيار أن يوجد لفظ الخبر فيهما، فيقال: كلا الرجلين خرج، وكلتا المرأتين حضرت، لأن

---

[576]- المرجع نفسه: 2271/4.

[577]- لسان العرب: مادة (جن) ومادة (حفف)

[578]-التعبير اللغوي في أمثال القرآني الكريم: ص 401.

(كلا) و(كلتا) اسمان مفردان وضعا لتأكيد الاثنين والاثنتين، و ليس في ذاتهما مثنيين، ولهذا وقع الإخبار عنهما، كما يخبر عن المفرد، وبهذا نطق القرآن في قوله تعالى: ّ (كلتا الجنتين آتت أكلها) و لم يقل آتتا".[579]

وبهذا الاختيار في اللغة جاء قول الشاعر:

كلانا ينادي يا نزار وبيننا * قنا من قنا الخطي أو من قنا الهند[580]

ومثله قول الآخر:

كلانا غني عن أخيه حياته * و نحن إذا متنا أشد تغانيا[581]

و مثلهما قول الشاعر:

و كلتاهما خط لي في صفيحتي * فلا العيش أهواه و لا الموت أروح[582]

---

[579]- درة الغواص في أوهام الخواص: الحريري تحقيق: د. حسام الدين فرفور، دار الثقافة والتراث. مشكل القرآن: الفراء. ص 399 معاني القرآن: الأخفش: ص 523. ط1. دمشق 2004، ص 272.

[580]- المصدر نفسه: ص 272.

[581]- لسان العرب: مادة (غني).

[582]- مشكل إعراب القرآن ومعانيه: الفراء: ص 399.

و قوله: (و لم تظلم منه شيئا) و المراد: لم تنقص من أكلها شيئا، و وصفت الجنيّان بهذه الصفة للأشعار بأنهما على خلاف ما يعتاد في سائر البساتين، فإنها في الغالب تكثر في عام، و تقل في عام، و كذا بعض الأشجار تأتي بالثمار في بعض الأعوام دون بعض: فالآية تحمل على الكتابة في معنى التمام في النمو الكامل على غير عادة الأشجار والثمار في النقصان[583].

وقوله: (و فجرنا خلالهما نهرا) قال الغراء: " يقال: كيف جاز التشديد وإنما النهر واحد، قلت: لأن النهر يمتد حتى صار التفجر كأنه فيه كلّه، فالتخفيف فيه والثقيل جائزان"[584]. والمعنى: كأن تفجير النهر خلال الجنيّن صار كأنه أنهار ممتدة.

وقوله: (وكان له ثمر) يروي الغراء عن مجاهد أنه قال: ما كان في القرآن من ثمر بالضم فهو مال، وما كان من ثمر مفتوح فهو من الثمار.[585] وكذلك قوله: (و أحيط بثمره) جمع ثمرة، والثمرة واحدة الثمر والثمرات وجمع الثمر ثمار، مثل جبل وجبال.[586]

وقرأ ابن عامر وحمزة الكسائي وابن كثير و نافع وغيرهم: (ثمر) و (بثمره) بضم التاء والميم جمع ثمار، وقرأ أبو عمرو والأعمش وأبو رجاء بإسكان

---

[583]– ينظر: التعبير اللغوي في أمثال القرآن: ص 404.

[584]– مشكل إعراب القرآن ومعانيه: الفراء: ص 400.

[585]- مشكل إعراب القرآن ومعانيه : ص 400.

[586]– التعبير اللغوي في أمثال القرآن: ص 405. التبيان في إعراب القرآن: 847/2.

الميم: (ثمر) وقرأ أبو جعفر والحسن وعاصم ويعقوب عن رويس وغيرهم بفتح التاء والميم.[587]

قال ابن عباس وقتادة: الثمر، جميع المال من الذهب والحيوان وغير ذلك، وقال مجاهد: يراد بها الذهب والفضة خاصة، وقال أبو عمرو بن العلاء: الثمر المال، وعلى هذا المعنى أنه كانت له إلى الجنين أموال كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما، فكان متمكنا من عمارة الجنتين.[588]

وقوله: (فقال لصاحبه و هو يحاوره) هنا جملة حالية (وهو يحاوره)، وصاحب الحال هو القائل: أي يراجعه الكلام في إنكاره البعث و إشراكه بالله، و قيل صاحب الحال هو صاحبه المسلم، إذ كان يحاوره بالوعظ و الدعوة إلى الله وإلى الإيمان بالبعث.[589]

وقوله: (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) الظاهر كون أفعل هنا للتفضيل (أكثر، أعز)، وأن صاحبه كان له مال ونفر، وأنه جاء يستعطيه و يعمل على ذلك كونه

قابله بقوله:(إن ترن أنا أقل منك مالا و ولدا)، وهذا على عادة الكفار في الافتخار بكثرة المال وعزة العشيرة والتكبر والاغترار بما نالوه من حطام في الدنيا، و مقالته تلك لصاحبه بإزاء مقالة عينة والأقرع للرسول صلى الله عليه و سلم: نحن سادات العرب وأهل الوبر و المدر، فنحّ عنا سلمان وقرناءه.[590]

---

[587]- البحر المحيط: 156/6.

[588]- البحر المحيط: 156/6.

[589]-البحر المحيط: 157/6.

[590]- البحر المحيط: 157/6.

قوله (خيرا منها منقلبا) والضمير في (منها) يعود على الجنة، وفي بعض مصاحف أهل المدينة: (خير منهما منقلبا) بتثنية الضمير الذي يعود على الجنيّن.[591]

قرأ الكوفيون وأبو عمرو بن العلاء (منها) على توحيد الضمير، وهو يعود على الجنة المدخولة و كذا في مصاحف الكوفة والبصرة، و قرأ نافع و ابن كثير وابن عامر و أبو جعفر القعقاع و ابن محيصن و غيرهما على الثنية (منهما)، و كذا في مصاحف مكة و المدينة والشام.[592]

وقوله: (لكنّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) الأصل في (لكنّا) لكن أنا، فألقيت حركة الهمزة على النون، وقيل حذفت حذفا، وأدغمت النون في النون، والجيد حذف الألف في الوصل و إثباتها في الوقف، لأن أنا كذلك والألف زائدة فيه لبيان الحركة.[593]

قال تعالى: (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء اللّه لا قوّة إلا بالله إن ترن أنا أقلّ منك مالا و ولدا).

(ما شاء الله): (ما) فيها وجهان: أحدهما هي بمعنى الذي؛ وهو مبتدأ والخبر محذوف؛ أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي الأمر ما شاء الله.

---

[591]- مشكل إعراب القرآن ومعانيه: ص 400.

[592]- البحر المحيط: 158/6.

[593]- التبيان في إعراب القرآن: 847/2، 848. وينظر: الكتاب: يسبويه: 163/4، 164. البرهان في علوم القرآن: 345/1.

والثاني هي للشرطية في موضع نصب بـــ " شاء " والجواب محذوف؛ أي ما شاء الله كان[594].

(أنا) ضمير فعل لا محل له من الإعراب، ويجوز أن يكون في موضع نصب توكيدا للنون والياء، وقرأ عيسى بن عمر التقفي: (إن ترني أنا أقل منك مالا) بالرفع في (أقل)؛ يجعل (أنا) مبتدأ و (أقل) خبره[595].

وقوله تعالى: (فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك فيرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا) قال ابن عباس وقتادة:/ الحسبان العذاب، وقال الزجاج: عذاب حسبان؛ أي ذلك الحسبان ما كسبت يداك من إنكار البعث والإشراك بالله[596].

وأما قوله: (فتصبح صعيدا زلقا) فقال الفراء: الزلق التراب الذي لا نبات فيه محترق رميم[597]. وأبو حيان الأندلسي فسرها بقوله: صعيدا ولقا؛ أي أرضا بيضاء لا نبات فيها لا من كرم ولا من نخل ولا من زرع قد أصطدم جميع ذلك؛ فبقيت نباتا قفرا يزلق عليها لإملاسها[598].

---

[594]– التبيان في إعراب القرآن: 848/2.

[595]– إعراب القرآن: النحاس: 457/2. البحر المحيط: 129/6. مشكل إعراب القرآن: ص 401.

[596]– ينظر: البحر المحيط: 161/6.

[597]–مشكل إعراب القرآن ومعانيه: ص 401.

[598]– البحر المحيط: 161/6.

وقوله (ماؤها غورا) قال النحاس: التقدير ير ماؤها ذا غور، مثل (واسأل القرية)، والعرب تقول: ماء غور، وما إن غور، ومياه غور بالتوحيد في كل شيء[599].

وقوله: (وأحيط بثمره) الفعل مبني للمجهول، ونائبه هو اسم ما لم يسم فاعله مضمر وهو المصدر تقديره أحيط إحاطة بثمره، ويجوز أن يكون المخفوض في موضع رفع، (فأصبح يقلب) في موضع نصب[600].

وقوله تعالى: (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) الفئة هنا الرجال لقوله: ينصرونه، ولو قال: تنصره يذهب إلى الفئة. (هناك الولاية لله الحق) قرأ الكوفيون (هنا لك الولاية) بكسر الواو، وهو الملك والسلطان[601]. وقيل: (الولاية) بالكسر والفتح لغتان، وقالوا أيضا: الكسر في إلا مارة، والفتح في النصرة[602].

---

[599]- مشكل إعراب القرآن: ص 401. إعراب القرآن: النحاس: 458/2.

[600]- إعراب القرآن: النحاس: 458/2.

[601]- إعراب القرآن: 459/2. معاني الفراء: ص 401.

[602]- التبيان في إعراب: 849/2.

المثل القرآني العاشر:

قال الله تعالى : ﴿ **اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيئُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ** ﴾.[603]

بعد أن بين الله لعباده في أوّل سورة النور أهم التدابير الوقائية من أبشع الجرائم الخلقية، ورسم لهم الطريق إلى المكارم الإنسانية والمحاسن الإسلامية وهداهم إلى ما فيه أمنهم وعزهم وشرفهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ومدّهم بقبسات إيمانية عظيمة ملكن عليهم مشاعرهم، وأخذت بمجامع قلوبهم، وانعكس أثرها على سائر جوارحهم- بعد ذلك كله أثنى شأنه على نفسه بما هو أهله، فبين لعباده أنّه هو الذي امتاز بنوره السماوات والأرض بمن فيهن وما فيهن، وضرب مثلا لنوره[604].

والنور في كلام العرب الضوء المدرك بالبصر فإسناده إلى الله مجاز كما تقول: زيد كرم وجود، وإسناده على اعتبارين: إمّا على أنّه بمعنى اسم الفاعل أي: منوّر السموات والأرض، ويؤيّد هذا التأويل قراءة علي بن أبي طالب وأبي

---

[603]- النور: 35.

[604]- الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية: د. محمد بكر إسماعيل. ص 177.

جعفر وزيد بن ثابت وزيد بن علي وغيرهم: (نوّر) فعلا ماضيا ونصب (الأرض).[605]

وأضيف النور إلى (السموات والأرض) للدلالة على سعة إشراقه وقوة إضاءته حتى يضيء له السموات والأرض. أو يراد أهل السموات والأرض.

وأنهم يستضيئون به، قال ابن عباس: (نور السموات والأرض) أي هادي أهل السموات والأرض.[606]

(مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) المشكاة: الكوة في البيت غير النافذة و(كمشكاة) كمثل مشكاة، فهناك حذف مضاف، والمشكاة هنا هي صدر المؤمن، والمصباح والعلم. (المصباح في زجاجة) والزجاجة قلبه والمصباح هو السراج الضّخم، والظاهر أن الزجاجة هي ظرف المصباح[607] (فيها مصباح) هذا التركيب في موضع لمشكاة،[608] وأمّا قوله: (الزجاجة كأنّها كوكب ذري) فقرأ أبو رجاء ونصر بن عاصم بكسر الرأي في (المصباح في زجاجة الزجاجة)، (كأنّها) كأن الزجاجة لصفاء جوهرها وذاتها وهو أبلغ في الإنارة ولما اختصت عليه من نور المصباح: (كوكب درّيّ) درّي نسبة إلى الدر لبياضه وصفائه ويحتمل أن يكون أصله من الهمز (درّي) بفتح الدال وبكسرها وهذا قرئ شاذا،

---

[605]- البحر المحيط: 554/6.

[606]- تفسير ابن كثير: 100/5.

[607]- البحر المحيط: 555/6.

[608]- البيان في إعراب القرآن: 969/2.

وهنا أبدل الهمز ثم أدغم في الياء فصارت: درّيّ، وهذا من درأ درءا: بمعنى دفع: أي يدفع بعضها بعضا؛ أو يدفع ضوئها خفاءه ووزنها فعيل.[609]

(يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) يوقد: فعل مضارع مبني للمفعول وهو المصباح. وقرأ قوم بالتاء: (توقد) للسند إليه هو الزجاجة،[610] من شجرة مباركة وهي شجرة الزيتون الكثيرة المنافع؛ لأنّها تنبت في الأرض التي بارك الله فيها

للعالمين، وقيل بارك فيها سبعون نبيّا منهم إبراهيم عليه السلام، والزيتون من أعظم الشجر ثمرا ونماء واطراد أفنان ونضارة أفنان،[611] وقال فيها أبو طالب:

بورك الميت العرب كما *** بورك نضر الرمان والزيتون.

وأمّا (لا شرقية ولا غربية) فمعناه كما قال ابن زيد هي من شجر الشام فهي ليست من شرق الأرض ولا من غربها: لأن شجر الشام أفضل الشجر وقال ابن عباس وغيره: هي في منكشف من الأرض تصيبها الشمس طول النهار تستدير عليها؛ فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية، وقيل غير ذلك في تفسيرها.[612]

---

[609]- البحر المحيط: 556/6. مختصر في شواذ القرآن: ص 103. معاني القرآن: 544.

[610]- البحر المحيط: 556/6. (مختصر في شواذ القرآن:ص 544.)

[611]- البحر المحيط: 556/6.

[612]- البحر المحيط: 557/6 تفسير ابن كثير: 103/5.

و(زيتونة) هي بدل من (شجرة)، و(لا شرقية) صفة لزيتونة (ولا غربيـــة) معطوفة عليها، وكذلك الجملة (يكاد زيتها يضيء) في محل جر نعت لزيتونـــة (نور على نور) أي ذلك نور: فهو متضاعف وتعاون عليه للمشكاة والزجاجـــة والمصباح والزيت فلم يبق ممّا يقوي النور ويزيد إشراقا شيء[613].

المثل القرآني :

يقول الله تعالى: ﴿ **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مظمئنـــة يأتيهـــا رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعـــون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون** ﴾.[614]

ضرب الله لأهل مكة مثلا ينذرهم فيه. بما قد يحل بهم، عتابا: لهم علـــى كفرهم بأنعم الله تعالى: ومن أعظمها إرسال رسول منهم يتلوا علـــيهم آياتـــه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. ضرب لهم مثل حال مكة التي كانت آمنه مطمئنة مستقرة يتخطف النّاس من حولها، ومن دخلها كان آمنا لا يخاف، ولما جحدت آلاء الله عليها وأعظم بعثة محمد- صلى الله عليه وسلم- إليهم، بدّلهم

---

[613]- البحر المحيط: 557/6 البيان في إعراب القرآن: 970/2.

[614]- سورة النحل: 112- 113.

الله تعالى بحالهم الأولية خلافها، فقال (أذاقها الله لباس الجـــوع والخـــوف) أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجيء إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقهـــا رغدا من كل مكان، وذلك أنهم استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأبوا00 خلافه فدعا عليهم سبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنّه أذهـــب كـــل شيء لهم، فأكلوا العلهز وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه.[615]

وما جزاء من بدل نعمة الله كفرا إلا أن يأخذهم الله بعذابه بترعه الـــنعم وإحلال النعم محلها، ليذوقوا من البأساء والضراء بعد الأمن والسراء[616].

قوله تعالى: (كانت آمنة مطمئنة) ابتدأ بصفة الأمن لأنه لا نعيم لخـــائف و(مطمئنة) خبر بعد خبر (كانت). وما اتصل بها صفة لقرية،[617] والاطمئنـــان زيادة في الأمن فلا يزعجها خو00[618]

ومنها: قوله (مطمئنة) بعد قوله (آمنة) لدلالة على أنهم وصلوا في الأمـــن إلى حدّ يغبطون عليه، فهم في وداعة ودعة وسكين ملأت عليهم أقطار قلوبهم. مما لديهم من مقومات.[619]

---

[615]- تفسير ابن كثير: 230/4.

[616]- الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية: د. محمد بكر إسماعيل: ص 155.

[617]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: 249/3.

[618]- الكشاف: 638/6. تفسير البحر المحيط: 687/5.

[619]- الأمثال القرآنية دراسة:تحليلية: ص 159.

وقوله تعالى: (يأتيها رزقها) أقواتها واسعة من جميع جهاتها، لا يتعذر منها جهة.[620] حيث عبر بالمضارع عن المناطق، لإعادة التجدد بالحدوث، كما عبر بلفظ (كانت) للدلالة على تأمل الأمن عليهم بمند أمد بعيد مع ثباته ودوامه.[621]

وقوله (أنعم) جمع نعمة، كشدة وأشد، وقال قطرب: جمع النعم بمعنى النعيم: يقال: هذه أيام طعم ونعم. فيكون كبؤس وأبؤس.[622] وقال الزمخشري: جمع نعمة، على ترك الابتداء بالتاء، كدرع و أدرع. أو جمع نعم، كبؤس وأبؤس. وفي الحديث. نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم المبنى: "إنها أيام طعم ونعم فلا تصوموا"[623]

وقوله: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) قرأ الجمهور على جر الخوف عطفا على الجوع. وقرئ: (والخوف) عطفا على اللباس، أو على موضع

(الجوع) على أن ألبسهم الجوع والخوف، أو على تقدير حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، أي: ولباس الخوف وقوله: (وهم ظالمون) في موضع الحال من الضمير في (فأخذهم)[624].

---

[620]- تفسير البحر المحيط: 688/5.

[621]- الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية: د. محمد بكر إسماعيل. ص 159.

[622]- تفسير البحر المحيط: 628/5. الفريد في إعراب القرآن المجيد: 249/3.

[623]- الكشاف: 638/2. ينظر الفريد في إعراب القرآن المجيد: 249/3.

[624]- الفريد في القرآن المجيد: 249/3.

وقوله تعالى: (بما كانوا يصنعون) بعد قوله جل شأنه (فكفرت) فيه دلالة على تماديهم في الكفر وعلوهم فيه إلى الحد الذي أحكموا كل خطة للإنسان في الأرض والصدّ عن سبيل الله.[625]

عدلت الآية عن التفسير بجمع الكسرة (نعم) إلى جمع العلّة (أنعم) لفرض بلاغي يكشف عنه العلامة أبو السعود حيث قال: (وإيثار جمع العلّة: للإيـــذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب، فما ظنك بكفران نعم كثيرة) وهو يناسب مقام التّخوين لهؤلاء الكافرين الجاحدين لنعم الله تعالى عليهم.[626]

وقوله تعالى: (ولقد جاءهم). الضمير عائد على ما عاد عليه في (بما كانوا يصنعون)[627] وقال أبو عبد الله الرازي: لما ذكر المثل قال: (ولد بني أهل مكة- رسول منهم) بني- من أنفسهم- يعرفونه بأصله ونسبه ولما وعظ تعالى: بصرب ذلك المثل وصل هذا الأمر للمؤمنين بالتاء: فأمر المؤمنين بأكل ما رزقهم وشكل نعمته ليباينوا تلك القرية التي كفرت بنعم الله.[628]

المثل القرآني:

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا**

---

[625]- الأمثال القرآنية: دراسة تحليلية: د. محمد بكر إسماعيل: ص 160.

[626]- تفسير أبي الشعور: 145/5 نقلا عن الإنجاز الصرفي في القرآن الكريم. د. عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي: ص 179.

[627]- تفسير البحر المحيط: 689/5.

[628]- تفسير الفخر الرازي: 131/205.

لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ﴾[629].

حري بنا أن نستمع بقلوبنا لهذا المثل الذي هو من أبلغ من أنزله الله في بطلان الشرك وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم. وقمين بنا أيضا أن نتدبره حق التدبر فإنه يقطع مواد الشرك من القلب: وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب، ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف ما هو أكبر منه، ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقدوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات، ولا على الانتصار منه، واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها، ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله تعالى: (ضعف الطالب والمطلوب)، قيل: الطالب العابد، والمطلوب المعبود فهو عاجز متعلق بعاجز، وقيل: هو تسوية بين السالب والمسلوب وهو تسوية بي الإله والذباب في الضعف والعجز، وقيل: الطالبالذباب، والمطلوب: الإله؛ فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه، والصحيح أن

[629]- سورة الحج: 73.

اللفظ يتناول الجميع؛ وضعف العابد والمعبود، والمستلب، فمن جعل هذا إلها مع القوي العزيز، فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه[630].

أما قوله (شرب مثل فاستمعوا له) فالفعل جاء هنا مبنيا للمفعول وظاهر التركيب أن ضارب المثل هو الله سبحانه؛ ضرب مثلا لما يعبد من دونه أي بين شبها لكم ولمعبودكم، لكن الأخفش ذهب مذهبا مخالفا إذا اعتبر أن المشركين هكم ضاربوا المثل، وذلك في قوله: " ليس ها هنا مثل لأنه تبارك وتعالى قال: ضرب لي مثل فجعل مثلا عندهم لي فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي في قولهم واتخاذهم الآلهة، وإنهم لن يقدروا على خلق ذباب ولو اجتمعوا له وهم أضعف لو سلبهم الذباب شيئا فاجتمعوا جميعا ليستنقذوه منه لم يقدروا على ذلك، فكيف تضرب هذه الآلهة مثلا لربها وهو رب كل شيء، الواحد الذي ليس كمثله شيء وهو مع كل شيء وأقرب من كل شيء، وليس له شبه ولا مثل ولا كفء، وهو العلي العظيم الواحد الرب الذي لم يزل ولا يزال "[631].

وقيل هو (مثل) من حيث المعنى لأنه (ضرب مثل) من يعبد الأصنام بمن يعبد الأصنام بمن يعبد ما لا يخلق ذبابا[632].

والزمخشري يوافق مذهب الأخفش في أنه ليس بمثل، فيقول: " فإن قلت: الذي جاء به ليس بمثل، فكيف سماه مثلا ! قلت: قد سميت الصفة أو القصة الرائعة

---

[630]- البدائع في علوم القرآن: ابن قيم الجوزية، ص 166، 167.

وينظر: مشكل إعراب القرآن ومعانيه: الفراء، ص 478.

[631]- معاني القرآن: الأخفش، تحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، ط1 بيروت 2003: ص 541.

[632]- البحر المحيط: 473/6.

المتلقاة بالاستحسان والاستغراب: مثلا: تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة، لكونها مستحسنة مستغربة عندهم "[633].

وقرئ (تدعون) بالتاء وبالياء: يدعون، وهي قراءة الحسن البصري ويعقوب بت اسحاق وغيرهما، وقرأ اليماني وموسى الأسواري بالياء من أسفل مبنيا للمفعول[634].

(لن يخلقوا ذبابا) (لن) أخت (لا) في نفي وقوع الفعل في المستقبل إلا أن نفيها هو نفي فيه تأكيد، وهذا التأكيد يكن فيه الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قيل: محال أن يخلقوا، وتأتي (لن) فضلا على التأكيد هنا لنفي وقوع الفعل استحالة على التأبيد[635].

وقوله (ولو اجتمعوا له) قال الزمخشري: " النصب على الحال؛ كأنه قال: مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم "[636].

وقوله: (ضعف الطاب والمطلوب) أسند فعل الضعف والعجز إلى الطالب والمطلوب معا، قال ابن عباس: الضم والذباب؛ أي ينبغي أن يكون الضم طالبا لما سلب من طيبهم على معهود الأنفة في الحيوان[637].

---

[633]- الكشاف: 171/3.

[634]- الكشاف: 171/3. البحر المحيط. البحر المحيط: 473/6.

[635]- البحر المحيط: 473/6.

[636]- الكشاف: 171/3.

[637]- البحر المحيط: 473/6.

وذهب الزمخشري في معنى (ضعف الطالب والمطلوب) إلى أنه كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف، ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب، وذلك مغلوب[638].

وقوله تعالى: (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه حق معرفته، حيث عبدوا من منسلخ عن صفاته وتسموه باسمه، ولو يؤهلوا خالقهم للعبادة، ثم ختم المثل بصفتين منافيتين لصفات الآلهة من القدرة والقوة والغلبية، فإن الله قادر غالب، فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به: (إن الله لقوي عزيز)[639].

[638]- الكشاف: 171/3.

[639]- ينظر: البحر المحيط: 473/6. الكشاف: 171/3.

المثل القرآني :

قال الله تعالى : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحتسبه الظمآن ما حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور** ﴾.[640]

هذا مثل عجيب صربه الله تعالى للكفار: فهم يحولون على ثواب أعمالهم ويرجون ذلك إلى يوم القيامة، فإذا قدموا على الله وجدوا ثواب أعماهم محبطة بالكفر مشتملة بالغني لما وقعوا فيه من رجس الشرك، فإذا عرضوه على ربهم القيامة لحقهم الخزي والهوان فلا يجدون شيئا مما يرجون من خلاص وثواب كما لا يجد صاحب السراب إلا أرضا فقراء، لا ماء فيها، فهو يهلك أيموت من شدة عطشه وحاجته إلى الماء فكذلك الكافر يثقل بدنو وقت الحساب ويتعرض بعده لأشد العذاب.[641]

وهذه حال كل صاحب باطل فإنه يخونه باطله أخرج ما كان إليه، فإن الباطل كحقيقة له، وهو كاسمه باطل، وكذلك إذا كان العمل لغير الله عز وجل، وعلى غيره بطل العمل ببطلان غايته وتضرر عامله ببطلانه وبحصول ضد

---

[640]- سورة النور: 39- 40.

[641]- التفسير اللغوي في أمثال القرآن الكريم: د. محمود السيد حسن: ص 525.

ما كان يؤلمه،فلم يذهب عليه عمل واعتقاده، لا له ولا عليه، بل صار معـــذبا لفوات نفعه، وبحصول

ضد000 فلهذا قال تعالى: (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) مثل الضال الذي يحسب أنه على هدى[642].

وقوله (والذين كفروا) مبتدأ و (أعمالهم) مبتدأ ثان و(كسراب) خـــبره، والمبتدأ الثاني وخبره المبتدأ الأول، وقوله (بقيعة في موضع الصفة (لســـراب، أي كائن أو مستقر بقيعة، ويجوز أن تكون من صلة الاستقرار الذي يتعلق به الكاف الذي هو الخبر، هذا إذا جعلته حرفا، وأما إذا جعلته أسما على معنى أعمالهم مثل سرار فلا[643].

و(السراب) ؛ ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة، يســـرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري[644]. وقال الفراء[645]: القيعة جمع قاع كجيرة وجار، والياء في (قيعة) بدل من واو لسكونها وانكسار ما قبلها، شهادة قولـــه: أقوع وأقواع في جمع قاع. وقرئ: (بقيعاة) بالألف بعد العين وتاء مدورة وفيها وجهان – أحدهما: أن الألف ناشئة من فتحة العين حين أشبعت، والثاني: أنهـــا

---

[642]– أمثال القرآن: ابن القيم: ص 37.

[643]– الفريد في إعراب القرآن المجيد: 603/3.

[644]– الكشاف: 243/3. الفريد في إعراب القرآن المجيد: 603/3.

[645]– مشكل إعراب القرآن ومعانيه: الفراء: 485/2.

مثل قولهم رجل عزة وعزهاه للذي لا يقرب النساء واللهو، فهذا فعل وفعـــلاة بمعنى وتلك فعله وفعلاة بمعنى ولا فرق بينهما غير تاء مدورة[646].

وقرئ: أيضا: (بقيعات) بتاء ممدودة وهي جمع قيعة كديمات وقيمـــات في ديمة وقيمة[647].

وقوله: (يحسبه الظمآن ماء) محل الجملة جر على أنها صفة لسراب، أي: يخال العطشان ذلك السراب ماء، أرخص الظمآن بالذكر لشـــدة حاجتـــه إلى الماء[648] وقرأ شيبةوأبو جعفر ونافع (الظمآن) بحذف الهمزة ونقل حركتـــها إلى الميم[649].

وقوله (أو كظلمات)، والظلمات مثل لقب الكافر، أي (إذا أخرج يده لم يكد يرها) فقال بعض المفسرين: لا يراها وهو المعنى؛ لأن أقل من الظلمات التي وصفها الله لا يرى فيها الناظر كفه. وقال بعضهم إنما هو مثل ضربه الله فهـــو يراها ولكنه لا يراها إلا بطيئا، كما تقول: ما كدت أبلغ إليك وأنت قد بلغت، وهو وجه العربية. ومن العرب من يدخل كاد ويكاد في اليقين فيجعلها بمنزلـــة الظن إذا دخل، فيما هو يقين، كقوله (وظنوا مالهم من محيص) في كـــثير مـــن الكلام[650].

---

[646]- الزيد في إعراب القرآن المجيد: 603/3.

[647]- المحتسب: 113/2، تفسير البحر المحيط: 560/6.

اللسان: الزمخشري: 243/3.

[648]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: 603/3.

[649]- تفسير البحر المحيط: 560/6.

[650]- مشكل إعراب القرآن ومعانيه: الفراء: 485/2-486.

المثل القرآني العاشر:

يقول تعالى: ﴿ **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** ﴾[651].

جاء هذا المثل القرآني عقب آيات أحوال أمم سابقة لهم في مجال المعصية دور مشهود، وفي محاربة الرسل السابقين لهم عمل مشهور، وفي إنكار الدعوات الصالحة التي تدعوهم إلى الإيمان بالله الواحد القهار، وتجعوهم إن تطهير أنفسهم من قبائح الحياة والرذائل المتفسية فيهم، فأصابهم الله جزاء أعمالهم وظلمهم لأنفسهم بتلك العقوبات التي تنوعت إرسال 000 من السماء، والرجفة التي تهلك، والخسف، والإغراق[652].

---

[651]- سورة العنكبوت: 41.

[652]- عيون الحنان في شرح الأمثال في القرآن: الطهطاوي: ص 191-192.

في ضوء هذا التمهيد، جاء المثل ليبين حقيقة أولئك القوم الكافرين الذين أرسل إليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم، وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا وهو أوهن البيوت وأضعفها، وأن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء، فلم يستفيدوا ممن اتخذوهم أولياء إلا ضعفا كما قال تعالى: (واتخذوا من دون الله عالهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا)[653]. وقال تعالى (والتخذوا من دون الله إلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون)[654]. وقال تعالى بعد أن ذكر هلاك الأمم،

المشركين، (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم إلهتم التي يدعون من دون الله من شيء ولما جاء أمر ربك وما زاد وهم غير تتبيت)[655]. هذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله وليا يتغرز به، ويستضربه، ولم يحصل به إلا ضد مقصوده. وهذا المثل من أحسن الأمثال وأدركها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه. وحصوله على ضد مقصوده[656].

يقول تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت).

---

[653]- سورة مريم: 81-82.

[654]- سورة ياسين: 74-75.

[655]- سورة هود: 101.

[656]- أمثال القرآن: ابن القيم الجوزية: ص 34.

قوله (أولياء) و لم يقل آلهة إشارة إلى إبطال الشرك الخفي أيضا، فإن من عبد الله رباء لغيره فقد اتخدوا وليا غيره فمثله مثل العنكبوت يتخذ نسجه بيتا[657].

(كمثل العنكبوت). الكاف في موضع رفع على التأويل، لأنها خبر الابتداء في موضع نصب على الظرف. و(العنكبوت) وزنه فعللوت ويؤنث ويذكر ويقع على الواحد والجمع فمن تذكيره[658] قول الشاعر:

على هطالهم منهم بيوت *** كأن العنكبوت هو اتبناها[659].

والنون فيه أصل، وتاؤه مزيدة بدليل قولهم في تكسيره عناكب وفي تصغيره عنيكب[660] وعنيكيب قال أبو جعفر: وفي جمع العنكبوت وجوه يقال: عناكب وعناكيب وعكاب وعكب وأعكب، وحكي أنه يقال: عنكب[661].

وقوله (لو كانوا يعلمون) ليس مرتبطا بقوله: (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت)، لأن كل أحد يعلم ذلك، فلا يقال فيه: لو كانوا يعلمون؛ وإنما

---

[657]- تفسير الفخر الرازي: 69/25.

[658]- تفسير البحر المحيط: 195/7. ينظر مشكل إعراب القرآن ومعانيه: 540/2.

[659]- اللسان مادة (هطل).

[660]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: 741/3. التبيان في إعراب القرآن: 1033/2.
ينظر: تفسير البحر المحيط: 195/7.

[661]- إعراب القرآن: النحاس: 257/3.

المعنى: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم، وأن أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية لأقلعوا عنه، وما اتخذوا الأصنام آلهة[662].

وقرآ أبو عمرو، وسلام: يعلم ما، بالإدغام والجمهور: بالفك؛ بالفك، والجمهور: تدعون، تباء الخطاب؛ وأبو عمرو، وعاصم: بخلاف، بياء الغيبة؛ وجوزوا في ما أن يكون مفعولا بيدعون، أي: يعلم الذين يدعون من دونه من جميع، الأشياء أي: يعلم حالهم، وأنهم لا قدرة لهم، وأن تكون نافية، أي: لستم تدعون من دونه شيئا له بال ولا قدر، فيصلح أن يسمى شيئا، وأن يكون استفهاما، كأنه قدر على جهة التوبيخ على هذا المعبود من جميع الأشياء، وهي في هذين الوجهين مقتطعة من يعلم، واعتراض بين يعلم وبين قوله (وهو العزيز الحكيم)[663].

المثل القرآني:

[662]- تفسير البحر المحيط: 196/7.

[663]- تفسير البحر المحيط: 196/7.

يقول الله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذي معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيما هم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع آخر شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة وأجرا عظيما** ﴾[664].

ضرب الله سبحانه هذا المثل في وصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لصفاتهم النبيلة من شدة بأسهم على الكفار، وشجاعتهم في مواجهة خصوم هذا الذين، وتعاطفهم وتراحمهم فيما بينهم؛ فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وأثنى سبحانه على اجتهادهم في العبادة، ومواظبتهم على الطاعة، ونقاء صدورهم وقلوبهم من ذوي النفاق فهم حريصون على الإخلاص والصدق في القول والعمل، ولذا استوجبوا وعد الله لهم بالمغفرة والثواب العظيم[665].

قوله تعالى: (محمد رسول الله) فيه وجهان : أحدهما : (محمد) خبر مبتدأ محذوف؛ أي هو محمد لجري ذكره في قوله: (هو الذي أرسل رسوله)[666] ورسول الله صفة أو عطف بيان له. والوجه الثاني: (محمد) مبتدأ وفي خبره وجهان: أحدهما (رسول الله) و (الذين معه) مبتدأ، (أشداء) خبره، وعطف الجملة على الجملة بالواو. والثاني: (رسول الله) صفة أو عطف بيان (والذين معه) عطف عليه. (أشداء) خبر

---

[664]- سورة الفتح: 29.

[665]- ينظر: التعبير اللغوي في أمثال القرآن: ص 227.

[666]- سورة الفتح: 28.

عن الجميع و (رحماء) خبر بعد خبر، وكذا (تراهم)[667]. وقرأ الحسن (أشداء على الكفار رحماء بينهم) بالنصب على الحال، ويجوز أن يكون (الذين معه) في موضع نصب مفعول به بإضمار فعل يفسره (تراهم) على أسلوب الإشتغال (ركعا سجدا) على الحال، (سيما هم في وجوههم من أثر السجود) أي علامتهمن وقرئ شاذا: (سيمياهم) بزيادة ياء مع المد، وهي لغة فصيحة كثيرة في الشعر، كقول الشاعر:

غلام رماه الله بالحسن يافعا *** له سيمياء لا تشق على البصر[668].

وأصل (سيماهم) من الفعل: سام يسومن هو بمعنى العلامة[669]، من قوله تعالى: (مسومين)[670]. وهو مبتدأ (في وجوههم) خبر المبتدأ، و (من أثر السجود) حال من الضمير في الجار، وقرئ شاذا: من إثر السجود، وأيضا: من آثار السجود[671].

وقوله: (ذلك متثلهم في التروراة) ذلك الوصف من كونهم أشداء رحماء مبتغين في التوراة؛ أي ذلك الوصف وصفهم في التوراة، وهنا (ذلك مثلهم) مبتدأ وخبره (في التوراة) تمام الكلام وهو متعلق بالخبر[672].

---

[667]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: 331/4.

[668]- البحر المحيط: 145/8.

[669]- التبيان في إعراب القرآن: 1169/2.

[670]- سورة آل عمران: 125.

[671]- البحر المحيط: 145/8. التبيان: 1169/2، الكشاف: 347/4.

[672]- ينظر: إعراب القرآن: النحاس: 205/4. البحر المحيط: 145/8. الفريد: 232/4.

وقوله: (ومثلهم في الإنجيل) مبتدأ، وخبره (كزرع)، وهنا يعطف مثل على مثل، ونبتدئ بـــ " كزرع " أي هم كزرع، ويجوز أن يكون (مثلهم في الإنجيل) في موضع نصب على الحال؛ أي مماثلين، أو نعتا لمصدر محذوف أي تمثيلا كزرع[673].

(شطأه) بالهمز، وبغير همز ولا ألف؛ ووجهه أنه ألقى حركة الهمزة على الطاء وحذفها، وقد قرئ بهذا: شطه، وشطأه على إبدال الهمز ألفا، وهي لغة[674]. وشطء الزرع: فراه والجمع أطاء وشطوء، وقال ابن جني: لا يكون الشطئ إلا في البر والشعير[675].

(فآزره) في وزنه وجهان: أحدهما: أفعل ومعناه: قواه وأعانه وأشد أزره؛ أي: أعن الزرع الشطء، والثاني: وزن فاعل ومعناه ساواه؛ أي أزر الشطء الزرع؛ بمعنى ساواه وصار في قوله وهي قراءة ابن عامر اليحصبي: (فآزره)[676].

وأما قوله: (فاستغلظ فاستوى على سوقه) في فاعل الفعلين وجهان: الأول: فاعلهما الزرع؛ أي غلظ ذلك الزرع (فستوى على سوقه) بمعنى قام على قصبه وأصوله، والسوق جمع ساق، وهو أصله الذي يقوم عليه والثاني: فاعلهما: الشطء؛ أي فغلظ الشطء وتناهى وصار هو الأصل[677]، و (على سوقه) يجوز أن يكون حالا؛ أي قائما على سوقه، أو أن يكون ظرفا[678].

---

[673]- إعراب القرآن: النحاس: 205/4. التبيان في إعراب القرآن: 1169/21.

[674]- المحتسب: 276/2. التبيان: 1169/2. البحر المحيط: 8/

[675]- ينظر: المحتسب: 277/2. الفريد: 333/4.

[676]- ينظر: الكشف: 272/2. الفريد: 334/4.

[677]- الفريد في إعراب القرآن المجيد: 334/4.

[678]- التبيان في إعراب القرآن: 1169/2.

وقوله: (يعجب الزراع ليغلط بهم الكفار) جملة فعلية يجوز أن تكون استئنائية، أو أن تكون نصبا على الحال، والكفار هنا الزراع؛ لأنهم يغطون الزرع، وقيل: هم

الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ وهذا أولى؛ لأنه لا يجوز (يعجب الزراع ليغلط بهم الزراع)[679].

(وعد الله الذين آمنوا منهم)، قال صاحب التبيان[680] إن (منهم) لبيان الجنس تفضيلا لهم بتخصيصهم بالذكر وهم المؤمنون، وقال بعضهم (منهم) لبيان الجنس عند الجمهور وهو أولى؛ لأن الجميع مؤمنون مطيعون، وإن كان الظاهر يومئ إلى معنى التبغيض، هذا المعنى لا يجيزه النحاس؛ لأنها إذا جعلت للتبغيض كان معنى (آمنوا) ثبتوا، وذلك مجاز ولا يحمل الشيء على لمجاز ومعناه صحيح على الحقيقة[681].

[679]- ينظر: إعراب القرآن: النحاس: 205/4، 206. الفريد في إعراب القرآن: 334/4.

[680]- التبيان في إعراب القرآن: 1169/2.

[681]- إعراب القرآن: 206/4.

المثل القرآني :

قال الله تعالى : ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ويحمل أسفارك بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القو الظالمين** ﴾[682].

قاس الله سبحانه وتعالى من حملة كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعوا إليه ثم خالف ذلك و لم يحمله إلا على ظهر قلب فقرأ به بغير تدبر ولا تفهم، ولا إتباع له، وتحكيم له، وعمل بموجبه، كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وخطه منها حملها على ظهره، ليس إلا فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره.

فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فنترك العمل به، و لم يؤد حقه ، و لم يرعه حق رعايته[683].

(مثل الذين حملوا التوراة كمثل الحمار يحمل أسفارا).

وقوله (مثل الذين) مبتدأ أو خبره.

---

[682]- سورة الجمعة: 05.

[683]- أمثال القرآن: بن القيم الجوزية: 51.

وقوله (حملوا التوراة)، قرأ الجمهور: حملوا مشددا مبنيا للمفعول ويحي بن يعمرو وزيد بن علية: مخففا مبنيا للفاعل، تشبه صفتهم بصفة الحمار الذي يحمل كتبا، فهو لا يدري ما عليه، أكتب هي أم صخر وغير ذلك ؟ وإنما يدرك من ذلك ما يلحقه من التعب بحملها[684].

قال الزمخشري[685]: على الوصف؛ لأن الحمار كاللئيم في قوله:

ولقد أمر على اللئيم يستبني

وقوله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله)، (بئس) فعل ماض جامدا بمعنى الذم، وفاعله (مثل) ومضاف إليه، و (الذين) هو المقصد بالذم، وهو نعت، ويل أيضا هناك محذوف وهو مثل الذين المخصوص بالذم، وقد حذف وأقيم المضاف إليه مقامه، وهو في موضع، لرفع تقديره: بئس مثل القوم مثل الذين[686].

وقيل في تفسير هذا: الوصف وإن كان في الظاهر للمثل فهو راجع إلى القوم، فكأنه بئس القوم قوما مثلهم هكذا[687].

---

[684]- تفسير البحر المحيط: 370/8.

[685]- الكشاف: 530/4. تفسير البحر المحيط: 370/8.

[686]- ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1222/2. الفريد في إعراب القرآن المجيد: 468/4.

[687]- تفسير الفخر الرازي: 6/30.

أثر الخطاب القرآني في التواصل العـــام

الخطاب القرآني

تعريف الخطاب :

الخطاب مشتق من الفعل : خاطب ، مُخاطبَةً و خِطابًا : بمعنى كالَمَهُ وحادَثَهُ ، ومن معانيه[688] الكلام ، قال تعالى : ﴿ **فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ** ﴾[689]، وأيضا الرسالة ، وفصل الخطاب : ما ينفصل به الأمر من الخطاب ، والتنزيل العزيز : ﴿ **وَءَاتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ** ﴾[690]. وفصل الخطاب أيضا : الحُكم بالبيِّنة ، أو اليمين ، أو الفقه في القضاء ، أو النُّطق بأمَّا بعد[691]. أو أن يُفصل بين الحقِّ والباطل ، أو خطاب لا يكون فيه اختصار مخلّ ولا إسهاب ممل[692].

أمَّا اصطلاحا ؛ فهو عند الدّراسين المحدثين ، نسج من الألفاظ والنسج مظهر من النظام الكلامي الذي يتخذ له خصائص لسانية تميِّزه عن سواه[693]. وهو كما عرَّفه بعض الأسلوبين : « مدوَّنة حدث كلامي ذي وظائف متعدِّدة »[694].

688– المعجم الوسيط: ص 243 . مادة (خطب) .

689– سورة ص : 23 .

690– سورة ص : 20 .

691– القاموس المحيط : للفيروز آبادي . مادة (خطب) .

692– المعجم الوسيط : مادة (خطب) .

693– بنية الخطاب الشعري : دراسة تشريحية لقصيدة (أشجان يمانية) . د . عبد المالك مرتاض . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1991. ص 34.

694 - تحليل الخطاب الشعري ص 120 نقلا عن الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية : د . عبد القادر عبد الجليل: دار صفاء للنشر والتوزيع ط1. عمان . 2002 . ص 141.

وهو مرتبط بالنَّص ، وفحواه مرتبط أيضا بدلالة النَّص ؛ أي بروحه وما يعقل عنه ، والنّص – وحدة أيدلوجيـــة – ، تعتمد في إنتاجـــها طـــاقة خاصَّة ، تتوزَّع بين المبدع ، والشكـــل ، والمتلقِّي ، وتمـــارس قدراتها علـــى المستويين السطحـــي

والعميـــق . وترمي من وراء ذلك إلى فرز ، وإنتاج الدّلالتين المركزية والهامشية ، على وفق قانون ثنائية القاعدة ، والعدول ، وتحيل المنـــتج إلى العديـــد مـــن الممارسات السيميولوجية ، لتُقَدِّمها إلى المتلقّي على أنَّهـــا أكثـــر مـــن مجـــرَّد خطاب[695].

والخطاب رسالة من الكاتب إلى القارئ والاتصال بين الكاتب والقـــارئ إنّما يتمّ عبر النّص ، تماما مثلما أنّ الاتصال بين المتكلم والسّامع وإنّما يتمّ عـــبر الكلام ، أي عير الإشارات الصوتية . فالكاتب يريد أن يقدّم فكرة أو وجهـــة نظر معينه في موضوع معين . وهذا خطاب ، و القارئ يتلقى هذه الفكـــرة أو الوجهة من النظر كما يستخلصها هو من النّص وبالطريقة التي "يختارها" (بفعل العـــادة أو بوعي وإرادة) وهذا تأويل للخطاب أو قراءة لـــه . هنـــاك ، إذن جانبان يكوّنان الخطاب ما يقوله الكاتب وما يقرأه القارئ[696].

ويرى بروان ويوك أنّه يجب النّظر إلى النّص بوصفه مجموعة من التعليمات ، التي تمكِّننـــا من بناء نمـــوذج خطابي ما ، ويتضمن هذا النمـــوذج كيانات

---

[695]– المرجع السابق : ص 141.

[696]– الخطاب العربي المعاصر : دراسة تحليلية نقدية . د . محمد عابد الجابري . مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت .1994 . ص 10.

الخطـــاب و (صفات مميزة) أو (خواص) و (روابط) بين تلك الكيانات[697].

يُؤسَّس الخطاب ، في موقع الممارسة النصّية ، علـــى طرائق الاستخدام المفعل لأحداث الكلام اللّغوي ؛ حيث لا توجد اللّغة إلاّ من خلال عمليات التوظيف القصدية داخل منظومة الخطاب . وإذا كـــان النّص يتحرك ضمن معطياته الدلاليـــة

فإنّه فضاء يعتمد على فاعلية الحركة التركيبية وسعتها ، وشموليتها داخل أواصر وحداته[698].

والنّظر إلى اللّغة على أنّها ذات مستويين – نفعـــي وفنِّـــي – يرجـــع إلى التقسيم الثنائي للغة عند (دسيوسير) ، وهو اللّغة والخطاب ، والخطاب بدوره يمكن أن ينقسم إلى ثنائية أخرى ، الخطاب العادي ، والخطاب الفنّي .

أمّا الخطاب العادي فهو إيصال المضمون بصـــورة واضـــحة ومباشـــرة وتتفاوت في هذا الإطار ملكات النّاس بحسب ثقافتـــهم ونضـــجهم العقلـــي وقدراتهم على استخدام اللّغة .

أمّا المستوى الفنّي للخطاب فهدفه التأثير الذي يعمد إليه الكاتـــب عـــن طريق إظهار القيم التعبيرية والجمالية للغة وهو ما لا يخفل بـــه ابـــن اللّغـــة في الخطاب العادي[699].

---

[697] – تلوين الخطاب في القرآن الكريم : د . طه رضوان طه رضوان .ص 49 .

[698] – الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية : د. عبد القادر عبد الجليل ص 141.

[699] – د: يوسف نور عرض، في منظور النقد النبوي ص 115 نقلا عن تكوين الخطاب في القرآن الكريم : د طه رضـــوان ص 41-42. ينظر اللغة والأسلوب. عدنان بن ذريل : ص 136.

وقد قسّم " شارل بالي " من خلال دراسته وتتبعه لبصمات الشّـــحن في الخطاب أي وجدانيته إلى نوعين[700]:

أ – من الخطاب ما هو حامل لذاته وغير مشحون بشيء .

ب– و منه ما هو حامل للعواطف والانفعالات .

وهنا درس الخطاب الفنّي بوصفه دالاً ، ومدلولاته الانفعالات عند المتلقي ، وذلـــك من خلال تقصّيه لبصمات الشّحن والوجدانية في هـــذا الخطاب ، وجعـــل

السّياق الأسلوبي هو الإطار الفنّي الذي يعبّر به المبدع ويتّخذه طريقا للأداء وربط الدّوال بمدلولاتها[701].

وهو سلسلة من الملفوظات التي يمكن تحليلها باعتبـــارها وحدات أعلـــى من الجملة ، تكون خاضعة لنظام يضبط العلاقات بين الجمل ؛ أي العلاقـــات السّياقية والنّصية ، وذلك عن طريق تحديد النظام المعجمي الدّلالي أو التـــركيبي الدّلالي للنّص أو سلسلة العلاقات المنطقية الاستعادية التي تتجلّى في الشّفرة التي ترتبط ببرهان لغوي يقوم بين عدّة أطراف ضمن ظروف محدّدة[702].

ولقد حاولت اللّسانيات التوزيعية أن تصنّف أنمـــاط الخطـــاب إلى مـــا يلي[703]:

– حسب قناة التواصل ؛ يمكن التمييز بين خطاب شفاهي وخطاب مكتوب .

– حسب المسافة ؛ خطاب بضمير المتكلم وخطاب بضمير الغائب .

---

[700]– اللّغة والأسلوب: د عدنان بن ذريل: ص: 136.

[701]– الدلالة السياقية عند اللّغويين : د عواطف كنوش المصطفى. دار حراء . ط 1. القاهرة. 2007. ص 72.

[702]– دروس في اللسانيات التطبيقية : د. صالح بلعيد . دار هومه. الجزائر . 2003 ص 192.

[703] – المرجع نفسه الصفحة نفسها .

- حسب نوع الإرسال ؛ خطاب مباشر خطاب غير مباشر .

- حسب علاقة المتخاطبين ؛ خطاب ديداكتيكي خطاب جدالي .

- حسب علاقة الخطاب بالواقع ؛ خطاب صريح خطاب ضمني .

- حسب المرجع ؛ خطاب سياسي ، خطاب علمي ، خطاب فلسفي ، ومن هنا يوجد اختلاف كبير بين اللّغة كنسق من العلامات والاستعمال الفردي لهذه اللّغة ؛ لأنَّ للغة قوالب وعناصر ودلالة في حدّ ذاتها ، لكنّها تكتسبها بتعلقها بمواقع خطابية وقولية أي اتّصالية[704] .

مفهوم الخطاب القرآني :

القرآن رسالة الله إلى الإنسانية كافة ، وقد تواترت النّصوص الدّالة على ذلك في الكتاب والسنّة ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُمْ جَمِيعًا** ﴾[705]، ولن تأتي بعده رسالة أخرى ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ النَّبِيينَ** ﴾[706]. اختصّ بها رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – المبعوث رحمة للعالمين .

إنّ الخطاب القرآني يَكفُل لكلّ إنسان سليم العقل والقلب الحقَّ في تدبّره والخروج من بعد ذلك عاجزا عن الإعراض عنه كما يفعل الجاهلون ، وبلاغته قد تعهّدها الله فجعل منها تشهد لهذا القرآن بإلهيته ما دام هذا الخطاب ملازما بإعجازٍ يتضمنّه وجوبا فلا يفارقه لحظة واحدة .[707]

---

[704]– دروس في اللسانيات التطبيقية: د. صالح بلعيد. ص 192.

[705]– سورة الأعراف: 158.

[706]– سورة الأحزاب: 40.

[707]– الخطاب القرآني المعاصر: د. جمال نصار حسين. دار الإسراء. ط 1. الأردن 2000. ص 5.

إنّ الخطاب الربّاني خارج عن حدود الزمن ، فهو قائمٌ بلا تجدد ، و الحادثون هم الزمنيون ، و هم الذين يحدثون فيجدون القرآن يخاطبهم ، فيتناول القرآن كل فرد وكلّ جماعة من المخاطبين بحسب الأحوال التي يكونون عليها ، وتتوجّه لهم من آيات

الله في كتابه الآيات الملائمات لأحوالهم ، فالكافر تخاطبه آيات الدّعوة إلى الإيمان وعبادة الله ، والمنافق تخاطبه آيات التحذير من النّفاق ، والمؤمن تخاطبه الآيات التي تخص المؤمنين بحسب حاله[708].

فخطاب الله عزّ وجل في القرآن للرسول شامل للمؤمنين ، ما لم يكن في النّص أو في غيره ما يدلّ دلالة صريحة على الخصوصية ، وخطاب المفرد في القرآن وهو خطاب لكلّ فرد يصلح للخطاب ، وهو أسلوب من أساليب التعميم الذي هو بمثابة

النّص على العموم وتأكيده ، بخلاف ألفاظ العموم فإنّها تحمل أن يراد بها الخصوص ، وحين يراد بها العموم فيلاحظ فيه توجيه الخطاب لكلّ فرد مكلّف ضمن خطاب الجماعة[709].

إنّ الله عزّ وجل في خطابه القرآني يضرب الأمثال ، وينوّع الأدّلة والبراهين ، ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة ، ويصدق الصادق ، ويكذّب الكاذب ، ويقول الحق ويهدي السّبيل ، ويدعو إلى دار السّلام ، ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ، ويحذر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ، ويذكّر عباده فقرهم إليه وشدة حاجتهم إليه من كل جهة . وأنّهم لا

---

[708]– قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزّ وجل: د عبد الرّحمان حسن . ص 621.

[709]– المرجع السابق : ص 622.

غنى لهم عنه طرفة عين ، ويذكر غناه عنهم وعن جميع الموجودات ، وأنّه الغني بنفسه عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير إليه بنفسه وأنّه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلاّ بفضله ورحمته ، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلاّ بعدله وحكمته[710].

عملية التواصل اللغوي

وظيفة اللغة عند الصغار والكبار هي نقل أفكار والفرد إلى الآخرين بوصفها وسيلة للتوصيل، وأداة للتسجيل، ومساعدا آليا للتفكير؛ فاللغة هنا أداة ترسم للفرد طريقا، وتحدد له سلوكا في تعامله مع الغير ![711].

ويكاد يجمع علماء اللغة حديثا على أن الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير والإبلاغ أو التوصيل للأفكار، يقول أندري مارتيني: " الوظيفة الرئيسة للأداة التي تمثلها اللغة هي وظيفة الإبلاغ، واللغة الفرنسية مثلا هي قبل كل شيء تلك الأداة التي تسمح للناطقين بالفرنسية أن يقيموا العلاقات فيما بينهم، وسوف

[710]– الإتقان في علوم القرآن: السيوطي: 3/ 93 . ينظر البدائع في علوم القرآن : ابن القيم الجوزيه . تحقيق . سري السيد محمد . ص 406.

[711]– الدلالة السياسية عند اللغويين: د. عواطف كنوش المصطفى. ص 18.

نرى كيف أن كل لغة تتغير على مر الزمن كي تستجيب لمتطلبات الإبلاغ داخل المجموعة البشرية الناطقة بها بأشد ما يمكن من الاقتصاد "[712].

إن اللغة هي الأداة الأكثر فعالية في تمكين الفرد الدخول في علاقات وتفاعلات اجتماعية مختلفة، ويحددها " دي سوسير " من خلال التقابل بين الاجتماعي والفردي (العادات اللسانية التي تتيح التواصل بين أفراد الجماعة) ومن خلال التقابل بين الذاكرة والإبداع (مخزون في الذاكرة يتصرف فيها الفرد حسب ذاكرته) والتقابل بين الشفرة والاستعمال (الشفرة المشتركة بين الجميع ينطق بها الإنسان بواسطة الكلام على أدوات مختلفة)[713].

واللغة نشاط إنساني يتطور بالممارسة وفق الأنماط المتاحة، وحسب المقامات ومقتضيات الأحوال، وهي تؤثر بطريقة طردية في عملية الاتصال والإبلاغ من خلال عاداتها طرائق أساليبها في الكلام، وبذلك تصبح اللغة جزءا من تلك العملية، وهي العملية التي يتفاعل فيها المرسل والمستقبل من خلال مضامين اجتماعية معينة يتم فيها نقل الأفكار والأحاسيس والتخيلات وغيرها.

نظرية التواصل عند دي سوسير:

إن فكرة التواصل عند " دي سوسير " تتجلى في تلك التصورات التي عالجها في أصولها البيولوجية والفيزيائية ؛ لّما جعل نقطة انطلاق الدارة في دماغ أحد المتحاورين؛ حيث تترابط وقائع الضمير المسماة تصورات (Concepts)

---

[712]– مبادئ اللسانيات العامة: أندري مارتيني. ص 13.

[713]– ينظر: دروس في اللسانيات التطبيقية: د. صالح بلعيد. ص 182.

مـــع تمثـــيلات العلامـــات اللســـانية، أو الصـــور الســـمعية (Images acoustiques) في التعبير عنها[714].

ونقطة بدء الدارة هي في أحدهما؛ حيث توجد أحداث التفكير التي نطلق عليها (أفكارا)، مختلفة بغيرها من العلامات اللغوية والصور الصوتية المستخدمة في الكلام.

وهنا يصف دي سوسير كيفية التداخل الواقعي بين المجال النفسي للطرق البات (L'émetteur) مع جانبه الفيزيولوجي في المراكز الدماغية المســؤولة عن إرصاد وتوجيه عملية التخاطب اللفظي؛ حيث أن تصور ما نشير في الدماغ صورة سمعية مماثلة، وهذه ظاهرة نفسية كليا تتبعها بدورها آليـــة فيزيولوجيـــة، فالدماغ ينتقل إلى أعضاء النطق ذبذبة ملازمة للصـــورة، ثم تنتشـــر الموجـــات الصوتية من فم المتحدث (أ) إلى أذن المتحدث (ب)، وهذه آلة فيزيائية بشـــكل صرف، ثم تستمر الدارة حتى

المستمع (ب) في اتجاه معاكس، وهو نقل فيزيولوجي للصـــورة الصـــوتية، وفي داخل الدماغ يحدث تداع نفسي لهذه الصورة مع الفكرة المقابلة، فـــإذا تكلـــم (ب) بدورة فإن هذا العمل الجديد سوف يتتابع من دماغه إلى دماغ (أ)، وهي نفس الرحلة الأولى، وسوف يمر بنفس المراحل المتابعة.

[714]– محاضرات في الأسنة العامة: فرد دي سوسير. ترجمة: يوسف غازي ومجيد النصر. المؤسسة الجزائرية للطباعـــة. الجزائـــر 1986: ص23.

Cours de Linguistique générale : F de Saussure. P 26.

ولتوضيح هذه الدارة الكلامية التي رسم لها " دي سوسير " مخططا نظريا في تحليله لظاهرة التواصل والتخاطب، أو ما أطلق عليه اسم " التحاور ". وإليكم الرسم التالي[715]:

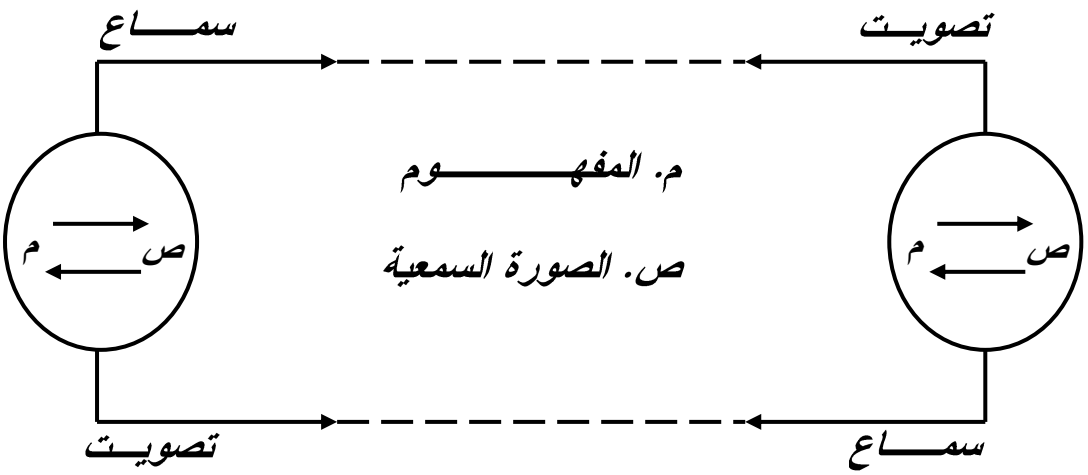

إن الملاحظة الأولية للمخطط هي ظاهرة الانغلاق، وإن كانت خصيصة لغوية لها علاقة خالصة بالظاهرة اللغوية، فإنه في حدود الإمكان استثمار هذه الخصيصة في عملية التخاطب؛ حيث يعتبر الكلام دعما فرديا دائما، وللفرد طغيان دائم عليه[716].

وهذه الدارة الكلامية التي قدمها دي سوسير تنقسم إلى:

(أ) جزء خارجي في صورة (ذبذبات الأصوات الذاهبة من الفم إلى الأذن)، وجزء داخلي يشمل كل ما تبقى.

---

[715]- Cours de Linguistique générale: P 27.

[716]- المرجع نفسه: ص 28، ينظر: اللغة والتواصل: د. عبد الجليل مرتاض، دار هومة 2000، الجزائر: ص 38 وما بعدها.

(ب) جزء نفسي، وجزء غير نفسي، وهذا الثاني شامل أيضا للأحداث الفيزيولوجية التي تصدر عن الأعضاء، ويضم الأحداث المادية الخارجة عن الفرد.
(جـــ) جزء إيجابي، وجزء سلبي؛ فكل ما يصدر عن مركز التداعي من أحد الفردين إلى أذن الفرد الآخر هو إيجابي، وكل ما يصدر عن الأذن إلى مركز تداعيه هو سلبي[717].

وأخيرا في الجزء الفيزيائي المادي الموجود في الدماغ يمكن أن نطلق وصف (المتكلم) على كل ما هو إيجابي (مفهوم ⟵ صورة صوتية)، ونطلق وصف (المستقبل) على كل ما هو سلبي (صورة صوتية ⟵ مفهوم).

ويجب أن نضيف ملكة الترابط والتنسيق التي لا تظهر إلا إذا اختفت العلامات المفردة، وهذه الملكة هي التي تقوم بأكبر دور في تنظيم اللغة من حيث هو نظام[718].

إن محوري الاستقبال والإرسال تشكلها القدرة على الاستقبال والتنســـيق معا للرموز اللغوية وهي ملكة وقدرة يستحيل بدورها أن تتشكل ما لم يكـــن الطرفان المتخاطبان على لباقة متماثلة أو متقاربة في استخدام هذه الأنســـاق في التعبير عن فكرهما الشخصي، وكذلك توفر الآلية النفسية القادرة علـــى إدراك وفهم وتفكيك الوحدات الصوتية الوافدة إلى المراكز البيولوجية الناشرة والقارئة لها، والقدرة

[717]- Cours de Linguistique générale: P 28.

[718]- المرجع نفسه: ص 28.

الفيزيائية التي يستخدمها لربط الطرف الثاني لجهازه التواصلي بحيث يعيد إرسال تصور جديد عبر صورة سمعية، فيتحقق التواصل في ظروف وشروط ملائمة[719].

وانطلاقا من الدارة الكلامية عند " سوسير " يمكن أن نستخلص مجموعة من العناصر الجوهرية التي بني عليها " جاكبسون " دارته التواصلية فيما بعد، وأهم هذه العناصر هما طرفا التخاطب، أو التواصل، أو التجاور؛ أي المرسل والمرسل إليه، أو بعبارة سوسير: (المتكلم والمستقبل، وكذلك القدرة أو السنن (Code)، والعنصر التابع الرسالة أم الصورة السمعية الموجهة من التجاور (أ) إلى السامع (ب)[720].

وإذا كان المتكلم أو المرسل وكذا المستقبل أو المرسل إليه، أساسيين في أي خطاب أو تواصل، ويتفق الكل على ضرورة تصدرهما مجموع العوامل المكونة لدارة التواصل ، فإن الذوات التي تقدم بواسطتها التفسيرات وإن اختلفت من وضع خطابي إلى آخر – تبقى موضوع الخطاب أو مرجعه الذي ينطلق منه، ويدور حوله، ويعود إليه؛ لأنه يشكل في النهاية انطولوجيا الخطاب[721].

التواصل اللغوي عند جاكبسون :

إن الخلفية اللسانية التي وجهت أعمال جاكبسون هي النموذج السوسيري في مفهوم العملية التواصلية اللسانية، وقد حاول إخراج اللسانيات من مأزق القصور على المنظومة اللغوية المعتمدة على جملة من العلامات والرموز، فأرسى القواعد

---

[719]– المرجع نفسه: ص 29.

[720]– التواصل اللساني والشعرية: د. الطاهر بومربز، الدار العربية للعلوم، ط1، بيروت لبنان 2007: ص 19.

[721]– التواصل اللساني والشعرية: ص 21.

والأسس المنهجية لدراسة وظيفة الخطاب، معتمدا في ذلك التقابل بين محـــوري الترابط والاستبدال[722].

لقد توصل جاكبسون إلى وضع العناصر الأساسية لعملية التواصل اللساني وهي مهمة في الوضع التخاطبي بمختلف مستوياته ومميزاته، لتبلغ بـــذلك ســـتة عوامل وهي: المُرْسِل، والرسالة، والمُرسَل إليه، والقانون والمرجع، والقناة.

1- المرسل (Destinateur):

وهو مصدر والخطاب المنتج والمقدم؛ إذ يعتبر ركنـــا حيويـــا في الـــدارة التواصلية اللسانية؛ فهو الباعث الأول على إنتاج خطاب يوجه إلى المرسل إليه في شكل رسالة، وقد تداول اللسانيون هذا العامل باصطلاحات مختلفة من بينـــها: (L'émetteur)، والمخاطب أو الناقل، أو المتحدث[723].

وتختلف القيود المنطقية والمنهجية المتعلقة بالمرسل حسب وضعه التخاطبي، وطبيعة خطابه المرسل به المرسل إليه؛ فخطاب سياسي موجه إلى كل الناس لا يتحتم فيه على رجل السياسة أن يوظف كل الأنظمة اللسانية التي يكون فيهـــا المستقبلون على لياقة تداولية معتبرة؛ وأما الخطاب العادي فيختلف عنه من حيث قيوده؛ إذ يكون بسيطا في سننه وقيمته الإخبارية، ودرجة الحمولة الممكنة التي تستوعبها الأبنية اللسانية المستخدمة، بينما يتعالى الخطاب الشعري، وتزداد فيـــه

---

[722]- المرجع نفسه: ص 24.

[723]- المرجع نفسه: ص 24.

التملصات والإنزياحات عن عالم الواقع أو الإطار المرجعي للنظام اللغوي المستعمل[724].

2- المرسل إليه:

وهو يقابل المرسل في الدارة التواصلية أثناء التخاطب، وقد أطلق عليه مجازا المصطلح الفيزيائي: المستقبل (Le récepteur)، وهو يستهدف من عملية النقل الاتصالية تفكيك الرسالة الكلامية (Décodage)؛ سواء كانت كلمة، جملة، أم نصا[725].

وقد ميز العالم أوريكيومي (K. orechiomi) بين صنفين من مستقبلي الرسالة الكلامية وهما: المرسل إليه مباشرة (destinataire direct)، والمرسل إليه غير المباشر (de st. indirect) فالمقارنة من خلال عنصر هام في العملية التواصلية وهو المسافة أو البعد وهذا التحليل الوظيفي يفضي إلى تحديد المسافة ببعديها الزماني والمكاني، واللذان تتحدد من خلالهما طبيعة ومميزاته فخطاب حواري بين صحفي، ومستضاف لديه يتطلب التواصل المباشر زمانا أو مكانا على الأقل، بينما يبقى العمل الإبداعي الفني خطابا متميزا بالكفاءة العالية في تحويل المتلقي له إلى مستقبل لخطابه مهما اختلف المرسل والمرسل إليه في الفضاء الزمكاني؛ لأنه في معظم الحالات خطاب غير مباشر لمتلقي غير مباشر[726].

---

[724]- المرجع نفسه: ص 25.

[725]- المرجع نفسه: ص 25. دروس في اللسانيات التطبيقية: د. صالح بلعيد، ص 45.

[726]- المرجع السابق: ص 25.

3- الرسالة:

وهي مضمون وموضوع الخطاب في عملية التواصل اللغوي، ومن خلالها نبث أفكارنا ومشاعرنا الانفعالية، ويجب أن تكون ملائمة للمرجع وللمخاطب المستقبل ،

وتكون مقبولة من طرف هذا الأخير، فلا يمكن أن تحدث عملية تواصل إلا بوجود سجل معرفي وقيمي له مضامين ودلالات متعارف عليها بين طرفي الخطـــاب ؛ لأن

التواصل لا يكون نافذا إلا إذا استطاع المتلقي تفكيك الرسالة، مما يؤدي إلى ترك تأثير يعبر عنه من خلال رفع الصدى[727].

وقد وردت في قاموس اللسانيات بمعناها العام أنها وحدة الإشارات المتعلقة بقواعد تركيبات محدودة (مضبوطة) يبعثها جهاز البث (الإرســـال) إلى جهـــاز الاستقبال عن طريق قناة حيث تستعمل كوسيلة مادية للاتصال[728].

بينما يتكلم جاكبسون على التواصل اللساني عندما يوضح أن عملية فك الرموز تنتقل من الصوت إلى المعنى؛ أي أن عملية التحليل والتركيـــب للأبنيـــة المجسمة في رموز دلالية معينة مقننة اجتماعيا تنتقـــل إلى المـــدلول بشـــكل آلي باعتباره أن العلامات اللغوية تتألف من عنصرين هامين لا ينفصل أحدهما عـــن (الدوال) إلى تفكيك وإدراك الجانب التصوري لها (المداليل).

---

[727]- دروس في اللسانيات التطبيقية: ص 46. اللغة والتواصل: ص 41.

[728] - Cours Moumin: Dictionnaire de la Linguistique, P 314, presse universitaire. France 1974.

وانطلاقا من هذا العصر المقيد لمفهوم الرسالة اصطلح الدكتور عبد السلام المسدي باسم الخطاب الأصغر على الرسالة أو النص التي تمثل في نهايـــة الأمـــر محتوى الإرسال[729].

4- القانون (code):

لقد تعددت مصطلحات اللسانيات فيما يخص هذا العامل أو العنصر في عملية الدارة التواصلية; ودي سوسير استعمل مصطلح اللغة، و هلمسيلف استخدم مصطلح النظام (système)،و أما تشو مسكي فقد استعمل مصطلح الكفـــاءة : و القدرة
(compétence) بينما استعمل جاكسون مصطلح القانون: و السنن (code). و هو يمثل القواعد المنظمة للقيم الإخبارية و الهزم التسلسلي الذي ينتظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل و المرسل إليه كل نمط تركيبي فمنه ينطلق البات عندما يرسل رسالته الخطابية حيث يعمل على الترميز (codage)، و إليه يعود كذلك عندما يستقبل رسالة ما فيفكك رموزها بحثا عن القيمة الإخبارية التي شحنت بها (décodage)[730].

و نجاح العملية الإبلاغية في وضع تخاطبي ما يعتمد في الأساس على نظام أو القانون(المشترك; بحيث نجد لكل جماعة لغوية، و لكل متكلم لغة مشـــتركة موحدة، إلا أن هذا السنن أو القانون الشمولي يمثل نسقا من الأنواع النســـقية

---

[729] – ينظر: الأسلوبية و الأسلوب: د. عبد السلام المسدي. ص98.

[730] – ينظر التواصل اللساني و الشعرية: ص28.

الفرعية في التواصل المتبادل، فكل لغة تشمل العديد من الأنساق المتزامنة التي يتميز كل نسق منها بوظيفة مختلفة.[731]

و بهذا يكون جاكسون قد اهتم اهتماما بالغا بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين، تدل الاهتمام فقط بسلوكهم اللفظي[*].

و هذه هي النقطة المشتركة بين تشو مسكي و بين جاكسون: حيث اعتبر كل واحد منهما الأنظمة الذهنية عنصرا أساسيا في النشاط اللساني عند الأفراد و الجماعات اللسانية; لأنها المرجع الذي يلجأ إليه كل سلوك لفظي سليم من اللحن و الخطأ.[732]

4-السياق (contexte):

نلاحظ أن عملية التواصل اللغوي تقوم مجموعة من العوامل الحركية الديناميت، و التي تؤدي إلى التفاعل فيما بينها و ذلك من جلال الزمان و المكان، و الظروف و الملابسات، و أحوال المتكلمين و المستمعين، و تحدث هذه العملية متضافرة مع هذه العوامل داخل مجال واسع يدعني أحيانا بالبينة التعليمية، و تستعمل هذه العملية لأغراض منها: الأخبار، أو التعبير عن العواطف و المشاعر، أو التأثير في الآخرين، أو الاستجابة لتوقعات الآخرين، أو التخيل.[733]

و انطلاقا من هذا المفهوم لكل رسالة مرجع تخيل عليه، و سياق معين مضبوط قيلت فيه، و لا تفهم مكونات هذه الرسالة أو تفكك رموزها القوا عدية إلا بالإجابة على الملابسات التي أنجزت فيها، قضت إدراك القيمة الإخبارية

---

[731] – قضايا الشعرية: رومان جاكسون .ص26: نقلا عن: المرجع السابق: ص28.

[*] – ينظر اللسانيات و اللغة العربية: د. عبد القادر القاسي الفهري. دار توبقال. الدار البيضاء ط1. المغرب، 1985: ص65.

[732] – المرجع نفسه : ص30.

[733] – ينظر: دروس في اللسانيات التطبيقية : ص46.

للخطاب، و لهذا ألح جاكسون على السياق باعتباره العامل المفعل للرسالة بما يمد هابه من ظروف و ملابسات توضيحية، و يصطلح عليه أيضا بالمرجع (référérent).[734]

و السياق لا يجوز حصره في التمظهر أللفضي، كي تفهم الرسالة، حسب جاكسون، و لهذا دعا اللساني الفرنسي "مانجينو" (mamgueneau) إلى التمييز بين السياق اللغوي ، و السياق غير اللغوي.[735]

إن السياق لا يجوز غير اللغوي يمثل المحيط الذي تنتج فيه الرسالة ، و تتشكل فيه أبنية الخطاب اللفظي ، و يمكن أن يدخل ضمن هذا السياق عنصري الموقع و الهدف.

و نعني بالموقع (site) الإطار الزمكاني (le cadre spatio-temporel) ؛ إذ يجب أن يكون الخطاب المرسَل ضمن حيز مكاني و لحظة زمانية. أما عنصر الهدف (le but) فنعني به الغاية و الغرض المقصود من عملية التواصل ، و هنا نومئ إلى أن من الأهمية بمكان أن نميز بين الهدف الكلي العام للتدخلات الكلامية و الهدف الخاص الأكثر دقة و تحديدا المواقف الأفعال الكلامية المتباينة المنجزة أثناء اللقاء أو الالتقاء بين المرسل و المرسل أليه; فالمحادثات التي تؤدي ذات طبيعة علائقية أكثر منها واقعية; لأننا نتكلم لأجل الكلام و لضمان حماية الوشيجة الاجتماعية.

---

[734] – التواصل اللغوي و الشعرية: ص30.

[735] – المرجع نفسه: ص30.

كما لا ننشئ عنصر المشـــاركين في عمليـــة التواصـــل اللغـــوي (les participants) وذلك من حيث العدد و المميـــزات و درجـــة علاقتـــهم بأطراف الخطاب.[736]

6- القناة (canal):

كل رسالة تتطلب قناة اتصالية، و هي إما فيزيائية و إما فيزيولوجية بـــين المرسل و المرسل إليه، و ذلك لإقامة الاتصال و الحفاظ عليه، لغرض التأكد من سلامة القناة التي تمر عبرها الرسالة المتبادلة بـــين طـــرفي الخطـــاب أو محتـــوى التواصل.[737]

ثم إن هذه العوامل الستة لعملية الاتصال اللغوي عند جاكسون يمكن أن نوجزها من خلال المخطط الجاكبسوني التالي:

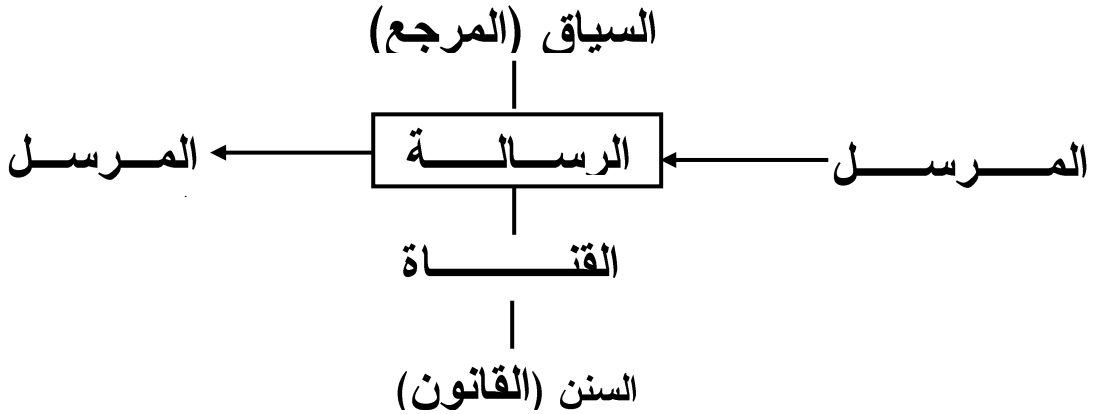

[736] – المرجع نفسه: 31

[737] – التوصل اللغوي و الشعرية: ص33.

و لِلُّغة هدفان من عملية التواصل وهما : الهدف التـــأثيري الانفعـــالي ، و الهدف العلمي، و في دائـــرة هذين الهدفين نلفـــي الشعـــــراء و الأدبـــــاء و الكتاب و المفكرين و الإعلاميين يحاولون التركيز على محوريهما.[738]

و انطلاقا من التفسير الوظيفي للعملية التواصلية. و علاوة على هدفي اللغة السالفي الذكر- فإنه من الأهمية بمكان التركيز أيضا في منتجات هذه العمليـــة على مستويات التعبير الأسلوبية كالإقناع، و الإعلان، و الطرح، و المتعة الفنية و يقول هرمان بول: "أن الوظيفة الأساسية للغة أن تكون أولا و قبل كل شـــيء وسيلة لنقل العواطف و المعلومات، أو سواها من الأمور".[739]

الوظائف اللغوية في عملية التواصل:

كل خطاب أو تواصل إنما تدور رحاه في هذه المدارات الستة، و ذلـــك مهما كان نوعه، أو طبيعة الخطابات، و جنسها إنما يكون في تركيزها على أحد هذه العوامل الستة أكثر من سواه، و بذلك تختلف و وظيفـــة الخطـــاب مـــن إخبارية، أو انفعالية، أو مرجعيه، أو انتباهية
، أو شعرية.[740]

و إنه من الأهمية بمكان أن نشير إلى هذه الوظائف الستة مع شـــيء مـــن التفصيل، و ذلك لقيمة هذه النظرية العلمية في الدراسات اللسانية و الشعرية، و

---

[738] – الأسلوبية : د.عبد القادر عبد الجليل. دار صفاء. ط1 2002. عمان الأردن: ص209.

[739] – المرجع نفسه: ص210.

[740] – ينظر: الأسلوبية و الأسلوب : عبد السلام المسدي. ص154. اللسانيات و تطبيقاتها على الخطاب السنوي: دار العلوم، عنابة. 2006: ص18.

لوجود هذا التكامل بين عناصر الخطاب ووظائفها، و تعاون هذا الكـــل علـــى الإبلاغ و الإفهام.

1- الوظيفة التعبيرية (la fonction expressive):

و يصطلح عليها أيضا بالوظيفة الانفعالية (Emotive)، و هي تتمطـــى على سطح الخطاب عندما تركز على المرسل: لأنها تهدف إلى أن تعـــبر بصـــفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه، و هي تترع إلى تقديم انطباع و انفعال معين صادف أو كاذب.[741]

و يمكن أن نقول أيضا إن الوظيفة الانفعالية بتركيزها على المرسل تترع إلى التعبير عن عواطف المرسل و موافقة إزاء الموضوع الذي يعبر عنه، و يتجلى ذلك في

طريقة النطق مثلا أو في أدوات تعبيرية تفيد الانفعال كالتأوه أو التعجـــب، أو دعواي الثلب، أو صيحات الاستخار أو غيرها.[742]

و هناك من يصطلح عليها بالوظيفة الندائية (conative) وتحصل عندما يكون الهدف من الاتصال التأثير على المتلقي، و أيضا سميت بوظيفة التروع.[743]

---

[741] – قضايا الشعرية: رومان جاكبسون . ص29. نقلا عن: التواصل أللغواني: ص35.

[742] – ينظر: الأسلوبية و الأسلوب : ص158.

[743] – ينظر اللسانيات: النشأة و تطورات. أحمد مومن. ص148، اللغة و التواصل: د.عبد الجليل مرتاض. ص88.

و تتجلى وظيفة الموافق الانفعالية في ضبط الخصائص التعبيرية و الأسلوبية التي لامناص من أن تكون منسجمة مع طبيعة الرسالة المنجزة حسب وضع خطابي معين.

- كما لا ننسى أن نذكر التشكيل الصوتي المنسجم مع إيقاع الموافق الانفعالية لهذه الإنجازات المختلفة، و حينما يحضر هذا التشكيل الإيقاعي الانفعالي على مستوى عنصر المرسل تهيمن هذه الوظيفة التعبيرية أو أقل الانفعالية على عملية التواصل أو الخطاب، و يأخذ بذلك مرسل هذه الخطاب المكانة المركزية في النص و تعبيره عن أفكاره و مشاعره الخاصة، و تتجلى هذه الوظيفة مثلا في أدب السيرة الذاتية(Auto biographie)أو الشعر الغزلي أو شعر الرثاء.[744]

2- الوظيفة الإفهامية (la Fonction cognitive) :

و يعرفها بعض علماء اللسانيات بمصطلح الوظيفة التأثيرية(la fonction impressive)، و هو مصطلح مهم يمكن من خلاله أن نعمق تفسير جانب الافهامية لهذه الوظيفة; ذلك أن من سماها بالوظيفة الإلهامية نظر إليها من زاوية

[744] - ينظر: التواصل اللساني و الشعرية: ص38

النظرية العقلية الفكرية، و أما من سماها بالوظيفة التأثيرية فقد إليها من زاوية النظرية النفسية التي تحمل المدلول العاطفي.[745]

و هذه الوظيفة تبرز على سطح الخطاب عندما تركز الرسالة على المرسل إليه ذاته، و نجد ملامح هذه الوظيفة إلافهامية في التعابير الأكثر خلوصا في النداء و الأمر اللذين ينحرفان، من وجهة نظر تركيبية و صرفية و حتى فونولوجية في الغالب، على المقولات الاسمية والفعلية الأخرى، و تختلف جمل الأمر عن الجمل الخبرية في نقطة أساسية; إذ الجمل الخبرية يمكنها أن تخضع لاختبار الصدق أو عدمه، و لا يمكن لجمل الأمر أن تخضع لذلك.[746]

و نجد هذه الوظيفة تهيمن، و تفرض كثافة حضورها مثلا في الأدب الملتزم،و الروايات العاطفية; لأن هذين الجنسين الأدبيين يعتمدان على مخاطبة الآخر، و محاولة التأثير فيه و إقناعه من خلال عناصر هذين الأخيرين; مثل عنصر المفاجأة و هو تولد غير المنتظر من المنتظر، و كذا عنصر الشبع و هو يمثل العملية التكرارية لخاصية معينة; تتناسب بشكل عكسي مع روعة و جمال الخطاب; فالمفاجأة تهتز لها النفس بفضل شحنتها التأثيرية العالية لكونها غير منتظرة، و أما الشحنات المتكررة بشكل متواتر تحدث تشبعا في نفس المستقبل.

---

[745] – المرجع نفسه: ص39.

[746] – قضايا الشعرية : ص29.

و فضلا عن عنصري المفاجأة و التشبع، فهناك عنصرا أن آخران لا يقلان أهمية عنهما في الوظيفة إلافهامية ، و هما عنصر الإقناع والمتعة الفنية أو الإقناع; فالأول يرمي إلى سحب المتلقي نحو أفكار و قناعات المنتج للخطاب أي المرسل، بينما يهدف

الآخر إلى إدخال المتعة و النشوة في نفس المتلقي; فينطفئ حينئذ أو يتلاشى تدريجيا الجدول النطقي العقلاني في الخطاب، و تحل محله نفثات الارتياح و الانتشاء الوجداني العاطفي.[747]

3- الوظيفة الإنتباهية (la fonction phatique):

و مصطلح الانتباهية هو حسب جاكسبون في كتابة: قضايا الشعرية، من اقتراح و اصطلاح ما لينو فسكي في كتابه: قضية المعنى في اللغة البدائيـــة.[748] و هناك من نسميها وظيفة، إقامة الاتصال،[*] و هي متعلقة بالقناة.

وهذه الوظيفة تبرز على سطح الخطاب حينما يكون هناك أنماط لغوية تقوم بأدوار خارجية عن نطاق الخطاب إلا بلاغي لتزويد المتلقي بقيم إخبارية، كما تؤدي وظيفة المحافظة على سلامة جهاز الاتصال، و التأكد من استمرار سلسلة الرسائل الموجهة إليه على وجه الذي أرسلت به، و هذا ما ذهب إليه جاكبسون عندما أقر بأن هناك رسائل توظف في الجوهر; لإقامة التواصل و تمديده أو خصمه، و توظف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشغيل مثل: ألو! هل تسمعني!؟ ، و توظف لإثارة

---

[747] – ينظر: التواصل اللساني: ص 41.40.39

[748] – قضايا الشعرية: ص30. نقلا: التواصل اللساني و الشعرية: ص43.

[*] –ينظر: اللغة و التواصل: ص 88، معجم اللسانية: د. بسام بركة، منشورات جروس – برس، ط1، 1985 بيروت: ص 88.

انتباه المخاطب أو التأكد من أن انتباهه لم يرتخ مثل: قل تسمعني، أتفهمني!؟...و هنا نسحب العملية التواصلية قليلا من دائرة الرسالة للتأكد من ممرها[749].

4- الوظيفة المرجعية(la fonction référentielle):

وردت لهذه الوظيفة مصطلحات أخرى، من بينها الوظيفة المعرفية(cognitive)، و أيضا الوظيفة الإيحائية (Démotive)،و كذلك الوظيفة الإخبارية.

إذا كان الاتصال يستهدف المرجع ذاته ، فنحن بصدد الحديث عن هذه الوظيفة المرجعية الإخبارية[750].

و هذه المصطلحات كلها تشترك في كونها تومئ إلى الوظيفة المهيمنة عند ما تتجه الرسالة إلى السياق أو المرجع، و تركز عليه.

و تتلون هذه الرسالة بهذه الوظيفة عندما يكون محتواها مؤيدا للأخبار الواردة فيها باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء و موجودات نتحدث عنها و تقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك المجودات و الأحداث المبلغة.[751]

5- الوظيفة ألما وراء اللغة(la fonction métallin guis tique):

وهذه الوظيفة تبرز أحيانا بين المتخاطبين على سطح الخطاب عندما تستدعي الحاجة التأكد من الاستعمال السليم للقانون و السنن ؛ إذ يكون

---

[749] – ينظر التواصل اللساني: ص43. اللسانيات: النشأة و التطور: أحمد مومن. ص 149.

[750] – الأسلوبية والأسلوب: ص 159، اللغة والتواصل: ص 88.

[751] – الأسلوبية و الأسلوب: ص159.

الخطاب مركزا على السنن ؛ لأنه يشغل وظيفة الشرح و التفسير . فيتساءل المستمع أحيانا : إنني لا أفهمك، ما الذي تريد قوله!؟ أو بأسلوب رفيع: ما تقوله؟.[752] و النطق الحديث يميز بين مستويين من كلام ؛ هما الكلام عن الأشياء ، و الكلام عن الكلام أو ما يسمى "ميتالغة"(métalangue).[753]

وهذا النوع من الخطابات التي تتمظهر من خلالها وظيفة ما وراء اللغة يتعلق بالرصيد اللغوي الذي يتوفر عليه كلا المتخاطبين من الناحية التركيبية، و الصرفية، و الدلالية ، ومن ثم يصبح حقل الرسائل الميتا لسانية يتربع على كل الأفنان اللغوية و فروعها.

و انطلاقا من المفاهيم المتدرجة من المجرد إلى الملموس ومن المفهوم إلى الإجراء نحصل على صنفين من المفاهيم و هي :

أ – المفاهيم المادية أو المستوى المعجمي.

ب – المفاهيم العلائقية أو المستوى النحوي للغة.

وتكثر هذه الأنماط الخطابية التي تهيمن عليها الوظيفة الميتا لسانية (ألما وراء لغوية)، عندما تكون الرسالة في وضع خطابي تلقيني أو تعلمني، وخاصة اكتساب الطفل للغة الأم. وهذا يعني أن القدرة التي يكتسبها الطفل هي التي تجعله قادرا على استعمال السنن، ولو عن غير وعي وإدراك منه، بطريقة سليمة وصحيحة، أو على الأقل قابلة لأن تكون مفهومة من قبل المتلقي[754].

والدليل القطعي عند جاكبسون، على أن العمليات الميتا لسانية هي التي تتحكم في كل العمليات الإنتاجية للنماذج الملموسة المشكلة لخطاب ما، هو أن

---

[752]- قضايا الشعرية: جاكبسون.ص31.

[753] – التواصل اللساني: ص47.

[754]– قضايا الشعري: جاكبسون، ص 31، نقلا عن التواصل اللساني، ص 51.

الفرد عندما يصاب بالحبسة (L'aphasie) يصبح عاجزا على إنتاج مثل هذه الخطابات؛ لأنه

افتقد تلك القدرة الموجهة في شكل عمليات ذهنية مجردة، وتوصف الحبسة بأنها افتقاد القدرة على العمليات الميتا لسانية، أو بعبارة أدق، هي فقدان القدرة على عمليات الاختيار والتركيب، أو ما يعرف بالانتقاء والتأليف[755].

وترتبط مكونات أية رسالة ارتباطا ضروريا بالسنن أو الشفرة عن طريق علاقة داخلية، وبالرسالة عن طريق علاقة خارجية، وتهتم اللغة في مظاهرها المتنوعة بكلا نمطي هذه العلاقة. سواء أتم تبادل الرسائل أو استمر الاتصال باتجاه واحد من المرسل إلى المتلقي، فلا بد من وجود نوع من المجاورة بين المشتركين في أي حدث كلامي لضمان نقل الرسالة. أما الفاصل في المكان، وفي الزمان ففي الغالب بين الأفراد، المرسل والمتلقي، فيتم ردمه عن طريق علاقة داخلية (ما وراء اللغة)؛ إذ لابد من وجود تسام معين بين الرموز التي يستعملها المرسل والرموز المعروفة والمؤولة لدى المتلقي (فونيمات، كلمات، جمل...)، وهي منتقاة من مستودع جميع الأجزاء الممكنة المكونة (الشفرة). ومن دون هذا التساوي تكون الرسالة مقطوعة خالية من الدلالة، وحتى إن وصلت إلى المتلقي فإنها لا تؤثر فيه[756].

6- الوظيفة الشعرية (La Fonction poétique) :

---

[755]- المصدر نفسه، ص 31، وينظر: أساسيات اللغة، رومان جاكبسون وموريس هاله.
ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت 2008، ص 114.

[756]- أساسيات اللغة: جاكبسون وموريس، ص 115، 116.

هناك من يصطلح عليها بالوظيفة الاستثنائية[757]، والغرض من هذه الوظيفة هو تطوير شكل الرسالة بذاتها، وهي أكثر ما تظهر على سطح الخطاب في الأنماط الأدبية الجمالية وعلى رأسها الشعر، لذا نسبب إليه فسميت بالوظيفة الشعرية.

ونلمح تعريف الشعرية عند جاكبسون عند جعلها علما قائما بذاته ، ضمن فروع اللسانيات ؛ وحددها بوصفها الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عموما وفي الشعر على وجه الخصوص[758].

فكل رسالة لفظيـــة عند جاكبسون تكـــون بهذه الوظيفة ولا تكاد تغيب عن أيـــة رسالة ، لكنـــها ليست الوظيفـــة الوحيـــدة في مجـــال فـــن القول ، وإنما هي الوظيفـــة الغالبـــة فيه[759].

[757]- ينظر: اللسانيات: النشأة والتطور، ص 149.

[758]- قضايا الشعرية، ص 31.

[759]- التواصل اللساني، ص 52.

للقرآن وجه اجتماعي من حيث تأثيره في العقل الإنساني، وهو معجزة التاريخ العربي خاصة، تم بآثاره النامية معجزة أصلية في تاريخ العلم كله على بسط هذه الأرض، من لدن ظهر الإسلام إلى ماشاء الله، لا يذهب بحقها اليوم أنها لم تكن قبل إلا سببا، فإن في الحق من يسع الأشياء و أنسابها جميعا[760].

لقد فتح القرآن الكريم اللغة العربية أبوابا كثيرة من فنون القول و أساليب الكلام: إذ عولجت بها أمور كثيرة لم تكن للعربية بها عهد من قبل و ذلك مثل موضوعات القوانين و التشريع و القصص و التاريخ و العقائد و الجدل وعلم الاجتماع و القضاء و المعاملات وهلم جرا.

وقد نجم عن هذا الاتساع للغة العربية في ضروب الكلام و فنون القول اتساع و ارتفاع أيضا مناجي المعاني و الأخلية و أساليب البلاغة، التي تقوي و تجلي المعاني في أبهى صورها، كما استخدمت فيها الحجج التقيلة و البراهين العلمية، ودخلت فيها عناصر جديدة للخيال و التشبيه و تهذبت أساليبها[761].

من خلال دراستنا للأمثال القرآنية، و ماتطرقنا إليه من موضوعات هامة خاطبت البشرية جمعاء في كل العصور و التي لا يحدها زمان ولا مكان، فهي لا

---

[760] إعجاز القرآن و البلاغة النبوية: الرافعي: ص 114.

[761] ينظر، فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي: ص94.

يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، لأنها من تنزيل رب العالمين يعلم احتياجات البشر، و الأمثال القرآنية رسم لطريق النجاة ، بما ساقت من قيم و دعت إليه من أوامر و تكاليف.

من هذا المنطلق اشرأبّت النفس إلى إيجاد علاقة ترابط بين الأمثال القرآنية والأمثال العربية الفصيحة و العامية ؛ لتوضيح مدى تأثير الخطاب القرآني في التواصل العـــام .

و أسلوب الاقتباس ماهو إلا مظهر من مظاهر هذا التأثير سنتطرق إليه لأنه متعلق بالقرآن الكريم، قد يضمن المتكلم من كتاب الله عز وجل، وهذا ما يحدث' في الأمثال: أما المتضمن فهو إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم[762]. وهذا مالا يحدث في المثل الذي خاصيته الإيجاز و لا يحتاج إلى تأكيد لأنه يصف السلوك الإنساني وهو الصف بالواقع*.

أما التوليد : فهو على ضربين من الألفاظ و الماعني، فالذي من الألفاظ ليس فيه شيء من المحاسن، و هو إلى السرقات أقرب لأنه عبارة عن حسن ألفاظ تعجب الناظم من سعر غيره فيسلبها و يضمنها معنى غير معناها الأول في شعره.

---

[762] الإتقان: 243/3.

* أنظر ص:

* كقول أمرئ القيس:

وقد أغتدي و الطير في وكناتها*****بمجرد قيد الأوابد هيكل

فاستبد أبو تمام(قيد الأوابد) فنقلها إلى الغزل فقال:

لها منظر قيد الأوابد لم يترل****يروح ويغدو في خفارنة الحب

و التوليد من المعاني هو من المحاسن ، وذلك أن الشاعر ينظر إلى معنى من معاني من تقدمه ، ويكون محتاجا إلى استعماله في بيت من قصيدة له ، فيورده ويولد منه معنى آخر[763]. وبهذا فالقرآن يَجِلُّ عن ذلك ، ولا يولد من معناه معنى آخر وقد تقدّم ذكر ذلك في خاصية الإيجاز.

الاقتبـــــاس في المثل الفصيح و العامِّي

لغـــة : أخذ قبس ، أي شعلة من معظم النّار ، ويُقال اقتبس منه علما : استفاده[764]. ومن المجاز : قبسته علمًا وخبرًا وأقبستُه[765].

اصطلاحا ؛ هو أن يضمّن المتكلم كلامه كلمة من آية ، أو آية من آيات كتاب الله تعالى خاصة[766]، لا على أنّـــه منه ، بألاّ يقـــال فيه قال الله تعـــالى ونحوه[767]. و الاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام[768] : مقبـــول ، و مبـــاح و مردود .

---

763 خزانة الأدب و غاية الأرب: ابن حجة الحموي: 260/2.

764 – القاموس المحيط : الفيروز آبادي . مادة (قبس) . المعجم الوسيط مادة (قبس) .

2 – أساس البلاغة : الزمخشري . تحقيق عبد الرحيم محمود . دار المعرفة . بيروت . مادة (قبس) .

3 – خزانة الأدب وغاية الأرب : تأليف ابن حجة الحموي : شرح عصام شعيتو : دار ومكتبة الهلال : ط 1. بيروت . 1987. 2/ 455 . ينظر شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع : صفي الدين الحلي . تحقيـــق . د . نســـيب نشـــاوي . ديـــوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 1989. ص 326 .

4 – الإتقان : السيوطي . 1/ 296 .

5 – خزانة الأدب : ابن حجة الحموي . 2/ 455 . الإتقان : السيوطي . 297/1 .

- **فالأول** : ما كان في الخطب و المواعظ و العهود و مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - و نحو ذلك .
- **الثاني** : ما كان في الغزل و الصفات ، و القصص و الرسائل و نحوها .
- **والثالث** : على ضربين : أحدهما تضمين ما نسبه الله عزوجل إلى نفسه . ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه ، كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية من عمّاله : ﴿ **إِنَّ إِلَينَا إِيَّابَهُم ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** ﴾ ، و الآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل و نعود بالله من ذلك .

إذا كان القرآن الكريم قد اشتمل على عدد كبير من الأمثال الموجزة و المفصَّلة فإنَّه كان ذا أثر بعيد في استحداث أمثال عربية شاعت بغزارة في أحاديث المسلمين و كتاباتهم و أشعارهم بعد ظهور الإسلام ، و هذه الأمثال هي التي استوحاها العرب من بعض الآيات القرآنية ، سواء معانيها أو ألفاظها ، أومن قصص الأنبياء و غيرهم التي وردت بالقرآن[769].

ولتوضيح أثر القرآن في المثل العربي الفصيح و المثل العامِّي ، نحاول أن نبرز الاقتباس من خلال توضيح البنية العميقة التي هي النص القرآني و البنية السطحية التي هي المثل العربي الفصيح أو المثل العامِّي :

المرجع : الخطاب القرآني

[769] - الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية : عبد المجيد قطامش . ص 152.

البنية العميقة : قوله عزّ وجل : ﴿ **وَلاَ تَكُونُــوا كَالتِّي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًــا** ﴾[770] .

البنية السطحية : " أخرق من ناكثة غزلها "[771] و يقال " من ناقضة غزلها ".

وهي امرأة كانت من قريش يقال لها : أمُّ ريطة بنت كعب بن سعد بــن تيم بن مُرَّة ، وهي التي قيل فيها " خرقاء وجدت صوفا " . قــال المفسِّــرون كانت هذه المرأة تغزل و تأمر جواريها أن يغزلن ثمَّ تنقض و تأمرهنّ أن ينقضن ما فتلن و أمرن فضرب بها المثل في الخرق .

فجاءت البنية السطحية في المثل العربي بهذه العبارة التي فيها اقتباس مــن القرآن الكريم .

البنية العميقة : ﴿ **وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ** ﴾[772].

البنية السطحية : " أخسر من حمّالة الحطب "[773].

هي أيضا من قريش وهي أمّ جميل أخت أبي سفيان بن حرب وامرأة أبي لهب المقتبسة من الآية القرآنية وفيها يقول الشاعر :

جَمَعْتَ شَتّى وَ قَدْ فَرَّقْتَها جُمَلاً ** لأَنتَ أَخْسَرُ مِنْ حَمَّالَةِ الحَطَبِ

---

[770] – سورة النحل : 92 .

[771] – مجمع الأمثال : الميداني1/255 .

[772] – سورة المسد :

[773] – مجمع الأمثال : الميداني . 1/ 256 .

أي أظهر خسرانا ، وذلك أنها كانت تحمل العضاة والشوك فتطرحه في طريق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليعقره ، وقال قتادة ومجاهد والسدّي : كانت تمشي بالنّميمة بين الناس ، فتُلقي بينهم العداوة وتهيج نارها كما توقد النّار بالحطب ، وتُسمَّى النميمةُ حَطباً ، ويقال فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به ، وقال :

من البيض لم تصطد على ظهر سوءة ** ولم تمش بين القوم بالحطب الرّطب

البنية العميقـــة : ﴿ **فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ** ﴾[774].

البنية السطحية : " أشرب من الهيم "[775].

وهي الإبل العطاش ، وهو جمع أَهيَم وهَيمَاء ، من الهُيام وهو أشدُّ العطش ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : هي التي بها الهُيَام وهو داء فلا تروى .

البنية العميقـــة : ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾[776].

البنية السطحية : " أَتبُّ من أبي لهبٍ "[777].

أي: أخسر ، والتَبَابُ : الخسَار والهلاك .

البينة العميقـــة : ﴿ **لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا** ﴾[778].

---

[774]– سورة الواقعة : 55 .

[775]– مجمع الأمثال : الميداني . 389/1.

[776]– سورة المسد.

[777]– مجمع الأمثال : الميداني150/1.

البنية السطحية : " جاء يفري الفريَّ ويقُدُّ "[779].

مثل يضرب لمن يعمل العجب العجاب ، ويُضرب أيضا لمن أجاد العمل وأسرع فيه ، والفري على وزن فيعل بمعنى مفعـــول ، وفري بالكسر يفرى فرى : تحيَّر ودهش ، والفَرْيُ : القطع والشق ، وكذلك القدّ ، فقولهم : يفري الفري ؛ أي يعمل العمل يفرى فيه أي يتحيَّر من عجيب الصنعة فيه ، وعلى ذلك معنى الآية ؛ أي لقد جئت شيئا يتحير فيه ويتعجب منه .

البنيات العميقة: الآيـــات القرآنيـــة

- ﴿ **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا** ﴾[780].
- ﴿ **حَتَى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ** ﴾[781].
- ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ** ﴾[782].
- ﴿ **وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾[783].
- ﴿ **فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ** ﴾[784].
- ﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا** ﴾[785].
- ﴿ **وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾[786].
- ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ** ﴾[787].

---

[778]– سورة مريم.

[779]– ينظر: مجمع الأمثال: الميداني: 177/1.

[780]– سورة القصص : 10.

[781]– سورة الأعراف: 40.

[782]– سورة ق: 16.

[783]– سورة العنكبوت: 41.

[784]– سورة إبراهيم: 9.

[785]– سورة الشمس: 13، 14.

[786]– سورة النساء: 164.

- ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[788].
- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[789].
- ﴿ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[790].
- ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءاتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِي القُوّةِ ﴾[791].
- ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾[792].
- ﴿ ولقد فتنَّا سُلَيمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾[793].

البنيات السطحية: الأمثال العربية الفصيحة..

- " أفرغ من فؤاد أمِّي موسى "[794].
- " أضيق من سمِّ الخياط "[795].
- " أقرب من حبل الوريد "[796].
- " أوهن من بيت العنكبوت "[797].
- " رددتُ يدَيهِ في فيهِ "[798].

---

[787]- سورة البقرة: 61.

[788]- سورة القصص: 56.

[789]- سورة ص: 44.

[790]- سورة الواقعة: 11، 12.

[791]- سورة القصص: 76.

[792]- سورة يوسف: 30.

[793]- سورة ص: 34.

[794]- مجمع الأمثال: الميداني: 90/2: كتاب الأمثال: الخوارزمي: ص 144.

[795]- مجمع الأمثال: الميداني: 427/1.

[796]- مجمع الأمثال: الميداني: 129/2.

[797]- المصدر نفسه: 382/2.

[798]- المصدر نفسه: 290/1.

- " تكلَّم فقد كلَّم الله موسى "[799].
- " فُلانٌ لا يصبرُ على طعامٍ واحدٍ "[800].
- " إنَّك لا تهدي المتضالَّ "[801].
- " أصبر من أيُّوب عليه السَّلام "[802].
- " كأنَّها جنَّة النَّعيم "[803].
- " أغنى من قارون "[804].
- " هو أحسن من زليخا امرأة العزيز "[805].
- " كأنَّه كرسيُّ سليمان "[806].

المرجع الخطاب القرآني

البنية العميقـــة : قول الله عز وجل ﴿ **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ** ﴾[807].

البنية السطحية : المثل الشعبي " عسى وعسى "[808].

---

[799]- الأمثال: الخوارزمي: ص 77.

[800]- الأمثال: الخوارزمي: ص 77.

[801]- مجمع الأمثال: الميداني: 66/1.

[802]- الأمثال: الخوارزمي: ص 144.

[803]- المصدر نفسه: 152.

[804]- الأمثال: الخوارزمي : ص 146.

[805]- الأمثال: الخوارزمي : ص 146.

[806]- نفسه: ص 156.

[807]- سورة البقرة.

[808]- أمثال جزائرية : عبد الحميد بن هدوقة: الجزائر 1992. ص 130.

يقال في الترجِّي ، كما يُقال في عدم التسَرُّع والحكم على الأشياء قبل بروز نتائجها . وهو مقتبس من الآية الكريمة .

البنية العميقـــة : قوله عز وجل ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ** ﴾[809].

البنية السطحية : " إذا غاب نصر الله نباتو وقوف "[810].

يقال فيمن يفوِّت العمل أو الشَّيء عن وقته بذريعة انتظار شخص أو شيء ما . كما يقال في المنتظر لغائب للقيام بشيء حلَّ وقته فهو دعوة إلى المبادرة بالعمل في وقته .

يحكى أنَّ إمامًا قام إلى الصَّلاة فقرأ الفاتحة وشرع يقرأ في سورة النصر ﴿ **إذا جاء نصر الله** ﴾ ... ﴿ **إذا جاء نصر الله** ﴾... فنسي السورة ، وانتظر المصلون تذكره حتى كاد يفوت وقت الصلاة . فتذمر أحدهم ، وقال المثل.....

البنية العميقـــة : ﴿ **فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَـــارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُـــوبُ التِي فِي الصُّـــدُورِ** ﴾[811].

البنية السطحية : " إذ قصرت الأعمار ، تعمى الأبصار "[812].

يقال في باب التخفيف على من ألقى بنفسه في مهلكة دون تَرَوٍّ ، فهو ضمنيا يدعو إلى التدبر قبل الإقدام على ما من شأنه أن يتروَّى فيه .

البنية العميقـــة : ﴿ **تبارك الله أحسن الخالقين** ﴾[813].

809– سورة النصر.

810– أمثال جزائرية : عبد الحميد بن هدوقة: ص 30.

811– سورة:

812– أمثال جزائرية: ص 30.

813– سورة:

البنية السطحية : " تبارك الله فيمن زار وخفف "[814].

يقال في استحسان عدم تطويل الزيارة ، لدى المريض أو غيره .

و منتهى القول في هذه البِنيات العميقة والسطحية أنّها تُبرز مسألةَ تداخل النُّصوص وتفاعل بعضها مع البعض الآخر في صورة تواصل بين الخطابات .

فكان لابد من الأمثال العربية الفصيحة والعامية من فنِّ " الاقتباس ". لتدعيم الخبر وتنزيله في ذهن المتلقي منزلاً حسنا. والذي يصقل بنية الأمثال ويغذِّيها أبنية الخطاب القرآني حتى يتاح لها الاستمرار والذيوع والانتشار ، وأن تتميز عن غيرها من أفانين الكلام .

– لقد استعار المثال دررا ثمينة وضمَّنها خطابه فأصبح منجزا (مرسل) بعد أن كان في مرحلة سابقة مستقبلا ويمكن توضيح ذلك بالمخطط التالي :

[814]– أمثال جزائرية: عبد الحميد بن هدوقة: ص 48.

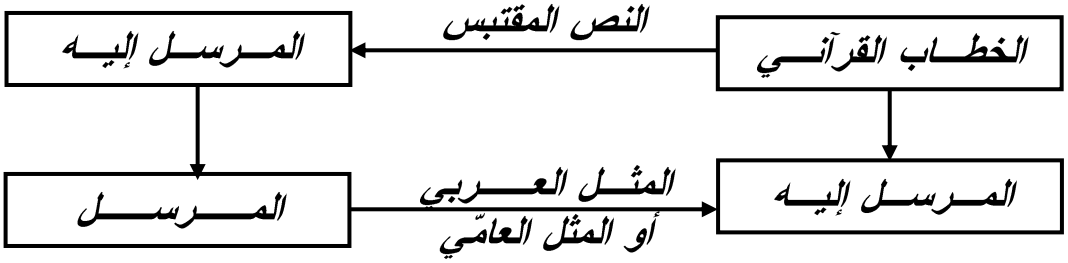
الخطـــاب القرآنـــي
النص المقتبس
المـــرســـل إليـــه
المـــرســـل إليـــه
المثـــل العـــربي
أو المثل العامّي
المـــرســـل

- يقـــول القـــرآن : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ** ﴾[815].

- يرد المثل العامـــي : " تسبب يا عبدي وانا نعينك ".

- في الحركة بركه .

- يقـــول القـــرآن : ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾[816].

- يرد المثل العامـــي : " الحمِيَة تغلب السبع ".

- يقـــول القـــرآن : ﴿ **سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ** ﴾[817].

- يرد المثل العامـــي : وصَّل الكذَّاب لباب الدار.

- يقـــول القـــرآن : ﴿ **وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيئٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾[818].

- يرد المثل العـــامي : " أصرت ما فالجيب وربي يجيب " .

- يقـــول القـــرآن : ﴿ **فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا** ﴾[819].

- يرد المثل العامـــي : إلى جا الضيق يجي الوسع موراه.

- يقـــول القـــرآن : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾[820].

---

[815]- سورة الجمعة.

[816]- سورة الصف: 4.

[817]- سورة النمل: 27.

[818]- سورة : 39.

[819]- سورة الإنشراح: 5-6.

[820]- سورة الإسراء: 15.

- يرد المثل العامي: كل شاة وتتعلق من كراعها.

- يقول القرآن " ومن أساء فعليها "[821].

- يرد المثل العامي: اللي حفر بير لخوه يطيح فيه.

يقول القرآن " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام "[822].

- يرد المثل العامي: ربي فالفم والخدمي فالكم.

يقول القرآن " يقولون بأفواهم ما ليس في قلوبكم "[823].

- يرد المثل: السن تصحك لسن والقلب فيه خديعه.

يقول القرآن " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب "[824].

- يرد المثل العامي: الصابر ينال.

يقول القرآن " وآتيناه الحكم صبيا "[825].

- يرد المثل العامي: الطير الفصيح في البيضة يصيح.

يقول القرآن " ذلك بما قدمت يداك "[826].

- يرد المثل العامي: درتها بيديك حلها بسنيك.

يقول القرآن " عوان بين ذلك "[827].

---

[821]- سورة فصلت: 46.

[822]- سورة البقرة: 204.

[823]- سورة آل عمران: 167.

[824]- سورة

[825]- سورة مريم: 12.

[826]- سورة الحج: 10.

[827]- سورة البقرة: 68.

- يرد المثل العامي: ما تغضبي راعي ما تجوعي ديب.

يقول القرآن " أتأمرون الناس بالبر وتنسوا أنفسكم "[828].

- يرد المثل العامي: البيره تكسي غيرها وهي عريانه.

يقول القرآن " وفيكم سماعون لهم "[829].

- يرد المثل العامي: الغابة بودنيها.

يقول القرآن " وم نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله "[830].

- يرد المثل العامي: الخير يولي هراوة وبصوط مولاه.

يقول القرآن " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم "[831].

- يرد المثل العامي: المؤمن يبدا بنفسوا.

يقول القرآن " تقولون ملا تفعلون "[832].

- يرد المثل العامي: يدعي بالطب ويموت بالعلة.

يقول القرآن " ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا "[833].

- يرد المثل العامي: ما يولد الفار غير فار.

---

[828]- سورة البقرة: 44.

[829] - سورة التوبة: 74.

[830]- سورة:

[831]- سورة:

[832]- سورة الصف: 02.

[833]- سورة نوح: 27.

يقول القرآن " وكان أمر الله قدرا مقدورا "[834].

- يرد المثل العامي: اللي كاتبه لاحقه

- المكتوبة على الرأس ما ينجيها لا طالب ولا كـــراس.

يقول القرآن " وقولوا للناس حسنا "[835].

- يرد المثل العامي: عطيني عفستك ما ردتلك خبرتك.

" كبر بي وكول عشاي ".

[834]- سورة :

[835]- سورة البقرة: 83.

خاتمـــــــة

و من خلال دراستي لهذا البحث المتواضع في مجال الأمثال الرحب ، يمكني أن أجمل ما توصلت إليه في النتائج التالية :

– اهتمّ علماؤنا العرب بالأمثال ، وأبرزوا ما لها من مكـــانة رفيعة ، ومترلة مرموقـــة ، بين الأنواع الأدبيّة الأخرى لما يتوافر لها من خصائص أسلوبية كالإيجاز و التصوير البياني . و ممّا يزيدها شأنًا كونها ذُكرت في القرآن الكريم .

– إنّ القـــرآن قد أشاد بالأمثال وأوضح وظائفـــها ، كإبراز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس ؛ فهي تكشف عن الحقائق ، وتعرض الغائب في معرض الحاضر ، وتُرغب و تُرهِّب ؛ وهي بهذا تكون أوقع في النفس ، وأبلغ في الوعظ ، وأقوى في الزّجر ، وأقوم في الإقنـــاع .

– الأمثـــال في القرآن تنقسم ثلاثة أقسام ؛ الأمثال المصرّحة (أو القياسيـــة) ، الأمثال الكامنـــة ؛ و الأمثال المرسلـــة . وقد أومأنا في هذه الدراسة أنّ هناك خلافا بين العلماء ؛ التي كلها محلّ اجتهادات ، تقوم على تحليل النص ، و معرفة الغرض ، و إبراز الحكمة من وراء نظم التركيب في هذه الأمثال القرآنية .

– تُســـاق أساليب الأمثال في القرآن في صورة من صور الإعجاز البياني ؛ إذ أعجز جميع البشر بإيجازه الدّقيق الذي هو ركن من أركان الأسلوب المثلي وهو في المثل القرآني سمة بارزة . جاءت الصّور التّمثيلية في القرآن الكريم في تماسك شديد بين أجزائها ، مصاغة صياغة فنّية بديعة تكشف عن روعة البيان في الأمثال الحكيمة

وتبرز قيمة الإبداع الذي يجلو صدأ العقول ويمكّن الصور المتناسقة في أذهان السّامعين.

– والأمثال القياسية في القرآن الكريم صورة رفيعة من صور التّمثيل الذي يكون وجه الشّبه فيه منتزعا من عدّة أشياء ، مما يؤكد لنا بلاغة القرآن في التمثيل . – استخدم القرآن الكريم طريقة التّصوير في التعبير ، وجعله الأداة المفضلة في أسلوبـــه ؛ فهو يعبّر

بالصورة المحسّة المتخيّلة عن المعـــنى الذّهني ، والحالة النّفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور و عن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسُمها فيمنحها الحياة الشاخصة . فهو موجود في معظم القرآن الكريم ، وهو الأداة المفضلة في أسلوبه .

– أما بالنسة إلى الفصل الثاني فقد خلصنا إلى أنّ :

– اللهجة طريقة معينة في الاستعمال ؛ تنشأ في ظروف خاصة ، و تستعمل وسيلة للتعايش و التواصل و تبادل مختلف الأنماط الفكرية و غيرها ، فهي سبب مهم للربط بين الأفراد .

و هي ترتبط باللغة و اللحن في سمات معينة ، كما قد تختلف عنهما في خصائص جعلت كلا منها ينفرد بحقيقته و طبيعته .كما تعد اللغة المنبع الرئيس لتكون اللهجة ، من خلال العوامل و الملابسات التي فرضتها الضرورة الحياتية من تطورات و تقلبات . و من ثم تعددت اللهجات في الأقطار العربية .

واللهجات العامية غير مقيدة بالقيود الثابتة ؛ فهي تجري عليها سنة التطور و التغير عبر مراحل عمرها ، فليس فساد يطرأ عليها إلاّ و هو نتيجة الناموس الطبيعي الذي يتحكم في كل تطور و تبدل .

– إن الأمثال العامية هي ميدان خصب في الدرس اللهجي ، بما تحويه من ظواهر لهجاتية ؛ إذ هي صورة منطوقة حية تسري في حياة الشعوب ؛ كي تعبر عن آماله و آلامه ، التي تربطه بماضيه و حاضره و مستقبله .

و الحق أن المثل الشعبي هو أصدق صورة على اللهجات من الأنماط الكلامية الأخرى ؛ إذ تشترك فيه جميع الطبقات الاجتماعية في المجتمعات البشرية .

و في التركيب اللغوي للمثل العامي خلصنا إلى أن :

– الجمل الاسمية أكثر شيوعا من الجمل الفعلية ، لما لها من دقة في وصف السلوك الإنساني ، و التنبيه لأغراضه المقصودة . مما يوحي إلى أن المبدع الشعبي يعبر بدقة على السلوك الإنساني ، ويحرص على صياغته بطريقة أصح و أصوب و أنسب .

– الجمل المركبة أكثر ورودا في المثل العامي من الجمل البسيطة ، لأنَّها تناسب التعقيدات التي تَعتورِ السّلوك الإنساني الذي هو في طبيعته معقّد ، وتطرأ عليه التغيرات وفق الأحوال والظروف ولهذا كانت الجمل المركبة أنسب لوصف هذا التعقيد ، والجملة البسيطة المختصرة جدا لا يمكنها بحال أن تصفه .

– المثل العامي يقارب إلى حد كبير في تركيبه اللغوي تركيب العربية الفصيحة ؛ لأنّ هذه الأخيرة هي الأرومة الأصيلة التي تصدر منها التراكيب اللغوية العامية . وهذا يجعلنا نقول إن الجمل المثلية هي مقبولة من جانب القواعد الأصولية التي وضعها علماء النحو العرب ، فهي لم تخرج أو تنحرف بعيدا عن هذه الأصول النحوية .

و الفصل الثالث الّذي تطرّقنا فيه إلى التّوجيه اللّغوي للمثل القرآني ، خلصنا إلى أنّ النّص القرآني من خلال المثل نصٌّ مفتوح للاحتمالات و التخريجات اللّغوية على تنوّع مستوياتها ؛ سواء الصّوتية ، أو الصرفية ، أو النحوية ، و لهذا كان هذا المبحث ثريًّا بآراء و أقوال العلماء في تخريج نصّ المثل القرآني و الاحتجاج له .

و لا غروَ في ذا التنوّع ؛ لأنّ القرآن خطاب ربّاني مرسَلٌ إلى بني البشر على اختلاف طبائعهم و عوائدهم الاجتماعية ، وتباين طرائق تفكيرهم و تعاملهم في هذه الحياة ، قال تعـــالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ . و لهذا كان القرآن الكريم صالح لكل زمان و مكان ، فهو خطاب خالد مطلق فوق حدود الزمان و المكان .

و في الفصل الرابع ؛ المعنون بأثر الخطاب القرآني في التواصل العام توصلنا أنه لابد من الأمثال العربية الفصيحة والعامية من فنِّ " الاقتباس ". لتدعيم الخبر وتزيله في ذهن المتلقي مترلاً حسنا. والذي يصقل بنية الأمثال ويغذِّيها أبنية الخطاب القرآني حتى يتاح

لها الاستمرار والذيوع والانتشار ، وأن تتميز عن غيرها من أفانين الكلام . وهذا دليل أيضًا على أن المبدع تمثل الخطاب القرآني حين نطق ، و أن هناك بعض الأمثال تتشابه و الأمثال القرآنية في سمو أهدافها و نبل أغراضها .

كما نتمنى أن تكون دراستنا لهذا الموضوع منطلقًا لدراسات أخرى تسعى إلى إيجاد علاقة بين الخطاب القرآني و المثل العربي أو العامي ، تكون أعمق و أدق حتى تخلص إلى نتائج أكثر دقة و علمية .

وختامًا أسأل الله عزَّ و جل أننَا قد وفّقنا في دراسة هذا الموضوع ، و أجبنا عن الإشكاليات التي طرحناها من قبل .

و أخيرًا أقول كما قال الشاعر :

وإن تَجِد عَيبًا فَسُدَّ الخَلَلاَ ** فَجَلَّ مَنْ لاَ فِيهِ عَيبٌ و عَلاَ

و أخيرًا و ليس آخرًا ، أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث المتواضع ، و على رأسهم المشرف الأستاذ الدّكتور عبد الجليل مرتاض ، بما أمدّني من توجيهات و إرشادات حتى وصل البحثُ إلى ما وصل إليه .

كما أشكر للسّادة الأساتذة الكرام تجشمهم عناء السفر و مناقشة هذا البحث . شكرا جزيلا .

و ختامًا أسأل اللّه عزّ و جلّ أن يلهمني السّداد والتوفيـــق ، فإن أصبت فمن الله وحده ، و إن أخطأت فمن نفسي .

والله من وراء القصد و هو يهدي السبيل

المصـــادر و المراجـــع

- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي . تحقيق سعيد المندر. مؤسسة الكتب الثقافية . ط2. بيروت .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان الأندلسي . تحقيق : د. مصطفى أحمد النماس . مطبعة النسر الذهبي .ط1 القاهرة 1984.
- أساس البلاغة : الزمخشري . تحقيق عبد الرحيم محمود . دار المعرفة . بيروت .
- أساسيات اللغة . رومان جاكبسون وموريس هاله . ترجمة : سعيد الغانمي . المركز الثقافي العربي .
- أسرار البلاغة : عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني تحقيق . د.عبد المجيد هنداوي دار الكتب العلمية . ط1. بيروت2001 .
- الأسلوبية : د.عبد القادر عبد الجليل . دار صفاء . ط1 . عمان الأردن . 2002
- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية : د . عبد القادر عبد الجليل : دار صـــفاء للنشـــر والتوزيع ط1. عمان . 2002 ..
- أشتات في اللغة والأدب والنقد : محمد العيلاوي . دار الغرب الاسلامي . ط1 . بيروت . 1992 .
- الإمتاع والمؤانسة : أبو حيان التوحيدي
- أمثال جزائرية : عبد الحميد بن هدوقة . الجزائر . 1992 .
- الأمثال : الخوارزمي . تحقيق محمد حسين الأعرجي . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر . 1994 .

- الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية . د .عبد المجيد قطامش . دار الفكر . ط1 . دمشق 1988 .
- الأمثال العربية والعصر الجاهلي (دراسة تحليلية) : د.محمد توفيق أبو علي . دار النفاس . ط1. بيروت . 1988م .
- الأمثال الشعبية الجزائرية : قادة بوتارن . ديوان المطبوعات الجزائرية . الجزائر .
- الأمثال الشعبية الجزائرية دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري : د. عبد المالك مرتاض . الجزائر 1982 .
- أمثال القرآن : إبن قيم الجوزية . تحقيق : جميل إبراهيم حبيب . شركة دار الأرقم . بيروت لبنان .
- الأمثال القرآنية دراسة تحليلية : د. محمّد بكر إسماعيل . دار المنار .ط1 . القاهرة . 2000 .
- الأمثال في الحديث النبوي الشريف : د . محمد جابر فياض العلواني مكتبة المؤيّد للنّشر والتوزيع . ط1 . الرياض . 1993.
-الأمثال من الكتاب و السنّة : الترميذي دار الكتب العلمية ط1. بيروت .2003.
- الأمثال والحكم . أبو بكر الرازي . تصحيح وتعليق . د.فيروز حريرجي . منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية . بدمشق .1987 .
- الإيضاح في علوم البلاغة : القزويني . تحقيق و تعليق وفهرسة غريد الشيخ محمد – إيمان الشيخ محمد . دار الكتاب العربي . ط1 . بيروت . 2004 .
- البدائع في علوم القرآن : ابن القيم الجوزية . انتقاء وتحقيق يسري السيد محمد . دار المعرفة . ط2 . بيروت . 2006 .
- البلاغة في ثوبها الجديد . علم البيان : د . بكري شيخ أمين . دار العلم للملايين . ط1 . بيروت 1982 .

- بنية الخطاب الشعري : دراسة تشريحية لقصيدة (أشجان يمانية) د . عبد المالك مرتاض . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر 1991 .

- بوادر الحركة اللسانية عند العرب : د. عبد الجليل مرتاض. مؤسسة الأشرف . ط1. بيروت . لبنان . 1988.

- البيان والتبيين : الجاحظ . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . 1968.

- تاريخ آداب العرب : الرافعي . دار الكتاب العربي .ط4 . بيروت .1974 .

- التراكيب النّحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني :د .صالح بلعيد .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1994.

- التركيب في المثل العربي القديم : دراسة نحوية للجملة الاسمية : نوار عبيدي . مطبعة المعارف .ط1 .2005 .

- التعبير اللغوي في أمثال القرآن . د. محمود السيّد حسن المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية . 2000 .

- تفسير البحر المحيط : ابن حيان الأندلسي . دار إحياء التراث العربي . ط1 . بيروت لبنان . 2002 .

- تفسير الفخر الرازي : للإمام محمد الرازي فخر الدين . دار الفكر . ط1 . لبنان . 1981 .

- تلوين الخطاب في القرآن الكريم : دراسة في علم الأسلوب وتحليل النص . د . طه رضوان طه رضوان . دار الصحابة للتراث . ط1 . مصر . 2007 .

- التواصل اللساني والشعرية : د. الطاهر بومزبر. الدار العربية للعلوم . ط1. بـــيروت لبنان . 2007 .

- الجملة العربية والمعنى : د . فاضل السامرائي . دار الفكر . ط1. عمان الأردن . 2007 .

-حكم من القرآن جرت مجرى الأمثال : د . توفيق بن عمر بلطه جي . دار الفكر المعاصر . ط1. دمشق 2000م .

- خزانة الأدب وغاية الأرب : تأليف ابن حجة الحموي : شرح عصام شـــعيتو : دار ومكتبة الهلال : ط 1. بيروت . 1987 ز
- الخصائص : ابن جني . دار الكتب العلمية. ط .2 بيروت لبنان . 2003 .
- خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني : دراسة صوتية و تركيبية . د محمد الكراكبي . دار هومة .بوزريعة . الجزائر . 2003 .
- الخطاب العربي المعاصر : دراسة تحليلية نقدية . د . محمد عابد الجابري . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .1994.
- الخطاب القرآني المعاصر : د. جمال نصار حسين . دار الإسراء . ط 1. الأردن 2000 .
- دراسات في المثل العربي المقارن : عبد الرحمن التكريتي : قسم البحوث والدِّراسات الأدبية واللُّغوية . 1984.
- دروس في اللسانيات التطبيقية : د. صالح بلعيد . دار هومه. الجزائر . 2003 .
- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرحاني . المكتبة العصرية للطباعة والنشر . بيروت . 2002م .
- الدلالة السياقية عند اللّغويين : د عواطف كنوش المصـــطفى . دار حـــراء . ط 1. القاهرة . 2007 .
- ديوان حسان بن ثابت : دار صادر . بيروت .
- ديوان طرفة : دار صادر . بيروت .
- ديوان المتنبي : دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت .

- سر صناعة الاعراب : ابن جني . تحقيق : د .حسن هنداوي . دار القلم . ط1. دمشق 1985. 207/1 .

- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع : صفي الدين الحلي . تحقيق . د نسيب نشاوي . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 1989.
- الشعر والشعراء : ابن قتيبة . مطبعة بريل ليدن . 1902.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس . مكتبة المعارف . ط1 .بيروت 1973.
- طبقات النحويين واللغويين : د . الزبيد . تحقيق أبو الفصل إبراهيم . دار المعارف . ط1 . القاهرة . 1954 .
- علم الأدب الشعبي العجيب : فاروق خورشيد . دار الشروق . ط1 1991م .
- عدنان بن ذريل . مراجعة وتقديم حسن حميد مجدلاوي للنشر والتوزيع . ط2 . 2006م .
- علم اللغة : د . علي عبد الواحد وافي . دار نهضة مصر للطبع والنشر.ط6. 1967.
- علم اللّغة العام : فردنان ديسوسير . ترجمة يوئيل يوسف عزيز . بيت الموصل . بغداد . 1988.
- عناصر التراث الشعبي في اللاز : دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية . د. عبد المالك مرتاص . ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون . الجزائر .
- عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن : علي الطهطاوي . دار الكتب العلمية .ط1 بيروت . 2004 .
- فجر الإسلام : أحمد أمين . دار الكتاب العربي . ط10 . بيروت 1969.
- فصول في فقه اللّغة : د. رمضان عبد التوّاب . مكتبة الخانجي .ط 3 . القاهرة

- فقه اللغة : د . علي عبد الواحد وافي .لجنة البيان العربي . ط6 . القاهرة . 1968.
- في الأدب وفنونه : علي بوملحم. المطبعة العصرية صيدا .لبنان .
- في ظلال القرآن : سيد قطب . دار الشروق . ط10 . بيروت . 182 .
- في اللهجات العربية :د. إبراهيم أنيس : مكتبة الأنجلو المصرية ط9. القاهرة 1995.
- القاموس المحيط : الفيروز آبادي . دار الجيل ، بيروت .
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل : د. عبد الرحمن حسن جنبكه الميداني . دار القلم . ط3 . دمشق 2004.
- الكتاب :سيبويه تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخفاجي . القاهرة . ط2 . 1983
- الكشاف عن حقائق غوامض التزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل للإمام محمد بن عمر الزمخشري . دار الكتاب العربي . بيروت . 1986. -
- لسان العرب : أبن منظور. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت. 1968.
- اللسانيات و تطبيقياتها على الخطاب الشعري : دار العلوم . عنابة . 2006 .
- اللسانيات و اللغة العربية: د. عبد القادر القاسي الفهري. دار توبقال. الدار البيضاء ط1. المغرب، 1985:
- اللغة والأسلوب : مراجعة وتقديم حسن حميد. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع . ط2 .الأردن . 2006.
- اللغة بين الفرد و المجتمع : يسبرسن . ترجمة . دعبد الرحمان أيوب . الأنجلو مصرية . 1954.
- اللغة والتواصل : د. عبد الجليل مرتاض ز دار هومة 2000. الجزائر .
- اللهجات العربية في التراث : د.أحمد علم الدين الجندي . الدار العربية للكتاب.تونس 1971.
-اللهجات العربية نشأة وتطورا : د.عبد الغفارحامد هلال. مكتبة وهبة . ط2 القاهرة 1993

- مباحث في علوم القرآن . منَّاع القطّان. مؤسسة الرسالة ط5 3 . بيروت لبنان . 1998.
- مباحث في اللسانيات : أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994.

- مبادئ اللسانيات : د. أحمد محمد قدور . دار الفكر المعاصر . ط2 . بيروت . 1999..
- مبادئ اللسانيات العامة : أندريه مارتيني. ترجمة : د.أحمد الحمو. المطبعة الجديدة.دمشق 1985
- مجالس العلماء : الزجاجي . مكتبة الخانجي. ط3. القاهرة .1999.
- مجمع الأمثال : للميداني . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية بيروت . 2003 .
- مختار الصحاح : أبو بكر الرازي . دار الهدى للطباعةوالنشر.ط4. الجزائر 1990
- مدخل إلى دراسة الجملة العربية : دار النهضة العربية . 1988.
- المستطرف في كل فن مستظرق . شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأشبهي المحلى القاهرة ..
- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية :معجم عربي-أعجمي/أعجمي-عربي : د. محمد رشاد الحمزاوي . المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر 1987.
- معجم العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي . تحقيق: د.مهدي المخزومي. د. إبراهيم السامرائي. دار مكتبة الهلال : مادة (لهج).
- معجم المصطلحات الألسنية فرنسي- انجليزي- عربي. د مبارك دار الفكر اللبناني ط1، بيروت.لبنان 1995.ص 81-82.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة وكامل المهندس. مكتبة لبنان. ط2 .بيروت 1984

- معجم المصطلحات النحوية و الصرفية : د محمد سمير اللّبدي . دار الثقافة . الجزائر.
- معجم اللسانيات : د. بسام بركة، منشورات جروس – برس، ط1، 1985 بيروت
-المعجم الوسيط : مجموعة من الأساتذة. دار الدعوى. استانبول . تركيا .1989.

- مقدمة لدراسة فقه اللغة: د.محمد أحمد أبو الفرج. دار النهضة العربية. بيروت ..
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي .
- مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني. المكتبة العصرية . 2004.بيروت..
- موسوعة علوم القرآن : د . عبد القادر محمد منصور دار العلم العربي ط1 سورية 2002
- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . 82/2.
- نهاية الأدب في فنون الأدب للنويري . دار الكتب والمؤسسة المصرية العامة
- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب : د . صلاح عبد الفتاح الخلدي. دار الشهاب . الجزائر . باتنة .
- وحي القلم : مصطفي صادق الرافعي . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر . 1991.

الدوريـــات :

- مجلة الثقافة والتراث القومي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : إدارة الثقافة . تونس . المنظمة الشاملة للثقافة العربية . 1992.

- التراث الشعبي: مجلة شهرية. المركز الفولكلوري. العدد العاشر . السنة 08 . بغداد 1977.

المراجع الأجنبيـــة :

Cours de linguistique general. Ferdinand de Saussure.edition ENAG.3eme. 2004.Alger.page..

Cours Moumin: Dictionnaire de la Linguistique, P - 314, presse universitaire. France 1974.

فهرس الموضوعات

مقدّمـــــــة

الفصل الأول : أمثال القرآن

تعريف المثل 02

أقسام المثل العربي 07

خصائص المثل 09

الفرق بين المثل و الحكمة 19

أهمّية المثل العربي 22

أمثال القرآن .....26 –

تعريف المثل القرآني 26

ضرب المثل 31

أغراض و فوائد المثل في القرآن الكريم 33

أنواع المثل في القرآن الكريم 40

خصائص المثل و سماته البلاغيّة ..... 49 –

إعجاز القرآن 49

الأسلوب القرآني و تأثيره .....63 –

تعريف الأسلوب..... 63

تعريف الأسلوب القرآني.....63

فنية التصوير في المثل القرآني 74

الفصل الثاني : المثل العامي

تعريف اللهجة 80
مفهوم اللغـــــة 86
مفهوم اللحـــن 89
العلاقة بين اللهجة و اللغة 91
انقسام اللغة إلى لهجـــات 95
انتشار اللحن و ظهور العامية 100
اللهجات العامية الحديثـــة 103
تعريف المثل العامي 110
فوائـــد المثل العامي 113
خصائص المثل العامي 116
التركيب اللغوي للمثل العامي 121
أقسام الجملة 121
الجملة النواة
.....132
الجملة الأصولية 141

الفصل الثالث : التّوجيه اللّغوي للمثل القرآني

المثل القرآني الأوّل 148
المثل القرآني الثاني 160
المثل القرآني الثالث 163
المثل القرآني الرابع 165
المثل القرآني الخامس 167
المثل القرآني السادس 172
المثل القرآني السابع 175
المثل القرآني الثامن 178
المثل القرآني التاسع 183
المثل القرآني العاشر 190
المثل القرآني الحادي عشر 193
المثل القرآني الثاني عشر 196
المثل القرآني الثالث عشر 200
المثل القرآني الرابع عشر 203
المثل القرآني الخامس عشر 210

الفصل الرابع : أثر الخطاب القرآني في التواصل العام

الخطاب القرآني 213-
تعريف الخطاب لغة و اصطلاحا 213
مفهوم الخطاب القرآني 217
عملية التواصل اللغوي 219

نظرية التواصل عند دي سوسير 220
التواصل اللغوي عند جاكبسون 223
الوظائف اللغوية لعملية التواصل 231
الاقتباس في المثل الفصيح و العامي 241
أثر الخطاب القرآني في معاني المثل العامي 250

خاتمـــــــــــــة .....
الفهارس العامـــة .....
فهرس الآيات القرآنية .....
فهرس الأحاديث .....
فهرس الأشعار .....
فهرس المصادر و المراجع .....
فهرس الموضوعات 263